ايها ... قدره بود ...
اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي

اللهم انا الفرجة من هذا الغم

كتاب الشفاء اضحى عزيزا مكرما
له بهجة في الكتب ثم سناء
شفاء قلوب العاشقين
وكيف لا تزول به الالام وهو شفاء

سمع منه هذا الكلام سيد عبد الرزاق الحلبي
بجامع طوبخانه

قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قلم اظفاره يوم السبت خرج منه الاكلة ...
ومن قلم اظفاره يوم الاحد ذهبت البركة ومن قلم اظفاره يوم الاثنين
يصير حافظا ... وكاتبا ومن قلم اظفاره يوم الثلثاء اخاف الهلاك عليه
ومن قلم اظفاره يوم الاربعاء يكون ... ومن قلم اظفاره يوم الخميس
يخرج منه الداء ويدخل فيه الشفاء ومن قلم اظفاره يوم الجمعة يزيد في عمره ...
... شرح ... مصابيح

... مستبشرا ... من ...
فلا ... الا ... او اصلاح حال

[illegible]

Süleymaniye ... Fatih ...

مما انعم الله سبحانه وتعالى على عبده ...

محمد افندي ...

١٠٤٤

T. C.
İSTANBUL
Fatih ... Kütüphanesi
...

K. 1123

الفصل الاول فيما جاء من ذلك ٤
الفصل الثاني في وصفه تعالى له
الفصل الثالث فيما ورد من خطابه
الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره
الفصل الخامس في قسمه تعالى جده
الفصل السادس فيما ورد في قوله تعالى في جهته
الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى في كتابه العزيز ١٥
الفصل الثامن في اعلام الله تعالى عز وجل خلقه ١٦
الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح ١٧
الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز ١٨
الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن
فصل اذا كانت خصال الكمال
حلية شريف ٢١
فصل واما نظافة جسمه وطيب رائحته
فصل واما وفور عقله وذكائه
فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول
فصل واما شرف نسبه وكرم بلده
فصل واما تدعو ضرورة الحياة
فصل والضرب الثاني
فصل واما الضرب الثالث
فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها
فصل واما الحلم والاحتمال
فصل واما الجود والكرم
فصل واما الشجاعة والنجدة
فصل واما الحياء والاغضاء
فصل واما حسن عشرته
فصل واما الشفقة والرأفة
فصل واما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل واما زهده صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل واما خوفه من ربه وطاعته له
فصل اعلم وفقنا الله تعالى واياك
فصل قد اتيناك بالمد
فصل في تفسير غريب هذا الحديث
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار
الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته
فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء
فصل في ابطال حجة من قال
فصل واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل في ذكر تفضيله في يوم القيامة
فصل في تفضيله بالمحبة والخلة
فصل في تفضيله بالشفاعة
فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة
فصل فان قلت اذا تقرر
فصل في اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به
الباب الرابع فيما اظهره الله
فصل اعلم ان الله تعالى قادر على خلق المعرفة ٩٢
فصل في اعجاز القرآن ٩٧
فصل الوجه الثاني ١٠٠
فصل ومنها الرؤية ١٠٢
فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس ١٠٧
فصل في نبع الماء من بين اصابعه
فصل ومن معجزاته تكثير الطعام
فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة

بسم الله الرحمن الرحيم ❁ اللهم عونا على طاعتك وصلى الله على محمد نبيه وآله

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل

عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه

الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى ❁ المختص بالملك الأعز الأحمى ❁ الذي ليس
دونه منتهى ولا وراءه مرمى ❁ الظاهر لا تخيلا ولا وهما ❁ والباطن تقدسا
لا عدما ❁ وسع كل شيء رحمة وعلما ❁ وأسبغ على أوليائه نعما عما ❁ وبعث
فيهم رسولا من أنفسهم عربا وعجما ❁ وأزكاهم محتدا ومنمى ❁ وأرجحهم
عقلا وحلما ❁ وأوفرهم علما وفهما ❁ وأقواهم يقينا وعزما ❁ وأشدهم
بهم رأفة ورحمى ❁ زكاه روحا وجسما ❁ وحاشاه عيبا ووصما ❁ وآتاه
حكمة وحكما ❁ وفتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به ونصره وعزره
ووقره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما ❁ وكذب به وصدف عن آياته
من كتب الله عليه الشقاء حتما ❁ ومن كان في هذه أعمى ❁ فهو في الآخرة أعمى
صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى ❁ وعلى آله وسلم تسليما ❁ أما بعد
أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ❁ ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين
الذين شوقهم بنزل قدسه ❁ وأوحشهم من الخليقة بأنسه ❁ وخصهم
من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ووله
عقولهم من عظمته حيرة ❁ فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين

غيره

غيره ❁ فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون ❁ وبين آثار قدرته وعجائب عظمته
يترددون ❁ وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون ❁ لهجين بصادق قوله
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ❁ فإنك كررت علي السؤال في مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلوة والسلام وما يجب له من توقير
وإكرام ❁ وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر ❁ أو قصر في حق منصبه
الجليل قلامة ظفر ❁ وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال ❁
وأبينه بتنزيل صور وأمثال ❁ فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك
أمرا إمرا ❁ وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا ❁ وأرقيتني بما كلفتني مرتقى
صعبا ملأ قلبي رعبا ❁ فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول ❁ وتحرير
فصول ❁ والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق ❁ مما يجب للنبي صلى
الله عليه وسلم ويضاف إليه ❁ أو يمتنع أو يجوز عليه ❁ ومعرفة النبي
والرسالة والنبوة والمحبة والخلة ❁ وخصائص هذه الدرجة العلية ❁
وهاهنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ❁ ومجاهل تضل فيها
الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ❁ ومداحض تزل بها الأقدام إن
لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد ❁ لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال
والجواب ❁ من نوال وثواب ❁ بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان
خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق ❁ وما يدين الله تعالى به من حقه الذي

هو أرفع الحقوق ❁ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولما
أخذ الله تعالى على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ❁ ولما حدثنا
أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال أنا الحسين بن محمد نا
أبو عمر النمري نا أبو محمد بن عبد المؤمن نا أبو بكر محمد بن بكر نا سليمان بن الأشعث
نا موسى بن إسماعيل نا حماد أنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله تعالى
بلجام من نار يوم القيمة فبادرت إلى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا
من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال
بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد
حسن التقويم إلى أسفل سفل ❁ ولو أراد الله تعالى بالإنسان خيرا لجعل شغله
وهمه كله فيما يحمد غدا أو لا يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم ❁ أو عذاب
الجحيم ❁ ولكان عليه بخويصته ❁ واستنقاذ مهجته ❁ وعمل صالح يستزيده
وعلم نافع يفيده أو يستفيده جبر الله تعالى صدع قلوبنا ❁ وغفر عظيم ذنوبنا ❁
وجعل جميع استعدادنا لمعادنا ❁ وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إليه زلفى
ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ❁ ودرجت تبويبه ❁ ومهدت تأصيله
وخلصت تفصيله ❁ وانتحيت حصره وتحصيله ❁ ترجمته بالشفا ❁ بتعريف حقوق
المصطفى ❁ صلى الله عليه وسلم ❁ وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة

القسم الأول

القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى ❁ لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه
الكلام فيه في أربعة أبواب الباب الأول في ثنائه تعالى عليه ❁ وإظهاره
عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى وجل له
المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه
سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا
عشر فصلا الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات
والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم الثاني
فيما يجب على الأنام ❁ من حقوقه عليه الصلوة والسلام ويترتب القول فيه
في أربعة أبواب الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته
وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره
وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث
فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف
إليه وهذا القسم أكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب
وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت

البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التأليف وعده وعند
التقصي لموعدته والتقصي عن عهدته ❁ يشرق صدر العدو اللعين ويشرق
قلب المؤمن باليقين وتملأ أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم
حق قدره وتحرر الكلام فيه في بابين الباب الأول تخص بالأمور
الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني
في أحواله الدنيوية وما يجوز طروؤه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه أفضل
صلاة وسلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان ما هو في
حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في حكم شانيه ومؤذيه ومنتقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه
ووراثته وفيه عشرة وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة
ووصلة للبابين الذين قبله في حكم من سب الله جل وتعالى ورسله وملائكته وكتبه
وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة فصول
وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الأقسام والأبواب ويلوح في غرة الإيمان
لمعة منيرة ❁ وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس ❁ وتوضح كل
تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين ❁ ويصدع بالحق ويعرض عن
الجاهلين ❁ وبالله تعالى أستعين لا إله إلا هو الملك الحق المبين القسم

الأول

الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا ❁
قال القاضي الإمام أبو الفضل رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئا
من العلم أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى وجل قدر نبينا عليه الصلوة
والسلام وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه
لعظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام فمنها ما صرح به تبارك وتعالى في
كتابه ونبه به على جليل نصابه ❁ وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه ❁ وحض العباد
على التزامه وتقلد إيجابه ❁ فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى ❁ ثم طهر
وزكى ❁ ثم مدح بذلك وأثنى ❁ ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى ❁ فله الفضل
بدأ وعودا ❁ والحمد أولى وأخرى ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم
وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة ❁
والمذاهب الكريمة ❁ والفضائل السديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة
والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من
أدركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت أنواره
علينا ❁ صلى الله عليه وسلم كثيرا ❁ حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله تعالى قراءة مني عليه قال حدثنا أبو الحسين المبارك
بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا أنا أبو يعلى البغدادي قال
حدثنا أبو علي السنجي قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى

ابن سورة الحافظ قال نا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن
قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما
مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك
احد اكرم على الله تعالى منه قال فارفض عرقا الباب الاول في ثناء الله تعالى
عليه ❁ واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره ❁ وتنويه قدره
اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول ❁

الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله جل
وتعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من
انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي الامام ابو الفضل رضي
الله عنه اعلم الله تبارك وتعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس
على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم
يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك
النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة
في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية
المدح ❁ ثم وصفه بعد باوصاف حميدة ❁ واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على

هدايتهم

هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم
وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه
رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم الاية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى من انفسكم
قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في اباءي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح قال
ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا وقال
جعفر ابن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا
انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم
في الصورة البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا
وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن
طاهر زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة
وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي

في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب ألا ترى ان الله تعالى
يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله
عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد
الله رحمة بامة قبض نبيها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة
للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة
للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس
رضي الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من
الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى
علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ❁ وروي عن جعفر
ابن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت
سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تبارك
وتعالى الله نور السموات والارض الآية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني
هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اي مثل نور محمد صلى الله عليه
وسلم وقال سهل ابن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض
ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا
واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان

والحكمة

والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة
المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين
للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله اعلم
وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال
تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح
لك صدرك الى آخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال
ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما
وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام
الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي ❁ وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان والاقامة والتشهد قال
القاضي ابو الفضل هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على
عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان
والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه صلى الله عليه وسلم ثقل

امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين
كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه
بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع
الله تعالى ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة
الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك
يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي
قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من
ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد
بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره
معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول
وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا
الكلام في غير حقه عليه الصلوة والسلام ❁ حدثنا الشيخ ابو علي
الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال حدثنا
ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة
حدثنا ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن
منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

لايقولن

لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال
الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله تعالى
على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي
هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمن
كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره
الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمن اصح لما روي في
الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما
وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم
ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان
الله يصلي وملائكته يصلون ❁ وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال
من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين ❁
روي انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته تعالى

بطاعته صلى الله عليه وسلم رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله
تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو
العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخيار اهل بيته واصحابه رضي الله عنهم حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى
مكي نحوه عنهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى
الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن ابن زيد وحكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
الاية انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال
سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقال تعالى وجل والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون
الايتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به
المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا من الاقوال
وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه
وسلم واصحابه رضي الله عنهم

الفصل الثاني في وصفه تعالى له صلى الله

عليه وسلم بالشهادة

عليه وسلم بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له صلى الله عليه
وسلم في هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله
شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه الصلوة
والسلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق ❁ حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب
رحمه الله قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا
ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد ابن يوسف حدثنا البخاري حدثنا
محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قلت لعبد الله بن عمرو
بن العاصي اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل والله انه
لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا
عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار
وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه

حاشية: ابن عتاب هذا الذي يروي عنه القاضي عياض رحمه الله هو ابو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب وليس لعياض رواية عن ابيه عبد الله بن عتاب فانه لم يدركه والله اعلم

خ: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت

والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه
والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة
وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد
العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأولف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة
وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وفي حديث آخر أخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي أحمد المختار مولده
بمكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة أمته الحمادون لله على كل حال
وقال الله عز وجل الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآيتين وقد قال
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية ۞ قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى
منته أنه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا
في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله تعالى سمحا سهلا طلقا برا لطيفا
صلى الله عليه وسلم هكذا قاله الضحاك وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ۞ قال
أبو الحسن القابسي أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل أمته
الآية وفي قوله تعالى في الآية الأخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا
عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة

بشهيد

بشهيد الآية وقوله تعالى وسطا أي عدلا خيارا ومعنى هذه الآية وكما
هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا لتشهدوا
للأنبياء عليهم السلام على أممهم ويشهد لكم الرسول صلى الله عليه وسلم
بالصدق قيل إن الله جل جلاله إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون نعم
فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم
للأنبياء عليهم السلام ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية
إنكم حجة على كل من خالفكم والرسول صلى الله عليه وسلم حجة عليكم
حكاه السمرقندي قال الله تبارك وتعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم
قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم قدم صدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم
بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه هي
شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال
سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه
وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع
المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم ۞ حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه تعالى إياه مورد الملاطفة والمبرة
صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى وجل عفا الله عنك لم أذنت لهم

قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله وقال
عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن
بعضهم أن معناه عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام
لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم أذنت لهم
بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم
منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب ومن إكرامه تعالى إياه صلى الله
عليه وسلم وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال
نفطويه ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه
من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم قال القاضي أبو الفضل يجب
على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بأدب
القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في
السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويثير
ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل
ذكر الذنب إن كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت

تركن إليهم

خ تبين الصادق

حاشية قال شيخنا الحافظ جمال الدين المزي رضي الله عنه المعروف في الضبط

خ ويستثير

خ ذكر الذنب

تركن إليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الأنبياء عليهم السلام
بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء
ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته
قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه
تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم
لا يكذبونك الآية قال علي رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه
وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تبارك وتعالى قد نعلم
إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك الآية وروي أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما أكذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال
ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون أنك صادق فأنزل الله تبارك
وتعالى الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه
الصلوة والسلام وإلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم
وأنهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه
صلى الله عليه وسلم قبل النبوة الأمين فرفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة
الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تبارك وتعالى
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة
بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره

خ بدأ

خ كذبه

خ بتسميتهم

كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه
بما ذكره عن من قبله ووعده صلى الله عليه وسلم النصر بقوله سبحانه ولقد
كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك
ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك ومما ذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وبر الله تعالى به أن الله تعالى
خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين
فقال يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب
هو صلى الله عليه وسلم إلا يا أيها النبي يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر

الفصل الرابع في قسمه عز وجل بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم تسليما

قال الله تبارك وتعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق أهل
التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم
وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك
يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد
صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره وقال أبو الجوزاء
ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أكرم البرية عنده

خاطبه

وقال تعالى

وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على
أقوال فحكى أبو محمد مكي أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند
ربي عشرة أسماء ذكر أن منها طه ويس اسمان له وحكى أبو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما يس يا إنسان أراد محمدا صلى الله عليه وسلم
وقال هو قسم وهو من أسماء الله تعالى عز وجل قال الزجاج قيل معناه يا محمد
وقيل يا رجل وقيل يا إنسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم
أقسم الله تعالى به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام يا محمد إنك
لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين فإن قدر أنه من
أسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه أنه قسم كان فيه من التعظيم ما
تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وإن كان بمعنى النداء
فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته أقسم الله تعالى
باسمه وكتابه إنه لمن المرسلين بوحيه إلى عباده وعلى صراط مستقيم من إيمانه
أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى
لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تأويل
من قال إنه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا
فخر وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد قيل لا أقسم به

إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة أي أقسم به
وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد
عند هؤلاء مكة ❁ وقال الواسطي أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته
بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والأول أصح لأن السورة مكية
وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله
تعالى وهذا البلد الأمين قال أمنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها فإن
كونه أمان حيث كان ثم قال تعالى ووالد وما ولد من قال أراد آدم فهو
عام ومن قال هو إبرهيم وما ولد فهي إن شاء الله تعالى إشارة إلى محمد
صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى
الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف أقسام أقسم الله تعالى بها
وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الألف
هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما الصلوة والسلام وحكى
هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى سهل وجعل معناه الله تعالى أنزل
جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن لا ريب
فيه وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه
من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى
ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل

الخطاب

الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر فيه ذلك لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن
وقيل هو اسم لله تعالى وقيل اسم جبل محيط بالأرض وقيل غير هذا وقال
جعفر ابن محمد الصادق رضي الله عنه في تفسيره والنجم إذا هوى أنه
محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح
من النور وقال انقطع عن غير الله تعالى وقال ابن عطاء في قوله تعالى
والفجر وليال عشر الفجر محمد عليه الصلوة والسلام لأن منه تفجر
الإيمان الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده صلى
الله عليه وسلم قال جل اسمه والضحى والليل إذا سجى السورة ❁ اختلف
في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم
قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم
به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي أبو الفضل
تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه إياه
ستة وجوه الأول القسم له عما أخبره به من حاله بقوله والضحى
والليل إذا سجى أي ورب الضحى وهذا من أعظم درجات المبرة الثاني
بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى أي ما تركك
وما أبغضك وقيل ما أهملك بعد أن اصطفاك الثالث قوله تعالى وللآخرة
خير لك من الأولى قال ابن إسحق أي ما لك في مرجعك عند الله تعالى

أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل أي ما ذخرت لك من الشفاعة
والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة
وشتات الأنعام في الدارين والزيادة قال ابن إسحق يرضيه بالفلج في
الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض
آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس آية في القرآن أرجى منها ولا يرضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار الخامس ما عدّه
تعالى عليه من نعمه وقرره من الآية قبله في بقية السورة من هدايته إلى ما
هداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فأغناه الله
تعالى بما آتاه أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه
وآواه إليه وقد قيل آواه الله تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فآواك إليه وقيل
المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكّره بهذه
المنن وأنه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه
وقبل معرفته به ولا ودّعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه صلى الله
عليه وسلم السادس أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرّفه به بنشره
وإشادة ذكره بقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث فإن من شكر النعمة الحديث بها
وهذا خاص له عام لأمته صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والنجم إذا هوى

الى قوله

[illegible]

إلى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله تعالى
والنجم إذا هوى بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن
وعن جعفر بن محمد أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد
صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك
ما الطارق النجم الثاقب أن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه
السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العدّ ما يقف دونه العدّ
وأقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه صلى الله عليه وسلم عن الهوى
وصدقه فيما تلا وأنه وحي يوحى أوصله إليه عن الله تعالى جبريل وهو الشديد
القوى ثم أخبر الله تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة
المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وأنه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه
على مثل هذا تبارك وتعالى في أول سورة الإسراء ولما كان ما كاشفه
عليه الصلوة والسلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت
لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول رمز عنه تعالى
وجل بالإيماء والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى فأوحى إلى عبده ما
أوحى وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي
والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز وقال تعالى لقد رأى من
آيات ربه الكبرى انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى وتاهت الأحلام

خ
وتشريفه
جلاله خ
من خ
قال الجوهري
العدّ بالكسر الماء الذي له مادة لا تنقطع
كماء العين والبئر والجمع الأعداد قال
الشاعر ويومه ما بها عدّ ولا ثمد
والعدّ أيضا الكثرة يقال إنهم لذو
عدّ
عدّ في المحكم لابن سيده
كانشيه من ... قال ابن دريد هو
حسب عدّ قديم ... الماء الدائم الذي
مشتق من العدّ وهو ... المتحققين
لا انقطاع ... وقال بعض ... الكثير
حسب عدّ كثير تشبيها بالماء القديم
هذا غير قوي وإن يكون العدّ
أشبه قال الحطيئة أتت آل
شماس بن لأي وإنما أتاهم بها
الأحلام والحسب العدّ قلت قوله
الحسب العدّ معناه الجليل الكثير
وأصل ذلك في الماء يقال بئر عدّ
كانت ذات مادة من العيون لا
تنقطع وكل ماء له مادة فهو
وهذا التفسير هو أشبه بقوله
[illegible]

في تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي أبو الفضل واشتملت هذه الآيات على أعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه الصلوة والسلام وعصمتها من الآفات في هذا المسرى وزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس إلى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا أقسم أي أقسم إنه لقول رسول كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم أي في السماء أمين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل عليه السلام فترجع الأوصاف إليه ولقد رآه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قيل رأى ربه عز وجل وقيل رأى جبريل عليهما السلام في صورته وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم ❁ ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون الآيات أقسم تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصه الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه سبحانه وتعالى

بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال تبارك وتعالى وإن لك لأجرا غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد ❁ فقال وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله جل وتعالى قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع أفضاله ثم سلاه تعالى عن قولهم بعد هذا بما وعده صلى الله عليه وسلم به من عقباه وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون بأييكم المفتون الثلث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله تعالى فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصدق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله تعالى سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله تعالى له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده صلى الله عليه وسلم

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والإكرام قال الله تبارك وتعالى طه ما أنزلنا عليك

القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه الصلوة والسلام وقيل اسم لله
تعالى ❁ وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان
قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي ❁ وقيل هو أمر من الوطء والهاء
كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد
على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل ❁
أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي
إجازة ومن أصله نقلت قال حدثنا أبو ذر الحافظ قال حدثنا أبو محمد الحموي
حدثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم ابن
القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد
ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن
المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه عليه الصلوة والسلام كما قيل أو جعل
قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل
نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله تعالى أيضا لعلك باخع نفسك
ألا يكونوا مؤمنين ثم قال تعالى إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت

أعناقهم

أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر
وهون عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أنه من تمادى على ذلك يحل به ما حل
بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من
قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا
ساحر أو مجنون عزاه الله تعالى بما أخبره به عن الأمم السالفة ومقالها
لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه
ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله تعالى فتول
عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت
ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر على أذاهم فإنك
بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى والله
المستعان الفصل السابع فيما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته عليهم عليهم الصلوة والسلام
قال الله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
إلى قوله من الشاهدين ❁ قال أبو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية

قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا
صلى الله عليه وسلم ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به وقيل
أن يبينه لقومه وأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاءكم
الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه
العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه
ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت
فضله من غير وجه واحد قال الله تبارك وتعالى وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال عز وجل إنا أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح إلى قوله وكيلا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال
في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك
وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق
وآخرهم في البعث ❁ فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال

السمرقندي

السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم
وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر
قال تبارك وتعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال أهل
التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه
بعث إلى الأحمر والأسود ❁ وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات
وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه
وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم
وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي ويا أيها الرسول
وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم
أي أن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي إنه من شيعة محمد لإبراهيم
أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح
صلوات الله عليهم أجمعين ❁ **الفصل الثامن** في إعلام الله عز وجل خلقه
بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه صلى الله عليه وسلم ❁
قال الله تبارك وتعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت
بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين
نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ❁ وهذا مثل قوله
تعالى لو تزيلوا الآية ❁ وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات

الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن
المسجد الحرام ❁ وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرئه
العذاب عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت
مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية أيضا تأويل آخر ❁
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا أبو الفضل
بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرة حدثنا
أبو علي السنجي حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ
حدثنا سفين بن وكيع حدثنا ابن نمير عن إسمعيل بن إبرهيم بن مهاجر عن
عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ❁ فإذا مضيت تركت
فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن ❁ قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم
ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظروا
البلاء والفتن وقال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية

أبان الله تعالى

١٧

أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته
وأمر عباده بالصلوة والتسليم عليه والصلوة من الملائكة ومنا دعاء له
ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه
صلى الله عليه وسلم تسليما وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
أن الكاف من كاف أي كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام قال
الله تعالى أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما
والياء تأييده قال أيدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس
والصاد صلاته عليه قال إن الله وملائكته يصلون على النبي وقال
تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل الآية مولاه أي وليه
وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر وعمر وقيل علي
رضي الله عنهم وقيل المؤمنون على ظاهره والله الموفق للصواب ❁

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم

تسليما قال الله تعالى ❁ إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق
أيديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله
تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله
بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو

كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم
أراد غفران ما وقع وما لم يقع أى أنك مغفور لك وقال مكى جعل المنة
سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله الا هو منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم
قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطايف
وقيل نرفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع
متكبرى عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته
الصراط المستقيم المبلغ الى الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته
على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التى جعلها فى قلوبهم وبشارتهم
بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه فى
الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال
تبارك وتعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد محاسنه
وخصايصه منها شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا
لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب
وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى
وتعزروه أى تجلوه وقيل تنصروه وقيل تبالغون فى تعظيمه وتوقروه
أى تعظموه وقرأ بعضهم تعززوه بزايين من العز والأكثر والأظهر أن
هذا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله

تبارك وتعالى قال ابن عطاء جمع للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة
نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الاجابة والمغفرة وهى من أعلام
المحبة وتمام النعمة وهى من أعلام الاختصاص والهداية وهى من أعلام الولاية
فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية
وهى الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن
جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الأعلى
وحفظه فى المعراج حتى ما زاغ وما طغى وبعثه الى الأحمر والأسود وأحل
له ولأمته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره
بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركنى التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان أى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك
يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته
وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم
اياه وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله
تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وان كان الأول فى باب المجاز وهذا فى باب الحقيقة لأن القاتل
والرامى فى الحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه
ومسببه ولأنه ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت

حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد
قيل في هذه الآية الأخرى أنها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته
أي ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب
ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي إن منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو
القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم

الفصل العاشر

فيما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تبارك وتعالى من قصة
الإسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته
وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس
بقوله والله يعصمك من الناس وقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية
وقوله إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة
من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في أمره والأخذ على
أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر
لهم في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك
حسب ما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ❁
ومنه قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو
الأبتر أعلمه الله تعالى بما أعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل

الخير الكثير

١٩

الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال تعالى إن شانئك هو الأبتر
أي عدوك ومبغضك والأبتر الحقير الذليل أو المفرد الوحيد أو الذي لا
خير فيه ❁ وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
قيل السبع المثاني السور الطوال ❁ الأول القرآن العظيم أم القرآن
وقيل السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني
ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم وآتيناك
نبأ القرآن العظيم وقيل سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة
وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الأنبياء
وسمى القرآن مثاني لأن القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك
بسبع كرامات الهدى ❁ والنبوة ❁ والرحمة ❁ والشفاعة ❁ والولاية
والتعظيم ❁ والسكينة ❁ وقال عز وجل وأنزلنا إليك الذكر الآية
وقال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية قال فهذه من خصائصه
وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم
بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال
صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعالى النبي أولى

حاشية
عن شيخنا الحافظ ... عفا الله عنه
القصص بكسر القاف جمع قصة ونحوها
والخبر ولذا لا يعد وبالفتح مصدر قص يقص
قصصا حسنا ومنه
قوله تعالى لقد كان في قصصهم عبرة
ونحن نقص عليك أحسن القصص

بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم قال أهل التفسير أولى
بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر ونهي فهو ماض عليهم كما
يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس
وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم
بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن أزواج له في الآخرة وقد قرئ وهو
أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال تعالى وجل وأنزل
الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق
له في الأزل ❁ وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية
التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم تسليما ❁ **الباب الثاني**
في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث
عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجلال والكمال في البشر
نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب
ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى ثم هي على فنين أيضا منها
ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري المحض
فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال
خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه

وأعضائه

وأعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به
ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه
وماله وجاهه ❁ وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها
التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة
وقوانين الشريعة وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية
والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل
والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة
والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها
وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة
وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن
تكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله تعالى
وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة
ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا
في موجب حسنها وتفضيلها ❁ **فصل** إذا كانت خصال الكمال والجلال
ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت
له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة
حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب

أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من
اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا
ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة
والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو
والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة
بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة
والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة
للعالمين وإعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو
عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر
ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله وصلوة الله والملائكة
والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم
باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى وإسماع الصم
ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب
الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى
وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا

خ ورحمة العالمين

مانحه ذلك

مانحه ذلك ومفضله به لا إله إلا هو إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل
الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي
تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم ❁ فصل ❁
إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم
أعلى الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت
في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا ❁ فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا
النبي الكريم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة
وفي جبلة الخلقة وجدته صلى الله عليه وسلم حائزا لجميعها محيطا بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع
أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار
الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة
والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن
سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وأبي الطفيل والعداء بن
خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من أنه
صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب
الأشفار ❁ أبلج أزج أقنى أفلج ❁ مدور الوجه ❁ واسع الجبين كث

اللحية تملأ صدره * سواء البطن والصدر واسع الصدر * عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والأسافل * رحب الكفين
والقدمين * سائل الأطراف أنور المتجرد * دقيق المسربة ربعة القد
ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد * ومع ذلك فلم يكن يماشيه
أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام إذا تكلم رئي
كالنور يخرج من ثناياه أحسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك
البدن ضرب اللحم * قال البراء ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء
أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال أبو هريرة ما رأيت
شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه
صلى الله عليه وسلم وإذا ضحك يتلألأ في الجدر * قال جابر بن سمرة
وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف
فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا * وقالت أم معبد في بعض ما
وصفته به أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب صلى الله عليه
وسلم تسليما كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون * وفي
حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر * وقال
علي رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة

أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والأحاديث
في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه
نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد إلى المطلوب إن شاء الله
تعالى وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك
إن شاء الله تعالى * **فصل** * وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه
ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك
بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر
وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة * حدثنا سفين
بن العاص وغير واحد قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا أبو العباس الرازي
حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا
جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال ما شممت عنبرا قط
ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر
بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا
كأنما أخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح
المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين
الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أنس
فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها صلى الله عليه وسلم

عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري
في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر
في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه ❁ ذكر إسحق
بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى
الحربي عن جابر أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت
خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين بأخباره
وشمائله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم
وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله
عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي الخلاء فلا يرى منك
شيء من الأذى فقال لها يا عائشة أوما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج
الأنبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال
قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول
بعض أصحاب الشافعي حكاه الإمام أبو نصر بن الصباغ في شامله وقد
حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع
في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية
وشاهد هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب

ومنه حديث

ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر
إلى ما يكون من الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح
طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال أبو بكر حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه إياه وتسويغه
صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله
بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم
منك ولم ينكره عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال
لها لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن
عوده وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم الدارقطني مسلما
والبخاري إخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة وقيل هي أم أيمن
واختلف في نسبها وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره
يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل
عنه بركة فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم روى حديثها
ابن جريج وغيره وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي
في بعض الروايات عن أمه آمنة أنها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن
عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن

علي رضي الله عنه أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى
أحد عورتي إلا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله
عنهما أنه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ
قال عكرمة لأنه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا **فصل** وأما وفور
عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته
وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل
تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع
عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون
تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله
وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه وقال
وهب ابن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي
صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية أخرى
فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها
من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال
الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام
في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين وفي الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم إني لأراكم من وراء

خ وسياسته للعامة

خ من خواصه

خ لتحقيقه

ظهري

ظهري ونحوه عن أنس في الصحيحين وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت
زيادة زاده الله تعالى إياها في حجته وفي بعض الروايات إني لأنظر
من ورائي كما أنظر إلى من بين يدي وفي أخرى إني لأبصر من قفاي
كما أبصر من بين يدي وحكى بقي ابن مخلد عن عائشة رضي الله عنها
كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والأخبار
كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ۞ ورفع
النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة
حين بنى مسجده وقد حكي عنه أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما
وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب
بعضهم إلى ردها إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة في ذلك وهي من
خواص الأنبياء وخصالهم كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل
من كتابه ۞ حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا أم القاسم
بنت أبي بكر عن أبيها حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسيني
حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان حدثنا محمد بن
محمد بن مرزوق حدثنا هاني حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله
لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة

حاشية
كان في الأصل هشام وهو خطأ والصواب
هاني كما أصلح وهو هاني بن يحيى
السلمي وشيخه هو الحسين بن أبي جعفر
الجفري أحد الضعفاء وقد رواه أبو
القاسم الطبراني عن أحمد بن الحسين
ابن تمام البصري الأيذجي حدثنا محمد
ابن مرزوق البصري حدثنا هاني فذكره
وقال في آخره لم يروه عن قتادة
إلا الحسن بن أبي جعفر تفرد به
هاني بن يحيى والله أعلم

عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا أن تخص نبينا عليه الصلوة والسلام بما
ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى
وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه إلى
الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث
مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة
رضي الله عنه ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مشيه كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته
أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت معا وإذا مشى مشى تقلعا كأنما
ينحط من صبب **فصل** وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل
سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة
معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب
فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها
حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله
من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار
وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي
وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم

من أقيال حضرموت

من أقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه إلى همدان إن لكم فراعها
ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصدقة الثلب والناب
والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح
وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها
وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام
الصلوة كان مسلما ومن آتى الزكوة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا
الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في
الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة
الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا
الإماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى
فعليه الربوة وفي كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر إلى الأقيال
العباهلة والأرواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الألياط
ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه
مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم
في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على

الأقبال أين هذا من كلامه صلى الله عليه وسلم في الصدقة المشهور لما
كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط وأكثر استعمالهم
هذه الألفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث
الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي
فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك أي سل عما شئت وهي لغة بني عامر ❁
وأما كلامه المعتاد صلى الله عليه وسلم وفصاحته المعلومة وجوامع
كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها
ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله
عليه الصلوة والسلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم
أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب
ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له ❁ والناس معادن وما هلك
امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله
عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم ❁ وقوله عليه الصلوة والسلام
أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن أحبكم إلي وأقربكم مني
مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون

ويؤلفون

ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله
صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل
وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات
ووأد البنات وقوله عليه الصلوة والسلام اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله خير الأمور أوسطها ❁
وقوله أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما. وقوله
الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله عليه الصلوة والسلام في بعض دعائه
اللهم إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي
وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي
وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم إني أسألك الفوز في القضاء
ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء إلى ما روته الكافة
عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده
مما لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم نزل من ذلك مرقبة لا يقاس بها غيره
وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها
ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله عليه الصلاة والسلام
حمي الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد
من وعظ بغيره في أخوات لها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به

الفكر في أداني حكمها وقد قال له أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني ❁ وإنما أنزل القرآن
بلساني لسان عربي مبين وقال مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت
في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها
ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده
الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت أم معبد في وصفها له صلى الله
عليه وسلم حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات
نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم تسليما ❁

فصل وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج إلى إقامة
دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني هاشم وسلالة
قريش وصميمها وأفضل العرب وأعزها نفرا من قبل أبيه وأمه ومن
أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده ❁ حدثنا القاضي الحسين
بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي أبو الوليد سليمن بن خلف حدثنا أبو
ذر عبد بن أحمد حدثنا أبو محمد السرخسي وأبو إسحق وأبو الهيثم حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب
بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى

وأشرف

كنت من القرن

كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله
عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل
فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم
نفسا وخيرهم بيتا صلى الله عليه وسلم تسليما وعن واثلة بن الأسقع رضي
الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم
إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا
حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري أنه
صلى الله عليه وسلم قال إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار
بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار
قريشا فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم أزل خيارا من خيار
ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض فببغضي أبغضهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق
آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله
آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في
صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام

الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا
الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فصل
وأما ما تدعو ضرورة الحيوة إليه مما فصلنا فعلى ثلاثة ضروب ضرب
الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الأحوال فيه
فأما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العلماء والعرب والحكماء تتمادح بقلتهما
وتذم بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص
والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والأخرة جالب لأدواء الجسد
وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس
وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما أن كثرة
النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب
للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته
وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل
متواترا من كلام الأمم المتقدمة والحكماء السالفين وأشعار العرب
وأخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا نحتاج إلى
الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين بالأقل هذا ما لا يدفع من سيرته

وهو الذي أمر به

وهو الذي أمر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر ❁ حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا
ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمن بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن
صالح حدثني معوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي
كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا
من بطنه حسب المسلم اكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث
لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولأن كثرة النوم من كثرة الشرب
والأكل قال سفين الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال
بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على
ضفف أي كثرة الأيدي وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي
صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه
إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا
بحديث بريرة وقوله ألم أر البرمة فيها لحم إذ لعل سبب سؤاله ظنه
صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فأراد بيان سنته إذ رآهم
لم يقدموه إليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه
وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة

حاشية قال القاضي عياض قال ابو عبيد أصبهان بكسر الهمزة وقال بعضهم بفتحها وأهل خراسان بالفاء مكان الباء وقال الكاشغري في كتاب مجمع الغرائب كسر الهمزة هو الفصيح بالباء كان أو بالفاء

قال الحافظ المزي المعروف من لغاتها فتح الهمزة والباء مفتوحة لا غير وقد تبدل الباء فاء أيضا فيقال أصفهان والله اعلم

حاشية المزي الأكلة بفتح الهمزة المرة من الأكل وبضم الهمزة ثم سكون الكاف اللقمة وجمعها أكلات بفتح ما يجعل في الفم وضمها من ضم الهمزة

لقمان يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الأعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع
وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا ❁
والاتكاء هو التمكن للأكل والتقعد في الجلوس له كالتربع وشبهه من
تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة
يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه
للأكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد
وأجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند
المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك
الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال إن عيني تنامان ولا ينام قلبي ❁
وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على الجانب
الأيسر أهدأ للقلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ
لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول
وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة ولم يغمره
الاستغراق ❁ فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته
والفخر بوفوره كالنكاح والجاه أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة
فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة

بالجلوس
الاستثقال

قال شيخنا الحافظ جلال الدين ... رضي الله عنه من النوادر العجيبة ... النكاح مع قلة الأكل ... للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة

والتمادح به

والتمادح به سيرة ماضية وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال
ابن عباس أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه صلى الله عليه وسلم
وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا فإني مباه بكم الأمم ونهى عن
التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله
عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن
للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله
قد حبب إلى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد
كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في
ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد أن
يلقى الله عزبا فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا
يحيى بن زكريا قد أثنى الله تعالى عليه أنه كان حصورا فكيف يثني الله عليه
بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام قد تبتل من النساء
ولو كان كما قررته لنكح فاعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حصور ليس
كما قال بعضهم إنه كان هيوبا أو لا ذكر معه بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالأنبياء عليهم الصلوة
والسلام وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر
عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء

فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها
موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله تعالى
كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات
حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها
ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي
لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه عز وجل بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن
وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من
دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين من امور دنيا
غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج
وللقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه
ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته
وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في
الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى عليهم الصلوة في كفاية فتنتهن وزاد
فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا
واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا

عن انس

عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي
قوة ثلثين خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي النبي
صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم
وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع
وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب
وقد قال سليمن عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او
تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمن عليه
السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلث مائة امراة وثلث مائة سرية وحكى
النقاش سبع مائة امراة وثلث مائة سرية وقد كان لداود عليه السلام
على زهده واكله من عمل يديه تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا
مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه الصلوة والسلام فضلت على
الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه
فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال
تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة
فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده

وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الأرض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق من رؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هون عليك فإني لست بملك الحديث فأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره

فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة ○ وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وإنما هو للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا متمدح عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه إذ ما بيده من المال الموصل إليها لم يسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى

فضيلة

به المسلمين وقال عليه الصلاة والسلام ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت
عندي منه دينار إلا دينارا أرصده لدين ۞ وأتته دنانير فقسمها وبقيت
منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن
استرحت ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله
واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد
فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن
والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضر إذ المباهات في الملابس والتزين بها ليست من خصال
الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب
والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي
إلى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه عند
الناس إنما تعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك
التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته
ومن ملك الأرض وجبي إليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز
لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائدة
عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها فصل وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب

الشريفة

الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق
الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد
السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي
المسماة بحسن الخلق والاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط
فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله
عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى أثنى الله تعالى
عليه بذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله عليه
وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق قال أنس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ۞ وعن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه مثله ۞ وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته
وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية
ربانية وهكذا سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ومن
طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى
وموسى ويحيى وسليمن بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا
العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا
قال المفسرون أعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه

وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال
ألِلّعب خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو
في بطن امه وكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك
تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه
بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي
عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا وقال تعالى ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر
من حكم سليمن وهو صبي يلعب في قضية المرجومة وفي قصة الصبي ما
اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك
اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل
وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل
اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره ❀ وقال ابن عطاء اصطفاه قبل
ابداء خلقه ❀ وقال بعضهم لما ولد ابرهيم عليه السلام بعث
الله اليه ملكا يأمره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال
قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة ❀ وان ابتلاء اسحق بالذبح

وهو ابن سبع

وهو ابن سبع سنين ❀ وان استدلال ابرهيم بالكوكب والقمر والشمس
كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما
هم اخوته بالقائه في الجب يقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم
هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت
وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه
الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم
لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما
كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن
الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم
حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل
هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال
الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم
يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
الاكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض
الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان وكما نجد
بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس

فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذه الخلق
جبلة أو مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جبلة
وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو
والصواب ما أصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء
وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكن نذكر أصولها
ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله تعالى

فصل أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي
منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة
الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل
وقد أشرنا إلى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية
التي لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله من ذلك وما يتفرع منه متحقق
عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن
شمائله ❁ وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل
والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب

الأمثال

الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب
النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه
عليه الصلاة والسلام فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب
والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك كما سنبينه في معجزاته
صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة
كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف بشيء من
ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول
بسرد الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط
به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم إلى سائر
ما علمه الله تعالى وأطلعه عليه من علم ما كان وما يكون وعجائب
قدرته وعظيم ملكوته قال جل وعز وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما ❁ حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست
الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه ❁ **فصل** ❁
وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين
هذه الألقاب فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب
المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها

الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله
مما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف
الآية روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية
سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم
ذهب ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما أصابك الآية وقال
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية
وقال ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ولا خفاء بما يؤثر
من حلمه واحتماله وأن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى
إسراف الجاهل إلا حلما ❁ حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن
علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد
القاضي وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى
الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن
كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروي أن

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج في وجهه يوم أحد
شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي
عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا
ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي
وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر
لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه انظر ما
في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق
وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على
السكوت عنهم حتى عفا ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم
فقال اللهم اغفر أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله
لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل
اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له
ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل إن لم
أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله ولما
تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم

منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك
مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية
التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ
لبيد ابن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه
من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل
بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس رضي الله عنه كنت
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه
ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك
لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم
قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت
بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله
عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة

رضي الله عنها

رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها
قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئا قط الا ان
يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء اليه برجل فقيل هذا
اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت
ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا
عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم
يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه
وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا
منك احوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال
صلى الله عليه وسلم لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده
عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول
ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين لم
اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبره
بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه الصلاة والسلام
وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه
مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره
على مقاسات قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة منهم

إلى أن أظهره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال
شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عفى وصفح وقال ما تقولون
أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي
يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا
فأنتم الطلقاء وقال أنس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم
عنهم الآية وقال لأبي سفين وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب
وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفى عنه ولاطفه في القول ويحك يا أبا
سفين ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك
وأوصلك وأكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد
الناس غضبا وأسرعهم رضا صلى الله عليه وسلم تسليما كلما ذكره
الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ❁ فصل وأما الجود
والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها
بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه أيضا جرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد التشاكس والسخاء سهولة الإنفاق

وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه
وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي أبو الوليد
الباجي ثنا أبو ذر الهروي حدثنا أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد السرخسي
وأبو إسحق البلخي ❁ حدثنا أبو عبد الله الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد
ابن كثير أخبرنا سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل
النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وعن أنس وسهل بن سعد مثله
وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير
وأجود ما يكون في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير
من الريح المرسلة وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى
قومه فقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وأعطى غير
واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت
خلقه صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال له ورقة إنك لتحمل
الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف
وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل إليه تسعون ألف
درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا

شئٍ قضينا ، فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي
العرش إقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال
بهذا أمرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء أتيت النبي صلى الله
عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء
كفه حليا وذهبا وقال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر
شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن أبي هريرة
رضي الله عنه أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه
وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل

فصل

وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة
النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان
النبي صلى الله عليه وسلم منها بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة
وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر
ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه
صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو علي الجياني فيما كتب إلي قال حدثنا
القاضي سراج حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا أبو زيد الفقيه حدثنا

محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة
عن أبي إسحق سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال
لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفين آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب قيل فما رئي
يومئذ أحد كان أشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم
عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى
المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو
الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفين آخذ بركابه
ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا غضب لا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رأيت أشجع
ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى ولا أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال علي رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى اشتد البأس
واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد
أقرب إلى العدو منه صلى الله عليه وسلم ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس
يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم

إذا دنى العدو لقربه منه وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن
الناس وأجود الناس وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق
ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم
إلى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه
وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم
كتيبة إلا كان أول من يضرب ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو
يقول أين محمد لا نجوت إن نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم
حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك
عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه
يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه
رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه
وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه
تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه
وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل
كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا
بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك
والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة فصل

وأما

وأما الحياء والإغضاء والحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل
ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله والإغضاء التغافل عما
يكرهه الإنسان بطبيعته فكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس
حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله سبحانه إن ذلكم
كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية ۞ وحدثنا أبو محمد بن عتاب
رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا أبو القسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن
القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل
حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله
مولى أنس عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في
وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه
أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله
عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا
وكذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا
يسمي فاعله وروى أنس رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة
فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له
يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله

عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكنه يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من
رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه صلى الله عليه
وسلم أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما
اضطره الكلام إليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل وأما حسن عشرته وأدبه
وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام
كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم
عشرة حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما أجازنيه
وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا هشام أبو مروان ومحمد
بن المثنى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي
كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن قيس بن سعد
قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما
أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال قيس

قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما
أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت وفي رواية أخرى اركب أمامي فصاحب
الدابة أولى بمقدمها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم
ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه
ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه
من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن
سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن
أبي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا
غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا
يؤيس منه وقال الله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي أحسن الآية
وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت
كراعا ويكافئ عليها قال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لي لشيء صنعته لم صنعته ولا
لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن

خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته
إلا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم وكان يمازح أصحابه ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد
والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر
قال أنس ما التقم أحد أذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى
يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها
الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه
بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه
حتى يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره
بالوسادة التي تحته ويعزم في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه
ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى
يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام وروي أنه كان
لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ
عاد إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل
عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد الله بن الحرث ما رأيت أحدا أكثر
تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس كان خدم المدينة

يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء
فما يأتونه بآنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون
به التبرك صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
فصل وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال سبحانه وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه الصلوة والسلام
أن الله تبارك وتعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف
رحيم وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك ❁ حدثنا الفقيه أبو
محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه قال حدثنا إمام الحرمين أبو علي
الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا
إبرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو الطاهر أخبرنا ابن
وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن
أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن
المسيب أن صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق
إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي وروي أن أعرابيا جاءه
يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت

فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال هل أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر

ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله عليه الصلوة والسلام لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته ورغبته

لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيمة ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليهما الصلوة والسلام فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن جبريل قال للنبي عليهما الصلوة والسلام إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك فقال أوخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن إسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا أبو بكر

محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الجمال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا
ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان
حدثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق
عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع
قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم
ذكرت بعد ثلث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا
ها هنا منذ ثلث أنتظرك وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة
أنها كانت تحب خديجة وعن عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على
خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها
واستأذنت عليه أختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها
وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا أيام خديجة
وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي
رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو أفضل منهم وقال صلى الله عليه
وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها
ببلالها وقد صلى عليه الصلوة والسلام بأمامة ابنة بنته زينب
يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن أبي قتادة وفد

وفد للنجاشي

وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه
يكفيك فقال انهم كانوا لأصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم
ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له
بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك
ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط
لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمر
بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما
فأقبل ابوه من الرضاعة فوضع بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع
لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان يبعث
الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من
بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت
له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق ❁ فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه
ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واعدمهم كبرا وحسبك انه

خيرًا أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا فقال له
إسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم
يوم القيمة وأول من تنشق الأرض عنه وأول شافع ❁ حدثنا أبو
الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة
سبع وخمسمائة قال حدثنا أبو علي الحافظ ❁ حدثنا أبو عمر حدثنا
ابن عبد المؤمن ❁ حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود حدثنا أبو بكر
ابن أبي شيبة ❁ حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن
أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم متوكئًا على عصا فقمنا فقال لا تقوموا كما تقوم
الأعاجم يعظم بعضها بعضًا وقال عليه الصلوة والسلام إنما أنا
عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه
وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء
ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس
وفي حديث عمر رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت
النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن أنس أن
امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت إن لي إليك حاجة قال اجلسي
يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك

قال فجلست

قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها
قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب
دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف
عليه إكاف قال وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب
صلى الله عليه وسلم قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على
رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله
حجًا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الأرض وأهدى في حجه
ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ
على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعًا لله تعالى ومن تواضعه
صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على أخي يونس ابن متى ولا تفضلوا
بين الأنبياء ولا تخيروني على موسى ونحن أحق بالشك من إبرهيم
ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي وقال للذي قال
له يا خير البرية ذاك إبرهيم وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث
بعد هذا إن شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم
في صفته صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته
في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم
نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم

ويطحن معها وتحمل بضاعته من السوق وعن أنس أن كانت الأمة من إماء
أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال
له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد
وعن أبي هريرة قال دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى
سراويل وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى يد
النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم
بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت
لأحمله فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله ❁ فصل وأما
عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله
عليه وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة
منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته
الأمين قال ابن إسحق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق
الصالحة وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على أنه محمد
صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة في
من يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
داخلا وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به

وعن الربيع

وعن الربيع بن خثيم رضي الله عنه كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم
والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ❁ حدثنا أبو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه ❁ حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو يعلى
بن زوج الحرة حدثنا أبو علي السنجي ❁ حدثنا محمد بن محبوب المروزي
حدثنا أبو عيسى الحافظ ❁ حدثنا أبو كريب حدثنا معوية بن هشام
عن سفين عن أبي إسحق عن ناجية ابن كعب عن علي أن أبا جهل قال
للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل
الله تعالى فيهم فإنهم لا يكذبونك الآية ❁ وروى غيره لا نكذبك
وما أنت فينا بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل
يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
تخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله إن محمدا
لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه أبا سفين فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال
النضر بن الحرث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم
فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه
الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر

وفي الحديث عنه ما مست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي
رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم أصدق الناس لهجة وقال
في الصحيح ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل
قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في
أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد
الناس منه قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح
يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم
الشمس للحوائج ❀ قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة أجزاء جزأ لله وجزأ
لأهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين
بالخاصة على العامة ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه
من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر ❀
وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف
أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر أبو جعفر الطبري عن علي عنه
صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به
غير مرتين كل ذلك تحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت

بسوء حتى

بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت
لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى
جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم
فجلست أنظر فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت
ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك بسوء
فصل وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته
وحسن هديه فحدثنا أبو علي الجياني الحافظ إجازة وعارضت بكتابه
قال حدثنا أبو العباس الدلائي أخبرنا أبو ذر الهروي أخبرنا أبو عبد
الله الوراق ❀ حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا عبد الرحمن
ابن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمر
بن عبد العزيز عن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى
الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه
وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله
عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة أنه تربع وربما جلس القرفصاء
وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض
عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول

ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرًا له واقتداءً به مجلسه
مجلس حلم وحياء وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا
تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وفي صفته صلى الله عليه
وسلم يخطو تكفؤًا ويمشي هونًا كأنما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر
إذا مشى مشى مجتمعًا يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل أي غير ضجر
ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود إن أحسن الهدي هدي محمد
صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل قال ابن أبي هالة كان سكوته
على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثًا لو عده العاد
أحصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما
كثيرًا ويحض عليهما ويقول حبب إلي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلوة ✿ ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه
عن النفخ في الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك
وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة

فصل

وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة
ما يكفي وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه

يجذ ابزها

حاشية أي لا تذكر بسوء ○

حاشية الضجر مثله في القرآن حجرًا محجورًا أي منعًا للضعفة والزيادة إذا أعي بها منعًا للدنيا ذاته والعلة وهما لا يفضي فلان بكلمة ولا معرفة ○

ويستعملهما عليهما صح

حاشية البراجم رؤوس السلاميات من ظاهر الكف إذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت واحدتها برجمة والرواجب بطون السلاميات واحدتها راجبة والسلاميات واحدتها سلامى وهي العظام التي بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع ويقال لها القصب ○

يجذ ابزها وترادفت عليه فتوحها أن توفي ودرعه صلى الله عليه وسلم
مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتًا ✿ حدثنا سفين بن العاص والحسين بن محمد
الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا
أبو العباس الرازي قال حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفين
حدثنا أبو الحسين بن الحجاج حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا أبو
معوية عن الأعمش عن إبرهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها
قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة أيام تباعًا من خبز بر
حتى مضى لسبيله وفي رواية أخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو
شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية أخرى ما شبع آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت
عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا
ولا درهمًا ولا شاة ولا بعيرًا وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك إلا
سلاحه وبغلته وأرضًا جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله عنها ولقد
مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال
لي إني عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبًا فقلت لا يا رب أجوع يومًا
وأشبع يومًا فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك

حاشية هذا الحديث متفق عليه من رواية أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا. قال أهل الغريب واللغة معنى قوتًا أي ما يسد الرمق ذكره النواوي في الرياض.

حاشية ابن أبي شيبة هو صاحب المصنف روى عنه أربعة من أصحاب الكتب الستة البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة.

هذه الرواية الأولى تحت من صحيح مسلم من النسخ المعتمدة وما بعده يحتاج إلى النظر ○

حديث عمرو بن الحرث رواه البخاري

حاشية قولها شطر شعير أي شيء من شعير كذا فسره الترمذي ولفظه وهذا الحديث متفق عليه ولفظه في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني ○

وأما اليوم الذي أشبع فأحمدك وأثني عليك وفي حديث آخر أن جبريل
نزل عليه صلى الله عليهما وسلم فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول
لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أين كنت فأطرق
ساعة ثم قال يا جبريل أن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت
وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد
نارا إن هو إلا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وعن
عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان
صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن أنس رضي الله عنه قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خوان قط ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا
قط وعن عائشة رضي الله عنها إنما كان فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها
كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام
عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا
ذلك له فقال ردوه بحاله فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان

صلى الله عليه وسلم ينام

صلى الله عليه وسلم ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه
وعن عائشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا
قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن
كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه
ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
أبكي رحمة له مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي
وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من
هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل
ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم
وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت فما أقام
بعد إلا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه ورحمته الدائمة عليه
فصل وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه
ولذلك قال فيما حدثنا به أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال
حدثنا أبو القاسم الطرابلسي حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد
المروزي حدثنا أبو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا يحيى
بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة

كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى
أبي ذر إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها
أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله
والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء
على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة
تعضد ويروى هذا الكلام وددت أني شجرة من قول أبي ذر نفسه
وهو أصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انتفخت قدماه وفي رواية أنه كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له
أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون
عبدا شكورا ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة كان
عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق
وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه
عن ابن عباس وأم سلمة وأنس وقال كنت لا تشاء أن تراه من
الليل مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه
فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية

عذاب إلا

عذاب إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت
والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة
سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس
بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
وعن عائشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة
وعن عبد الله بن الشخير أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
ولصوته أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة
وقال صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي
سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني ❀ والحب
أساسي ❀ والشوق مركبي ❀ وذكر الله أنيسي ❀ والثقة كنزي ❀ والحزن
رفيقي ❀ والعلم سلاحي ❀ والصبر ردائي ❀ والرضى غنيمتي ❀ والفقر
فخري ❀ والزهد حرفتي ❀ واليقين قوتي ❀ والصدق شفيعي ❀ والطاعة
حسبي ❀ والجهاد خلقي ❀ وقرة عيني في الصلوة ❀ وفي حديث آخر
وثمرة فؤادي في ذكري ❀ وغمي لأجل أمتي ❀ وشوقي إلى ربي ❀ فصل
اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم

من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن
هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم وسلامه إذ رتبتهم أشرف الرتب
ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على
العالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم أن أول زمرة يدخلون الجنة على
صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة
أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث
أبي هريرة رأيت موسى فإذا رجل ضرب رجل أقنى كأنه من رجال شنوءة
ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر كأنما خرج
من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وأنا أشبه ولد
إبرهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كأحسن ما أنت راء من
أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله
تعالى من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى في ثروة من قومه
أي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة وروى الدارقطني من
حديث قتادة عن أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا صلى الله عليه وسلم تسليما

وفي حديث هرقل

50

وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في أنساب قومها وقال تعالى في أيوب إنا وجدناه صابرا
نعم العبد إنه أواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله ويوم يبعث
حيا وقال أن الله يبشرك بيحيى إلى الصالحين وقال إن الله اصطفى
آدم ونوحا وآل إبرهيم وآل عمران على العالمين الآيتين وقال في نوح
إنه كان عبدا شكورا وقال إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
إلى الصالحين وقال إني عبد الله آتاني الكتاب إلى ما دمت حيا وقال
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية
قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى
من جسده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما
الآية وقال في وصف جماعة منهم إني لكم رسول أمين وقال إن خير
من استأجرت القوي الأمين وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم
من الرسل وقال ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا إلى قوله
فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء
والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام حليم وقال ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم إلى أمين وقال ستجدني إن
شاء الله من الصابرين وقال في إسمعيل إنه كان صادق الوعد

عليم

الابيين وفي موسى أنه كان مخلصا وفي سليمن نعم العبد إنه أواب
وقال واذكر عبادنا إبرهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار
إنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار وفي داود إنه أواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ
عليم وفي موسى ستجدني إن شاء الله صابرا وقال عن شعيب ستجدني إن شاء
الله من الصالحين وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن
أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله وقال ولوطا آتيناه
حكما وعلما وقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفين
هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم
الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الأحاديث كثير كقوله عليه
الصلوة والسلام إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن إسحق بن إبرهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث
وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وروي أن سليمن عليه
السلام كان مع ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا
وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير
وأوحى الله تعالى إليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين ❁ وكانت
العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها

ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وأنت على خزائن الأرض قال أخاف
أن أشبع فأنسى الجائع وروى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم خفف
على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن
تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده قال الله تعالى وألنا له الحديد أن
اعمل سابغات وقدر في السرد ❁ وكان سأل ربه أن يرزقه عملا بيده
يغنيه عن بيت مال الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم وأحب الصلوة
إلى الله صلوة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس
الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج
شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره إلى
السماء حياء من ربه عز وجل ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى
نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده أخدودا وقيل
كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا
وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال أنا أكرم على الله
من أن يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت
أينما أدركه النوم نام وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له مسكين
وقيل أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل

في بطنه من الهزال وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر والقمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم وقال عيسى عليه السلام للخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني النطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب أن موسى عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما أكرمه الله من كلامه وأخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت إلى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين أو المفسرين مما يخالف هذا

فصل

قد أتيناك أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة ❁ والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر أوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الأدلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض

ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله ❁ حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمس مائة قال حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا أنا أبو القسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفين بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سألت خالي هند ابن أبي هالة قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال وأجاز لنا الشيخ أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد

بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي
قراءة عليه فأقر به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد ابن يحيى بن الحسن
بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل بن محمد ابن اسحق بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن
جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى ابن جعفر عن جعفر
ابن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن
بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجوا أن يصف لي منها شيئا
أتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب
عظيم الهامة رجل الشعر ❁ إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز
شعره شحمة اذنيه إذا هو وفره ❁ أزهر اللون ❁ واسع الجبين
ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب ❁
اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم ❁ كث اللحية
أدعج ❁ سهل الخدين ❁ ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان ❁ دقيق
المسربة ❁ كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ❁ معتدل الخلق

بادنا

بادنا ❁ متماسكا ❁ سواء البطن والصدر ❁ مشيح الصدر
بعيد ما بين المنكبين ❁ ضخم الكراديس ❁ أنور المتجرد ❁ موصول
ما بين اللبة ❁ والسرة ❁ بشعر يجري كالخط ❁ عاري الثديين
مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين ❁ وأعالي الصدر ❁ طويل
الزندين ❁ رحب الراحة ❁ شثن الكفين والقدمين ❁ سائل
الأطراف ❁ او قال سائن الأطراف ❁ سبط العصب ❁ خمصان
الأخمصين ❁ مسيح القدمين ❁ ينبو عنهما الماء ❁ إذا زال زال
تقلعا ❁ ويخطو تكفؤا ❁ ويمشي هونا ❁ ذريع المشية ❁ إذا
مشى كأنما ينحط من صبب ❁ وإذا التفت التفت جميعا ❁ خافض
الطرف ❁ نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ❁ جل نظره
الملاحظة ❁ يسوق أصحابه ويبدأ من لقي بالسلام ❁ قلت
صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الأحزان ❁ دائم الفكرة ❁ ليست له راحة ❁ ولا يتكلم في
غير حاجة ❁ طويل السكوت ❁ يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه
ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ❁ ليس بالجافي
ولا المهين ❁ يعظم النعمة وإن دقت ❁ لا يذم شيئا ❁ لم يكن يذم
ذواقا ولا يمدحه ❁ ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى

حاشية قال شيخنا الحافظ جمال الدين المزي متع الله بحياته الصحيح المعروف وفوه بزيادة هاء والفاء مشددة

وفي رواية مسيح بالسين

عريض

ينتصر له ❀ ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ❀ اذا اشار اشار بكفه
كلها واذا تعجب قلبها ❀ واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه
اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح ❀ واذا فرح
غض طرفه ❀ جل ضحكه التبسم ❀ ويفتر عن مثل حب الغمام قال
الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته عن هذا فوجدته
قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه
ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت ابي عن
دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه
مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء
جزأ لله تعالى ❀ وجزأ لاهله ❀ وجزأ لنفسه ❀ ثم جزأ جزأه
بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا
فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته
على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ❀ ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة
من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد
منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر

عنده الا ذلك

عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفين بن وكيع يدخلون
روادا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت
فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ❀ ويؤلفهم ولا يفرقهم
يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ❀ ويحذر الناس ويحترس منهم
من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ❀ ويسأل الناس
عما في الناس ❀ ويحسن الحسن ويصوبه ❀ ويقبح القبيح ويوهنه ❀
معتدل الامر غير مختلف ❀ لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا ❀ لكل
حال عنده عتاد ❀ لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره ❀ الذين يلونه من
الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة
احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه
فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا
على ذكر ❀ ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم
جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه
حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا
بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا

وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية
الأخرى وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر
وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته
وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويحفظون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلث من الرياء
والإكثار وما لا يعنيه ❁ وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا
ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه إذا تكلم
أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أوليهم
يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة
في المنطق ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يقبل
الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء
أو قيام هنا انتهى حديث سفين بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان

سكوته

سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس
وأما تفكره ففي ما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر
فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع ❁ أخذه بالحسن
ليقتدى به ❁ وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما أصلح أمته
والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة ❁ انتهى الوصف بحمد الله
تعالى فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب
أي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل
الممغط والشعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا
جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت من ذاتها فرقها وإلا تركها
معقوصة ويروى عقيصته وأزهر اللون نيره وهذا كما قال في الحديث
الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم والأمهق هو الناصع البياض
والآدم الأسمر اللون ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه
حمرة والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل
الأنف المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن
والأدعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين وأسجر

العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق
الأسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزز فيها كما يوجد في أسنان
الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر
والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا
مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم أي ليس بمسترخي
اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر أي مستويهما
ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة فيكون من الإتباع وهو أحد معاني
أشاح أي أنه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن
فيه وبه يصح قوله قبل سواء البطن والصدر أي ليس بمتقاعس الصدر ولا
مفاض البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في
الرواية الأخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام
وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش
رؤوس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما
والزندان عظما الذراع وسائل الأطراف أي طويل الأصابع وذكر
ابن الأنباري أنه روى سائل الأطراف أو قال سائن بالنون وهما
بمعنى واحد تبدل اللام من النون إن صحت الرواية بهما وأما على الرواية
الأخرى وسائر الأطراف فإشارة إلى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة

في الحديث ورحب الراحة أي واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء
والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي
لا تناله الأرض من وسط القدم ومسيح القدمين أي أملسهما ولذلك
قال ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا قال فيه إذا
وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح
القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم أي أنه لم يكن له أخمص
وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا أيضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع
هو رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل إلى سنن المشي وقصده والهون
الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه
رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل
ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب وقوله يفتتح
الكلام ويختمه بأشداقه أي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا
وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله
فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة
إليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر
بالعامة ويدخلون روادا أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون
إلا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه أن يكون على ظاهره أي في

الغالب والأكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة
المعاونة وقوله لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ للصلاة موضعاً معلوماً
وقد ورد نهيه عن هذا مفسراً في غير هذا الحديث وصابره أي حبس
نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم أي لا يذكرن بسوء
ولا تنثى فلتاته أي تتحدث بها أي لم تكن فيه فلتة وإن كانت
من أحد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله
ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل
إلا من مسلم وقيل إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه
وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه صلى الله عليه
وسلم منهوس العقب أي قليل لحمها وأهدب الأشفار أي طويل
شعرها ✿ انتهى التفسير والحمد لله رب العالمين ✿ وصلى الله على
محمد وآله الطيبين وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كراماته صلى الله عليه وسلم

تسليماً لا خلاف أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس
منزلة عند الله وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى واعلم أن الأحاديث
الواردة في ذلك كثيرة جداً وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها

وحصرنا معاني

وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلاً والحمد لله وحده

الفصل الأول فيما ورد بذكر مكانته عند ربه والاصطفاء

ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا
من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم ✿ أخبرنا
الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذناً بلفظه قال حدثنا
أبو الحسن الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها
حدثنا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى هو ابن إسمعيل عن يحيى الحماني
حدثنا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني
من خيرهم قسماً فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من
أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها
ثلثاً وذلك قوله أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقون فأنا
من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني
من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوباً وقبائل الآية فأنا
أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني
في خيرها بيتاً فذلك قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت الآية وعن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا

حاشية الحماني منسوب إلى قبيلة

حاشية: السابقون فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقون السابقون

يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد ❁
وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الله اصطفى من ولد إبرهيم إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم ومن حديث أنس أنا أكرم ولد آدم على ربي
ولا فخر ومن حديث ابن عباس أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر
وعن عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فقال
قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد ولم أر
بني أب أفضل من بني هاشم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد
تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم أهبطني
في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في
النار في صلب إبرهيم ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى
الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط وإلى
هذا أشار العباس بن عبد المطلب عمه فيه بقوله ❁ من قبلها طبت
في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ❁ ثم هبطت البلاد

لا بشر أنت

في بعض النسخ ه
وردت نار الخليل مكتتما تجول فيها
ولست تحترق

٥٨

لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق ❁ بل نطفة تركب السفين وقد ألجم
نسرا وأهله الغرق ❁ تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق ❁
في أبيات أخرى وروى عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عباس
وابن عمر وأبو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم أنه قال
أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة
شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته
الصلوة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس
كافة وأعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي
سل تعطه وفي رواية أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع
من المتبوع وفي رواية بعثت إلى الأحمر والأسود قيل الأسود
العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر
العجم وقيل البيض والسود من الأمم وقيل الحمر الإنس والسود
الجن وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة نصرت بالرعب وأوتيت
جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت
في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر رضي
الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم
وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض

حاشية
ذكر أبو عمر بن عبد البر هذه الأبيات
في كتاب الاستيعاب وزاد
آخرها
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف
علياء تحتها النطق ❁ وأنت لما
ولدت أشرقت الأرض وضاءت
بنورك الأفق ❁ فنحن في ذلك
الضياء وفي النور وسبل الرشاد
نخترق
خ تستبق
وقد فسرها أبو محمد بن قتيبة
في كتاب غريب الحديث

حاشية
يقال صلب وصلب وصالب

حاشية
قال الحافظ جمال الدين المزي
المشهور في الحديث فأيما رجل
بالفاء

السود خ

وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا
فيها وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه
وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنهما بعثت
بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم قال
قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبراهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت سليمن ملكا لا ينبغي
لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك الكوثر
وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الأرض
طهورا لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب
أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك
وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه أول من يدخل الجنة
معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب
وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصر والعزة والرعب
يسعى بين يدي أمتي شهرا وطيب لي ولأمتي المغانم وأحل لنا كثيرا مما
شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن أبي هريرة

عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي
فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين
بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ولم
يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن
عيانا لا خبرا إلى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا
القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى الله
عليه وسلم أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار
وقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط
عليها رسوله والمؤمنين وإنها لم تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي
ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم
لمنجدل في طينته ودعوة إبرهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على
أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على أهل
السماء قال إن الله تعالى قال لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه

الأية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا الأية
قالوا فما فضله على الأنبياء قال إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول
إلا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة
للناس وعن خالد بن معدان رضي الله عنه أن نفرا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه عن
أبي ذر وشداد بن أوس وأنس بن مالك فقال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم
يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت أمي حين
حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني
رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلثة رجال بطست من ذهب
مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري إلى
مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء
فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه قال في حديث
آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر
دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر الآخر
يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية أن جبريل قال قلب وكيع
أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال أحدهما لصاحبه

حاشية
المراق بتشديد القاف أسفل البطن وما حوله حيث استرق الجلد

حاشية
يأتي كثير من أسماء الأعضاء على مفعل بتكبير ومفرق

زنه بعشرة

زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني
بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه
عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الأخر ثم ضموني إلى
صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك
لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من
قولهم ما أكرمك على الله إن الله معك وملئكته قال في حديث أبي
ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد
مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عليه السلام عند
معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي
فقال له الله عز وجل من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من
الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند
قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وفي
رواية الأجري قال فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك
فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد
أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي
وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم

يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر ويروى عن سريج بن يونس أنه قال
إن لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما
منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء إذا
على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي وفي
التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما
قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجبا
لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن
إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب
من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا إله إلا الله محمد
تقي مصلح وسيد أمين ❁ وذكر السمنطاري أنه شاهد في بعض بلاد
خراسان مولودا ولد وعلى أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله وعلى الآخر
محمد رسول الله وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند وردا أحمر
مكتوبا عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله وروي عن
جعفر بن محمد عن أبيه إذا كان يوم القيمة نادى مناد ألا ليقم
من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه الصلوة والسلام

وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل
مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نموا ورزقوا وعن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه إن الله تعالى نظر إلى قلوب العباد فاختار منها
قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ❁
وحكى النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم
أن تؤذوا رسول الله الآية قام خطيبا فقال يا معشر أهل الإيمان
إن الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا
الحديث

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة

والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى وما رأى من
آيات ربه الكبرى صلى الله عليه وسلم تسليما ومن خصائصه عليه
الصلوة والسلام قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة
مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله تعالى
سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال عز وجل
والنجم إذا هوى إلى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف
بين المسلمين في صحة الإسراء به صلى الله عليه وسلم إذ هو نص القرآن
وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فيه أحاديث كثيرة منتشرة رأينا أن نقدم أكملها ونشير إلى

حاشية لابن ماكولا سريج بن يونس هذا هو المروذي أبو الحارث بغدادي سمع إسمعيل بن جعفر وهشيما وأبا سفيان المعمري وغيرهم وكان من الصالحين له مصنفات وتفسير وهو بالسين المهملة والجيم ... والله أعلم

زيادة من غيره يجب ذكرها ❁ حدثنا القاضي الشهيد أبو علي
والفقيه أبو بحر بسماعي عليهما والقاضي أبو عبد الله التميمي وغير واحد
من شيوخنا قالوا حدثنا أبو العباس العذري حدثنا أبو العباس الرازي
حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن
ملك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة
أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها
الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء جبريل
بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة
ثم عرج بي إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل من
معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا بآدم
صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى
بن زكرياء صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء
الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم

وإذا هو قد أعطى

وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء
الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى
ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا
بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله
فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر
مثله فإذا أنا بإبرهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو
يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة
المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها
من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من
حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال
ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت
بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي
فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون
ذلك فارجع إلى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى
وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة
عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة

فإن عملها كتبت له عشرًا ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا فإن
عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال
ارجع إلى ربك فسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رحمه الله جوّد ثابت رحمه
الله هذا الحديث عن أنس ما شاء ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا وقد
خلّط فيه غيره عن أنس تخليطًا كثيرًا لا سيما من رواية شريك بن أبي نمر
فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا إنما
كان وهو صبيّ وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل أن
يوحى إليه ❁ وذكر قصة الإسراء ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد أنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا
وقد روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضًا مجيء جبريل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه
قلبه تلك القصة مفردة من حديث الإسراء كما رواه الناس فجوّد
في القصتين وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى
كان قصة واحدة وأنه وصل إلى البيت المقدس ثم عرج به من هنالك
فأزاح كل إشكال أوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن أنس
قال كان أبو ذرّ يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

فرج سقف

فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغها في صدري ثم أطبقه
ثم أخذ بيدي فعرج بنا إلى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث
بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف
في ترتيب الأنبياء في السموات ❁ وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود
وقد وقعت في حديث الإسراء زيادات نذكر منها نكتًا مفيدة في غرضنا
منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبًا بالنبي الصالح والأخ
الصالح إلا آدم وإبرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من حديث ابن
عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وعن
أنس ثم انطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري
ما هي قال ثم أدخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته
يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل
من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي وفي حديث أبي هريرة وقد
رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلوة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلّم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث
أبي هريرة ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى الصخرة فصلى
مع الملئكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد

رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله
من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا
على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبرهيم وموسى وعيسى وداود
وسليمن ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال وأن محمدا صلى الله
عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربي
الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا
وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل
أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي
صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال
إبراهيم صلى الله عليه وسلم بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم
وفي حديث ابن مسعود وانتهي بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما
يهبط من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من
ذهب وفي حديث أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس فقيل لي هذه
سدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك وهي سدرة
المنتهى تخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير

طعمه وأنهار

طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة
يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وأن ورقة منها مظلة الخلق فغشيها
نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله إذ يغشى السدرة ما يغشى قال الله
تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد
وسخرت له الجبال وأعطيت سليمن ملكا عظيما وسخرت له الجن والإنس
والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى
التورية والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص وأعذته وأمه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى
قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وأرسلتك
للناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت
أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك
أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني ولم
أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي
لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما قال فأعطي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوة الخمس وأعطي خواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات وقال ما كذب

وعلمت موسى التورية وعيسى الإنجيل

خ خليلا خ الي

خ وفي الرواية الأخرى

الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث
شريك أنه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به
فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى لم أظن أن يرفع علي أحد
وقد روي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء ببيت المقدس
وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد الله تعالى أن
يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها
فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي
يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إني لأقرب
الخلق مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال
الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر
أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل له من وراء الحجاب
صدق عبدي أنا الله لا إله إلا أنا وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا
أنه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم أخذ
الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم أهل السماء فيهم آدم
ونوح قال أبو جعفر محمد ابن علي بن الحسين راويه أكمل الله

لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض قال
القاضي رحمه الله ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق
لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه إذ
الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم
وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا إنهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب وإذ خرج ملك
من الحجاب يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن
الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته
ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه
إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على أن هذا الحجاب
لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال
إليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله تعالى لا يجاوزها
علمهم وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف أي يلي
عرش الرحمن أو أمرا ما من عظيم آياته أو مبادي حقائق معارفه مما
هو أعلم به كما قال تعالى واسأل القرية التي كنا فيها أي أهلها وقوله
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر فظاهره أنه سمع في هذا
الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان

لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أي وهو لا يراه حجب بصره
عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه
فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن بصره
حتى رآه فالله أعلم

فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان
إسراء بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة إلى أنه
إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق
ووحي وإلى هذا ذهب معوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه
وإليه أشار محمد بن إسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي
أريناك وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله بينا أنا نائم وقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة
ثم قال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم
السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق
وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك
ابن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير
وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق
ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري
وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء

والمحدثين

والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد
يقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا وإلى السماء بالروح واحتجوا
بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا
فجعل إلى المسجد الأقصا غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة
والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة له بالإسراء
إليه ❁ قال هؤلاء ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصا
لذكره فيكون أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى صلى الله
عليه وسلم ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته
فيه وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زال عن ظهر البراق حتى
رجع قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح إن شاء الله
أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح
الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند
الاستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة إذ لو كان
مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى
ولو كان مناما ما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه
فيه ولا ارتد فيه ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا إنما كان عن جسمه وحال

يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية
أنس أو في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر
المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء
فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع
موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي إلى
السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف
الأقلام وأنه وصل سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره
قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا
رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا أنا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي فذكر ذلك ثلاثا فقال
في الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا بدابة وذكر خبر
البراق وعن أم هانئ ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا
وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل
الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا
قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي
ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون
وهذا بين في أنه بجسمه وعن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه أنه

قال للنبي

قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله البارحة
في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى وعن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم
المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاثة وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن
أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل
فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج
بي وعن أنس أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري وعن أبي
هريرة عنه صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن
مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط
فرفعه الله لي أنظر إليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب في حديث
الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت
عن جانبها

فصل في إبطال حجج من قال إنها نوم

احتجوا
بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس فسماها رؤيا
قلنا قوله سبحان الذي أسرى يرده لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله
فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص إذ ليس في الحلم فتنة
ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في

ساعة واحدة في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية
فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس
من ذلك وقيل غير هذا وأما قولهم أنه قد سماها في الحديث مناما وقوله
في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم
استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو
نائم أو أول حمله والإسراء به وهو نائم وليس في الحديث أنه كان نائما
في القضية كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام
فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه
وقد يكون قوله استيقظت وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من
عجائب ما طالع من ملكوت السموات والأرض وخامر باطنه من مشاهدة
الملإ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع إلى حال
البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام وجه ثالث أن يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء
حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض أصحاب الإشارات
إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله
تعالى وجل ولا يصح أن يكون هذا في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت

له في هذا الإسراء حالات وجه رابع وهو أن يعبر بالنوم هاهنا
عن هيئة النائم بالاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن
همام بينا أنا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا أنا
في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين
النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا
وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن
ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس
فهي منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في
صغره عليه الصلوة والسلام وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث
قبل أن يبعث والإسراء كان بإجماع بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع
من رواية أنس مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره
وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك
بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال
مرة كان أبو ذر يحدث وأما قول عائشة ما فقد جسده فعائشة
لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط
ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان فإن الإسراء
كان في أول الإسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث

بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام وقد قيل
كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والأشبه أنه
لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك
عائشة دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها
وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره وأيضا
فليس حديث عائشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا نعني حديث
أم هانئ وما ذكرت فيه خديجة رضي الله عنها وأيضا فقد روي في حديث
عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة
وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده لإنكارها
أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها منامًا لم تنكره
فإن قيل فقد قال تبارك وتعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل
ما رآه للقلب وهذا يدل على أنها رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين
وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد أضاف الأمر
للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أي
لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما أنكر قلبه
ما رأته عينه فصل وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز
فاختلف السلف فيها فأنكرته عائشة ❁ حدثنا أبو الحسين سراج ابن

عبد الملك

عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب
الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو الفضل الصقلي
حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي
حدثنا محمود بن آدم حدثنا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق
أنه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف
شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا
رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار الآية وذكر الحديث
وقالت جماعة بقول عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود
ومثله عن أبي هريرة أنه إنما رأى جبريل واختلف عنه وقال بإنكار
هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين
وعن ابن عباس أنه رآه بعينه ❁ وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه
وعن أبي العالية عنه أنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن إسحق أن
ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم
والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال
إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية ❁
وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه
نزلة أخرى قال الماوردي قيل إن الله قسم كلامه ورؤيته بين

حاشية: بفتح الصاد والقاف نسبة إلى صقلية بلدة في المغرب

موسى ومحمد صلى الله عليهما فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى
أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله
بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم
فنقول إن محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال
وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد
بقلبه وروى شريك عن أبي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه
وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم
أره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث
وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه
أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة ❁ وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب
عن ابن مسعود وحكى ابن إسحق أن مروان سأل أبا هريرة هل
رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال
أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس
أحمد قال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول
برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا

قال شيخنا الحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزي متع الله ببقائه حديث مالك بن يخامر هذا عن معاذ مبين في بعض الروايات أنه في النوم ○

لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن
وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن
مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال
رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره
للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسمعيل
الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه
وقال كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها
نبينا عليه الصلوة والسلام وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف
بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز
أن يكون قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والحق الذي
لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل
ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام
لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل
إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا
من علمه الله فقال له الله لن تراني أي لا تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب
له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه
ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع

دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الابصار
لاختلاف التأويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة
وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه
المبصرون ❁ وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه
ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا
انما هو تأويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى
وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه
سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر
الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا
وانه من نظر الي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
ان رؤية الله تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم
وكونها معرضة للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان
في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوة ثابتة باقية واتم انوار

ابصارهم

لاستحالتها خ

أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس
رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان
في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام
حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة
فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع
في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية
ما رأياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الآيتين
ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل
رأى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنباط ذلك والله اعلم
من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره
له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى
تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى رآه
وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل
من قال برؤية محمد نبينا عليه الصلوة والسلام له تعالى اذ جعله
دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الآيات نص بالمنع

خ صعقا

حاشية
قال شيخنا الحافظ المزي فسح الله
في مدته ومما يقوي هذا المعنى
حديث الدجال لما ادعى الربوبية
فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فاعلموا انه اعور وان الله ليس
باعور وان احدا منكم لن يرى
ربه حتى يموت روى هذا
الحديث مسلم في الصحيح

وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن ❁ وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا ❁ وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله تعالى وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره ❁ فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله سبحانه الموفق للصواب

فصل وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله تعالى إلى جبريل وجبريل إلى محمد عليهما الصلوة والتسليم إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري وذكره عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا عليه وعليهم الصلوة والسلام الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي بلا واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث الإسراء

ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه
فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي
أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر الكلمات الأذان مثل ذلك
ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه
وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع
قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى
كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة
على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة
بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى
بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد
سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء ورفع بعضهم فوق
بعض درجات

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر
الآيتين من الدنو والقرب من قوله تعالى دنى فتدلى فكان قاب قوسين
أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد
وجبريل عليهما الصلوة والسلام أو مختص بأحدهما من الآخر أو من
السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه

وسلم دنا فتدلى

احتمل خ

ويجعل خ

بلغ مقابلة على النسخة المنقول منها

الآية خ

وسلم دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل
هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب
تعالى دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه أي أمره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى
فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال
ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت
عني الأصوات وسمعت كلام ربي وعن أنس في الصحيح عرج بي جبريل
إلى سدرة المنتهى ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب
قوسين أو أدنى فأوحى إليه ربه ما أوحى وأوحى إليه خمسين صلاة
وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنى
محمد من ربه فكان كقاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه
ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر ابن محمد
والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال أيضا انقطعت
الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنى محمد
إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما
أدناه وزال الشك عن قلبه والارتياب قال القاضي أبو الفضل

رحمه الله اعلم أنما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله
فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق
ليس بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه إبانة
عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار
غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وبسط وتأنيس وإكرام ويتأول
فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا إلى السماء الدنيا على أحد الوجوه
نزول إجمال وإفضال وقبول وإحسان ❁ قال الواسطي من
توهم أنه بنفسه دنى جعل ثم مسافة بل كلما دنى بنفسه من الحق
تدلى صلى الله عليه وسلم بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا
بعد وقوله قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائدا إلى الله لا إلى
جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل
وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم
وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب وإظهار التحفي وإنافة
المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول في قوله تعالى
من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة
أي قربت بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول ❁

فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة صلى الله عليه

وسلم حدثنا القاضي

وسلم ❁ حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الفضل وأبو الحسين حدثنا
أبو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسين
بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع ابن
أنس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول
الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا
يئسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ❁
وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث أنا
أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا
أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرم
بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربه ولا فخر ويطوف علي ألف
خادم كأنهم لؤلؤ مكنون وعن أبي هريرة وأكسى حلة من
حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي يومئذ
آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر
وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم
القيمة وأول من تنشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع وعن

ابن عباس أنا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وأنا أول شافع وأول
مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلها معي
فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر
وعن أنس أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا
وعن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيمة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة
وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال أطمع أن أكون أعظم
الأنبياء أجرا يوم القيمة وفي حديث آخر أما ترضون أن يكون إبرهيم
وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال إنهما في أمتي يوم القيمة أما إبرهيم
فيقول أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك وأما عيسى فالأنبياء
إخوة بنو علات أمهاتهم شتى وأن عيسى ليس بيني وبينه نبي وأنا
أولى الناس به قوله أنا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في
الدنيا ويوم القيمة ولكن أشار صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه
بالسودد والشفاعة دون غيره إذ لجأ الناس إليه في ذلك
فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم
فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك
ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك

له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعي لذلك
في الدنيا ○ وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس
في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى وعن أنس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فأستفتح فيقول
الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك وعن
عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر
وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه
كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وعن أبي ذر نحوه وقال
طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله
وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب
كما بين المدينة وصنعاء وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن عمر
كما بين الكوفة والحجر الأسود وروى حديث الحوض أيضا أنس
وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي
والمستورد وأبو برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة
وزيد بن أرقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد
بن جبلة وأبو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة والبراء
وجندب وعائشة وأسماء بنتا أبي بكر وأبو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم

رضي الله عنهم أجمعين **فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة**
والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص عليه السلام على ألسنة
المسلمين بحبيب الله أخبرنا أبو القسم بن إبرهيم الخطيب وغيره عن
كريمة بنت أحمد بن محمد حدثنا أبو الهيثم وأخبرنا حسين بن محمد الحافظ
سماعا عليه حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا عبد بن أحمد حدثنا أبو الهيثم
حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن إسمعيل حدثنا عبد الله بن
محمد حدثنا أبو عامر حدثنا فليح حدثنا أبو النضر عن بسر بن سعيد عن
أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير
ربي لاتخذت أبا بكر وفي حديث آخر وإن صاحبكم خليل الله ومن طريق
عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال
فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال
بعضهم عجبا أن الله اتخذ إبرهيم من خلقه خليلا ❁ وقال آخر ماذا بأعجب
من كلام موسى كلمه الله تكليما ❁ وقال آخر فعيسى كلمة الله
وروحه ❁ وقال آخر وآدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال
قد سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبرهيم خليلا وهو كذلك ❁ وموسى
نجي الله وهو كذلك ❁ وعيسى روح الله وهو كذلك ❁ وآدم

اصطفاه الله

اصطفاه الله وهو كذلك ❁ ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد
يوم القيمة ولا فخر ❁ وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ❁ وأنا
أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر ❁ وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر ❁ وفي
حديث أبي هريرة من قوله الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
إني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية أنت حبيب الرحمن قال
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها
فقيل الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبته له اختلال
وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل
الخلة الاستصفاء وسمي إبرهيم خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي
فيه وخلة الله له نصره وجعله إماما لمن بعده ❁ وقيل الخليل أصله
الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي به إبرهيم
لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم يجعله قبل غيره إذ
جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال ألك حاجة قال أما
إليك فلا وقال أبو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب
الاختصاص بتخلل الأسرار وقال بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها
الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه تبارك

خ خليل

خ أنت

خ بها

حاشية هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك

وتعالى بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم
يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة
هنا أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال الله تعالى
إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ولا تكون عداوة مع خلة فإذا
تسمية إبرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام بالخلة إما بانقطاعهما
إلى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب
عن الوسائط والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي
ألطافه عندهما وما خالل بواطنهما من أسرار إلهيته ومكنون
غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه لهما واستصفائه لهما واستصفاء
قلوبهما عمن سواه حتى لم تخالطهما محبة لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو
كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا لكن أخوة الإسلام واختلف
العلماء وأرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة
فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلا ولا الخليل إلا حبيبا
لكنه خص إبرهيم بالخلة ومحمدا عليه الصلوة والسلام بالمحبة
وقال بعضهم درجة الخلة أرفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد أطلق المحبة لفاطمة وابنيها

وأسامة وغيرهم

وأسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة لأن درجة
الحبيب نبينا أرفع من درجة الخليل إبرهيم وأصل المحبة الميل إلى ما
يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق
وهي درجة المخلوق فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأغراض فمحبته
لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب
وإفاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه
وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فإذا أحببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا
ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع إلى الله والإعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله وإخلاص الحركات لله كما قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه
يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله قد تخللت مسلك الروح
مني وبذا سمي الخليل خليلا فإذا ما نطقت كنت حديثي وإذا ما سكت
كنت الغليلا فإذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله
عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول
من الأمة وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار إنما يريد

محمد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى
غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول
فزاده شرفا بأمرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي
عنه بقوله فإن الله لا يحب الكافرين وقد نقل الإمام أبو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة إشاراته
إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي إلى
ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نري إبرهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين والحبيب
يصل الحبيب من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل الذي
تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب
قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدي بالبشارة قبل السؤال والخليل
قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له حسبك الله والخليل قال واجعل لي
لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال
والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام والحبيب قيل له إنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وفيما

ذكرناه تنبيه

ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال
وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا وهو الموفق
للصواب والمستعان

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود صلى الله عليه وسلم تسليما

قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا
حدثنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني فيما كتب به إلي بخطه حدثنا
سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي أخبرنا أبو زيد وأبو أحمد
قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن إسمعيل قال حدثنا إسمعيل
بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول
إن الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون
يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي محمد صلى الله
عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا وعن أبي هريرة سئل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى أن يبعثك ربك
مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه صلى الله
عليه وسلم تحشر الناس يوم القيمة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني
ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك
المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فأمشي حتى
آخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن

أخبرنا

ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قيامه عن يمين العرش مقاما لا
يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون ❁ ونحوه عن كعب والحسن
وفي رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه وعن ابن مسعود قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال
ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على الحديث وعن أبي موسى
عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين
وعن أبي هريرة قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة قال
شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن أم
حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي بعدي
وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت
الله أن يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله
الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة
كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى محمد فيقول
لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهتدي من هديت
وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله

وقال ابن

وقال ابن عباس إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة
فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار
لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم أهل
الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكلهم يعتذر
حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود
ونحوه عن ابن مسعود أيضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير
سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم
قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار
وذكر حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس نحوه وقال
فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان المقام المحمود هو
الشفاعة في أمته يوم القيمة ومثله عن أبي هريرة وقال
قتادة كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم
القيمة وعلى أن المقام المحمود هو مقامه عليه الصلوة والسلام
للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين
وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الأخبار عنه عليه الصلوة والسلام
وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب أن لا تثبت

إذ لم يعضدها صحيح أثر ولا سديد نظر ولو صحت لكان لها تأويل
غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الآثار
يرده فلا يجب أن يلتفت إليه مع أنه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا
اتفقت على المقال به أمة وفي إطلاق ظاهره منكر من القول
وشنعة في رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم
في حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة
فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا ومن طريق
عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن أبي هريرة وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا ت
نظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم أنت
آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته
وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء أشفع لنا عند ربك حتى
يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول وإن ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة
فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا
فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا
ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول

إن ربي غضب

فتدنو

إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب بعده مثله نفسي
نفسي ❁ قال في رواية أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله
ربه بغير علم ❁ وفي رواية أبي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبرهيم فإنه خليل الله فيأتون
إبرهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى
ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر
مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى
فإنه كليم الله وفي رواية أخرى فإنه عبد آتاه الله التورية وكلمه
وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي
أصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله و
كلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر
الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأوتى فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن
على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا ❁ وفي رواية فآتي تحت
العرش فأخر ساجدا ❁ وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد
لا أقدر عليها الآن إلا أن يلهمنيه الله ❁ وفي رواية فيفتح الله علي
من محامده وحسن الثناء عليه لم يفتحه على أحد قبلي قال في رواية
أبي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع

فإنه
عليه
بمحامد
يلهمني

رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب
عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى
ذلك من الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وقال
مكانه ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك
وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن
كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأنطلق
فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول
وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم
وقال فيه من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل
فأفعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع
تشفع واسأل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال
ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن
من النار من قال لا إله إلا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري
في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن
أي من وجب عليه الخلود وعن أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة
مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فتقومان
جنبتي الصراط وذكر في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع

فيضرب الصراط

فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال
ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز
الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية أبي هريرة فأكون أول
من يجوز وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم توضع للأنبياء منابر
يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا
فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل
حسابهم فيدعا بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من
يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم
إلى النار حتى أن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك
من نقمة ومن طريق زياد النميري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد الناس
يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وأنا أول من تنفتح له
الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح
لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية
أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأشفعن يوم القيمة
لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ
هذه الآثار أن شفاعته عليه الصلوة والسلام ومقامه المحمود

من أول الشفاعات إلى آخرها من حين تجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة قال أهل العلم معناه دعوة أعلموا أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وأنا أريد أن أدخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن

أبي هريرة وعن أنس

أبي هريرة وعن أنس مثله رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة إلى يوم القيمة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله أحسن ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه كثيرا وسلم والحمد لله رب العالمين ولنذكر الآن تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

❁ حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي

الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة
أعلى درجة في الجنة وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا
أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل
ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينته
فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على
الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه
فإذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث
الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا قال الكوثر الخير الذي
أعطاه الله إياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير
الذي أعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه
وأعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله
تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن
المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج
والخدم صلى الله عليه وسلم فصل فإن قلت إذا تقرر من دليل
القرآن وصحيح الأخبار وإجماع الأمة كونه أكرم البشر وأفضل
الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله
فيما حدثناه الأسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا

الجلودي

الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر
حدثنا شعبة عن قتادة سمعت أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله
عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد أن
يقول أنا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة قال
يعني رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث أبي هريرة في اليهودي
الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال
تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية لا تخيروني
على موسى فذكر الحديث وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى وعن
أبي هريرة ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن
أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال له يا خير
البرية فقال ذاك إبراهيم فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات
أحدها أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى
عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله لا أقول إن أحدا أفضل لا يقتضي تفضيله هو وإنما هو في
الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني أنه قاله صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض

الوجه الثالث ألا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى إلى تنقص بعضهم أو الغض
منه لا سيما فى جهة يونس عليه السلام إذ أخبر الله عنه ما أخبر لئلا
يقع فى نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال
تعالى عنه إذ أبق إلى الفلك المشحون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر
عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع
التفضيل فى حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد واحد إذ هى
شىء واحد لا تتفاضل وإنما التفاضل فى زيادة الأحوال والخصوص
والكرامات والرتب والألطاف وأما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وإنما
التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم أولو عزم
من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن أوتى الحكم صبيا وأوتى بعضهم
الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض أهل العلم والتفضيل
المراد لهم هنا فى الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون آياته ومعجزاته
أبهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون فى ذاته أفضل
وأظهر وفضله فى ذاته راجع إلى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه
من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولاياته

واختصاصه

واختصاصه وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة أثقالا
وإن يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة
من أوهام من يسبق إليه بسببها جرح فى نبوته أو قدح فى اصطفائه
وحط من رتبته ووهن فى عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته
وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو أن يكون أنا راجعا إلى
القائل نفسه أى لا يظن أحد وإن بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة
ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله تعالى عنه فإن درجة النبوة
أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا أدنى
وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا إن شاء الله تعالى فقد بان
لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض وبالله التوفيق وهو
المستعان لا إله إلا هو ❁ فصل فى أسمائه صلى الله عليه وسلم
وما تضمنته من فضائله عليه الصلوة والسلام ❁ حدثنا أبو عمران
موسى بن أبى تليد الفقيه قال حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن
نصر حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا ملك
عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى
يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا

العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى له
أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناء ذكره عظيم شكره فأما اسمه أحمد
فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو
صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا
فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له
كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه
هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون
بشفاعته لهم صلى الله عليه وسلم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال
عليه الصلوة والسلام ما لم يعط غيره وسمى أمته في كتب أنبيائه
بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين من
عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن
يسمى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتاب وبشرت به
الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به
مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد
لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه
الصلوة والسلام وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل
من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث

بجعل رسالاته

بجعل رسالاته وهم محمد ابن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة
الأنصاري ومحمد بن البراء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن
حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال أول من
سمي بمحمد محمد بن سفين باليمن ويقولون بل محمد بن اليحمد من الأزد
ومحمد بن سوادة ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها
أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان
له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما وأما قوله صلى الله عليه وسلم
وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر
إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه
ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي محيت به سيئات
من اتبعه وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وعلى عقبي
أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبياء وفي الصحيح وأنا العاقب الذي
ليس بعدي نبي وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى
قوله لي خمسة أسماء قيل أنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند

أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم وقد روي عنه صلى الله عليه
وسلم لي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض
تفاسير طه أنه يا طاهر يا هادي وفي يس أنه يا سيد حكاه السلمي عن
الواسطي وجعفر ابن محمد وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي
في الحديث الأول وقال وأنا رسول الرحمة ۞ ورسول الراحة
ورسول الملاحم ۞ وأنا المقتفي ۞ قفيت النبيين ۞ وأنا قيم ۞
والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه وأرى أن صوابه
قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير وقد
وقع أيضا في كتب الأنبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا
محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وقد روى
النقاش عنه صلى الله عليه وسلم لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد
ويس ۞ وطه ۞ والمدثر ۞ والمزمل ۞ وعبد الله ۞ وفي حديث
أبي موسى الأشعري أنه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء
يقول أنا محمد ۞ وأحمد ۞ والمقفي ۞ والحاشر ۞ ونبي التوبة
ونبي الملحمة ۞ ونبي الرحمة ۞ وكل صحيح إن شاء الله تعالى ۞
ومعنى المقفي معنى العاقب وأما نبي الرحمة ۞ والتوبة ۞ والمرحمة
والراحة ۞ فقد قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكما

وصفه بأنه

وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم
وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة أمته إنها أمة مرحومة
وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضا
فبعثه عليه الصلوة والسلام ربه تبارك وتعالى رحمة لأمته ورحمة
للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل أمته أمة مرحومة
ووصفها بالرحمة وأمرها بالتراحم ۞ وأثنى عليه فقال إن الله يحب
من عباده الرحماء ۞ وقال الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيمة
ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وأما رواية نبي الملحمة
فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة
وروى حذيفة مثل حديث أبي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة
ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه أنه عليه الصلوة والسلام قال
أتاني ملك فقال لي أنت قثم أي مجتمع قال والقثم الجامع للخير ۞
وهذا اسم في آل بيته عليه وعليهم السلام معلوم وقد جاءت
من ألقابه عليه الصلوة والسلام وسماته في القرآن عدة كثيرة
سوى ما ذكرناه كالنور ۞ والسراج المنير ۞ والمنذر ۞ والنذير والمبشر
والبشير ۞ والشاهد ۞ والشهيد ۞ والحق المبين ۞ وخاتم النبيين
والرؤف الرحيم ۞ والأمين ۞ وقدم الصدق ۞ ورحمة للعالمين ۞

ونعمة الله ❀ والعروة الوثقى ❀ والصراط المستقيم ❀ وطه ❀ ويس
والنجم الثاقب ❀ والكريم ❀ والنبي الأمي ❀ وداعي الله في أوصاف
كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه
وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته بالمصطفى ❀
والمجتبى ❀ وأبي القسم ❀ والحبيب ❀ ورسول رب العالمين ❀ والشفيع
المشفع ❀ والمتقي ❀ والمصلح ❀ والطاهر ❀ والمهيمن ❀ والصادق
والمصدوق ❀ والهادي ❀ وسيد ولد آدم ❀ وسيد المرسلين ❀ وإمام
المتقين ❀ وقائد الغر المحجلين ❀ وخليل الله ❀ وحبيب الرحمن ❀ وصاحب
الحوض المورود ❀ والشفاعة ❀ والمقام المحمود ❀ وصاحب الوسيلة ❀
والفضيلة ❀ والدرجة الرفيعة ❀ وصاحب التاج ❀ والمعراج ❀
واللواء ❀ والقضيب ❀ وراكب البراق ❀ والناقة ❀ والنجيب ❀
وصاحب الحجة ❀ والسلطان ❀ والخاتم ❀ والعلامة ❀ والبرهان ❀
وصاحب الهراوة والنعلين ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب
المتوكل ❀ والمختار ❀ ومقيم السنة ❀ وروح الحق وهو معنى
البارقليط في الإنجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق
والباطل ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب
طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار قال ثعلب فالخاتم

والتقى

وحبيب الله وخليل الرحمن

والمقدس

الذى ختم الله

الذي ختم الله به الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا صلى الله
عليه وسلم ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في
التوراة أحيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب أي
السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل
به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان
يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التي
وصف بها فهي في اللغة العصا وأراها والله أعلم العصا المذكورة في
حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن وأما التاج
فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان العرب
وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع
إن شاء الله تعالى

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به ❀

من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى صلى الله عليه وسلم تسليما
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب
الأول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح
الله الصدر للهداية إلى استنباطه ولا أثار الفكر لاستخراج جوهره
والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع
به شمله فاعلم أن الله تبارك وتعالى خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها

عليهم من أسمائه كتسمية إسحق وإسمعيل بعليم وحليم وإبرهيم بحليم
ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ
عليم وأيوب بصابر وإسمعيل بصادق الوعد كما نطق به الكتاب العزيز
من مواضع ذكرهم ❁ وفضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأن حلاه
منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة
بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا
من تفرغ فيها لتأليف فصلين وجردنا منها في هذا الفصل نحو ثلثين
اسما ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما
لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه
المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه
ولأعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد فمحمد
بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود وأحمد بمعنى أكبر من حمد
وأجل من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله ❁ وشق له من اسمه
ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن أسمائه تعالى الرؤوف
الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين
رؤوف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود ۝
والمتحقق أمره وكذلك المبين أي البين أمره وإلهيته بان وأبان

بمعنى ويكون

بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك في كتابه بقوله حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال
وقل إني أنا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وأمره وهو بالمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته أو المبين
عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل إليهم ومن أسمائه تعالى
النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور السموات والأرض بالأنوار
ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي
بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين
بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه تعالى الشهيد ومعناه
العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا
فقال إنا أرسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا
وهو بمعنى الأول والله المستعان ومن أسمائه تعالى الكريم ومعناه
الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي
في أسمائه تعالى الأكرم وسماه تعالى كريما بقوله إنه لقول
رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلوة والسلام وقال

حاشية
قال أحال المصنف رحمه الله تعالى في هذا الاسم على الحديث المروي وغفل عن نص القرآن في قوله تعالى اقرأ وربك الأكرم

صلى الله عليه وسلم أنا أكرم ولد آدم ومعاني الأسم صحيحة في حقه
صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان
الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق
عظيم ۞ ووقع في أول سفر من التورية عن إسمعيل وسيلد عظيما لأمة
عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن أسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي
صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد أيها الجبار سيفك
فإن ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله
عليه وسلم إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم أو لقهره أعداءه أو
لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه في القرآن جبرية التكبر
التي لا تليق به فقال وما أنت عليهم بجبار ومن أسمائه تعالى الخبير
ومعناه المطلع بكنه الشيء والعالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال
الله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور
بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله
عليه وسلم وقال غيره السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول
الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين من قبل
أنه عالم على غاية من العلم بما علمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر

صح

أعظم خ

لأمته بما أذن له

لأمته بما أذن له في إعلامهم به صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه تعالى
الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق
من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون أيضا
بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا
فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء الطويل من رواية
الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة وفيه من قول الله تعالى
وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه
على ربه وتعديده مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون
الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح لبصائرهم
لمعرفة الحق والإيمان بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ بهداية الأمة
أو المبتدأ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم
كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث صلى الله عليه وسلم
تسليما ومن أسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على
العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه
السلام فقال إنه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه
وسلم نفسه بذلك فقال أفلا أكون عبدا شكورا أي معترفا بنعم ربي

أو المبتدأ خ

عار فأ بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله عز وجل لئن شكرتم لأزيدنكم فأراد الزيادة ومن أسمائه تعالى العليم والعلام ۞ وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ۞ وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن أسمائه تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق للأشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر وقال صلى الله عليه وسلم كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر هذا قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أشار إلى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وقوله أنا أول من تنشق الأرض عنه وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم تسليما ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل صلى الله عليهما وسلم تسليما ومن أسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث

أيضا اسمه

أيضا اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق ۞ المصدوق ۞ صلى الله عليه وسلم تسليما كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ومن أسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى إنما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم أنا ولي كل مؤمن وقال الله عز وجل النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ۞ وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبينا صلى الله عليه وسلم في القرآن والتوراة وأمره بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله تعالى خذ العفو قال أن تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن أسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله تعالى لمن أراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وأصل الجميع من الميل وقيل من التقويم وقيل في تفسير طه أنه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا إلى الله بإذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الأول قال الله تعالى

إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق
على غيره تعالى فهو في حقه بمعنى الدلالة عليه الصلوة والسلام ومن
أسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في
حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله ❁ وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده
في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه ❁ وقيل المهيمن
بمعنى الأمين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء ❁ وقد قيل أن قولهم في
الدعاء آمين اسم من أسماء الله تعالى ومعناه بمعنى المؤمن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم أمين ومهيمن
ومؤمن وقد سماه الله تعالى أمينا فقال مطاع ثم أمين وكان صلى الله عليه
وسلم يعرف بالأمين قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا
في قوله ∴ ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا أيها المهيمن قاله القتبي والإمام أبو القسم القشيري
وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أي يصدق وقال أنا أمنة
لأصحابي فهذا بمعنى المؤمن صلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع النبيين وسلم
ومن أسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من
سمات الحدث وسمي بيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب ومنه

الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الأنبياء عليهم السلام
في أسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس أي المطهر من الذنوب كما قال
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر أو الذي يتطهر به من
الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم
من الظلمات إلى النور أو يكون مقدسا بمعنى مطهر من الأخلاق الذميمة
والأوصاف الدنية صلى الله عليه وعلى جميع النبيين وسلم تسليما ❁
ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب أو الذي لا نظير
له أو المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله أي الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقال إن الله يبشرك
بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل
طاعته ونذيرا لأهل معصيته صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه جل وتعالى
فيما ذكر بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنها من أسماء
محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه وها أنا ذاكر نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها
هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم
سقيم الفهم تخلصه من وساوس التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه

وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم سبحانه بخلاف صفات المخلوقين فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الإمام أبو القسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيد بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع

نقص حصل

نقص حصل ولا لخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا تخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما أحسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه وفضله ورحمته لا رب غيره

الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته

خ نحو الطهر

خ الجويني

آخر الجزء الثاني عندق

فيحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن إليها
ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من أبطل نسخ
الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته
ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم وليزدادوا إيمانا مع
إيمانهم ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير
آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد
وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في كتب
الأئمة وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد
سيره وبراعة علمه ❁ ورجاحة عقله ❁ وحلمه ❁ وجملة كماله ❁
وجميع خصاله ❁ ومشاهد حاله ❁ وصواب مقاله ❁ لم يمتر في صحة
نبوته ❁ وصدق دعوته ❁ وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان
به ❁ فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله
بن سلام رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس
بوجه كذاب ❁ حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا
أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون عن أبي يعلى البغدادي
عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار

خ الطاعن

خ وشاهد

حاشية: هو أبو الحسين عبد الباقي بن قانع القاضي الحافظ بغدادي مشهور

حدثنا عبد الوهاب

حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد
عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن
سلام الحديث وعن أبي رمثة التيمي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى
مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم قال له النبي
صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس
البحر هات يدك أبايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له
طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء
تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ
بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا
ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة
البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى
تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه رسول رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندي والله لقد دلني

خ عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

خ غسان

على هذا النبي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شر إلا
كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد
وينجز الموعود وأشهد أنه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا كما قال
ابن رواحة في هذا المعنى لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره
ينبيك بالخبر ❁ وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة
وبعده في معجزة القرآن ❁ **فصل** اعلم أن الله جل اسمه قادر
على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع
تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض
الأنبياء وذكر بعض أهل التفسير في قوله عز وجل وما كان لبشر
أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك
بواسطة تبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة
مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل
العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم
من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجزة مع التحدي
من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد

على صدقه

على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد
تتبعه وجده مستوفى في مصنفات أئمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة
من همز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل
تسهيلا والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون
نبيء منبأ فعيل بمعنى مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما
أطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة
وهو ما ارتفع من الأرض معناه أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند
مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان وأما الرسول فهو المرسل
ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة إلا نادرا وإرساله أمر الله له
بالإبلاغ إلى من أرسله إليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء
الناس أرسالا إذا اتبع بعضهم بعضا فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو
ألزمت الأمة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى
أم بمعنيين فقيل هما سواء وأصله من الإنباء وهو الإعلام واستدلوا
بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد أثبت لهما
معا الإرسال قال ولا يكون النبي إلا رسولا ولا الرسول إلا نبيا
وقيل هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع
على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها

الرسول

وافترقا في زيادة الرسالة التي للرسل وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما أرسلنا من نبي إلى أمة أو نبي ليس بمرسل إلى أحد وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار والصحيح الذي عليه الجماء الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وأول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليهم أجمعين وفي حديث أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وذكر أن الرسل منهم ثلث مائة وثلثة عشر أولهم آدم عليه وعلى جميعهم السلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل وأما الوحي فأصله الإسراع فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت أنواع الإلهامات وحيا تشبيها بالوحي إلى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله تعالى فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا أي أومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم

الوحا الوحا

الوحا الوحا أي السرعة ❁ وقيل أصل الوحي السر والإخفاء ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه قوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أي ألقي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل

اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصا حية وإخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الأصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيزا له واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف

ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه
فعجزوا عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية
منه أو آيات بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما
سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم
على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن بلا مرية
ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله
بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله عليه
وسلم في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرا
كما سنشرحه قال بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة
أنه قد جرى على يديه عليه الصلوة والسلام آيات وخوارق عادات
لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها
على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه عجائب وإنما خلاف
المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وأن ذلك بمثابة
قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا صلى الله عليه وسلم
ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم الأحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا

وشجاعة هذا

وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر في نفسه لا يوجب العلم ولا يقطع
بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على
نوعين مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة
ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين الأصابع وتكثير الطعام ونوع
منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر
اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان
بالمعجز كما قدمنا قال القاضي أبو الفضل وأنا أقول صدعا بالحق إن
كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع
أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل
عن ظاهره إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة
فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع
يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء
سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد
الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه
الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة وإخبارهم
أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط
وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر

ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوى فيما حكاه ولا إنكار لما ذكر
عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم
المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة فى كذب وليس هناك رغبة ولا
رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم
لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير
وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه فى ذلك مما هو معلوم فهذا
النوع كله يلحق بالقطعى من معجزاته كما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار
التى لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس
وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهده فى كثير من الأخبار
الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا هذه الواردة من طريق
الآحاد لا تزداد مع الأيام إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة
طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على
إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلا
وكذلك إخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان
معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال
به من أئمتنا القاضى والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهم الله وما أوجب
عندى قول القائل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا

قلة مطالعته

قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا فمن
اعتنى بطريق النقل وطالع الحديث والسير لم يرتب فى صحة هذه القصص
المشهورة على الوجه الذى ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد
ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر أن بغداد موجودة
وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا
يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك
بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن
فى الصلوة للمنفرد والإمام وإجزاء النية فى أول ليلة من رمضان
عما سواه وأن الشافعى يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار فى المسح
على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص فى القتل بالمحدد وغيره
وإيجاب النية فى الوضوء واشتراط الولى فى النكاح وأن أبا حنيفة
يخالفهما فى هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا يرى
أقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عما سواه ❁ وعند ذكر
آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى

فصل فى إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو
على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة
وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وإيجازه

بلغ مقابلة على الأصل المنقول منه

وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن
وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به أحد من الأمم
غيرهم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل
الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم
غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل
سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به
بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون
ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون
من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون
الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الزمن ويجرئون الجبان
ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون
النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام
الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة
البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل
والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق
الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة
والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم

والبلاغة ملك

والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا
من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير
والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر
وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول
وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه
وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه
وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا
الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر
سجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا
لهم بضعا وعشرين عاما على رءوس الملأ أجمعين أم يقولون افتراه قل
فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله فإن
لم تفعلوا ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل

هذا القرآن الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن
المفترى أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ
إذا اتبع الشيء الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له
وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل
صلى الله عليه وسلم يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ۵
ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم
وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا
ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتكذيب
والاغترار بالافتراء وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك
افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا
غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء
مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله تعالى
ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف
على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه
مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد

بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان
الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق
وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وذكر أبو عبيد أن أعرابيا
سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع
آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا
لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه أنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة
الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وأنه سمع رجلا من أسارى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها
فإذا هو قد جمع فيها ما أنزل على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة
وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم
الفائزون ۞ وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله
ما أفصحك فقالت أويعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا إلى أم
موسى أن أرضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على
التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وأنه أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلوة والسلام متحديا به

معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في
فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه
البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها
عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وأنت إذا تأملت
قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة ❁ وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت
وأخذوا من مكان قريب ❁ وقوله ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله وقيل يا أرض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي الآية ❁ وقوله فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه
حاصبا الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن إذا نظرت حققت
ما بيّنته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها
وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة
وفصولا جمة وعلوما زواخر امتلأت الدواوين من بعض ما استفيد منها
وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال
وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام
ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام
سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم إذا ترددت
قصة اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة

تنسي في

تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور
للنفوس من ترددها ولا معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني

من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف
لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت
مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده
نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم
وتولهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من
نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم
الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكرا عليه
قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول
شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال
إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا
نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا
مجنون قال والله ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو
بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا

وق

ألا وأنا أعرف أنه باطل وأن أقرب القول إنه ساحر فإنه سحر يفرق به
بين المرء وزوجه والمرء وأبيه والمرء وأخيه والمرء وعشيرته فتفرقوا
وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل الله تعالى في الوليد ذرني
ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم
قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت
قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال
النضر بن الحرث مثله وفي حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه ووصف
أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني
عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وأنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي
ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر
وأنه لصادق وإنهم لكاذبون والأخبار في هذا صحيحة
كثيرة والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها
أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم
تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها
مباين لفصاحتها وكلامها وإلى هذا ذهب غير واحد من أيمة المحققين وذهب

بعض المقتدى

١٠١

بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب وأتى
على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تكلم في علوم البلاغة وأرهف
خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف
أيمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع
في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع
تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب
الخوارق الممتنع إقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا
وتسبيح الحصى وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل
مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا
ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه
وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح
أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ
في التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس
من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة وعلى كل حال
فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الأنف وإباء الضيم بحيث لا يؤثرون

خ وابنه
خ نحوه
خ المحققة
خ المقتدين
خ تهافت
خ من
خ الطريقين
خ وإباءة

ذلك اختيارا ۰ ولا يرضونه الا اضطرارا ۰ والا فالمعارضة لو كانت
من قدرهم والشغل بها اهون عليهم ۰ واسرع بالنجح وقطع العذر
وافحام الخصم لديهم ۰ وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في
المعرفة به لجميع الانام ۰ وما منهم الا من جهد جهده ۰ واستنفد ما عنده
في اخفاء ظهوره ۰ واطفاء نوره ۰ فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات
شفاههم ۰ ولا اتوا بنطفة من معين مياههم ۰ مع طول الامد ۰ وكثرة
العدد ۰ وتظاهر الوالد وما ولد ۰ بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا
فهذان نوعان من اعجازه ❁ فصل الوجه الثالث من الاعجاز
ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن وما لم يقع فوجد كما ورد
وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين ۰ وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون ۰ وقوله ليظهره على الدين
كله ۰ وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
الاية ۰ وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان جميع هذا كما
قال تبارك وتعالى فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في
الاسلام افواجا فما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب
موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها
دينهم وملكهم اياها من اقصا المشارق الى اقصا المغارب كما قال صلى الله

عليه وسلم زويت

خ وهم ممن لهم قدرة

حاشية يقال ما نبس بكلمة اي ما تكلم بها نبسا قاله ابن القطاع والفارابي في باب فعل يفعل بفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل من كتاب ديوان الادب والله اعلم ۞

خ كلها

عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها ۰ وقوله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة ۞
والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كلهم [جميعا] كيدهم وحولهم وقوتهم
اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير
كلمة من كلماته ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله
ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية
وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك
وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم
وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله
تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال
مبديا ما قدره الله تعالى واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم
ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله

خ كلمه

خ كلماته

خ مبتديا

عليه وسلم بذلك أصحابه بأن الله تعالى كفاه أباهم وكان المستهزئون
نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه صلى الله عليه وسلم فهلكوا وقوله
والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله
والأخبار بذلك معروفة صحيحة والحمد لله ❁

فصل الوجه الرابع

ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والأمم البائدة والشرائع الداثرة
مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع
عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به
على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم
وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة
ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب
كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما
يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر
ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه
ذلك من الأنباء وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزبور وصحف
إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب
ما ذكر منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي
معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على

شدة عداوتهم

شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم
بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم
له عليه الصلوة والسلام وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار
علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم
ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف
وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الأنعام
ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل وغير ذلك من أمورهم التي نزل
فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحي إليه من ذلك أنه أنكر ذلك
أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده
وحسدهم إياه كأهل نجران وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم
ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى أن فيما عندهم من ذلك
لما حكاه مخالفة دعي إلى إقامة حجته وكشف عورته فقيل له فأتوا
بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعي
إلى إحضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته
من كتابه يده ولا يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى
صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا

يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين فصل
هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن
الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في
قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله
لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال أبو إسحق
الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال
لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص
بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر
صدق رسوله وصحة ما أوحي إليه إذ لم يتمنه واحد منهم وكانوا
على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت
بذلك معجزته وبانت حجته قال أبو محمد الأصيلي من أعجب
أمرهم أنه لا توجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه
عليه الصلوة والتسليم يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد
لمن أراد أن يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث
وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى عليه آية
المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منه ورضوا بالجزية

حاشية من فوائد شيخنا الحافظ المزي غض يغض من فعل يفعل ومثاله غض يغض

حـ بإداء الجزية

وذلك أن

وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن
قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وإن كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم
أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن
الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة
التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي
تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره وهي على المكذبين به
أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال
تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن
فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا
وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تبارك وتعالى
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدلك
على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت
قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده

فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي
في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ
في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم
الخالقون إلى قوله المصيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية وذلك
أول ما وقر الإسلام في قلبي وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى
الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم فصلت إلى قوله
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على فم النبي صلى الله
عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى
انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما
يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم
وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت
ما أقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته
روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك
ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء
أقلعي فرجع ومحا ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام
البشر وكان من أفصح أهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغاً في زمنه

فحكي أنه

فحكي أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها
وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترته خشية ورقة حملته على التوبة
والإنابة ۞ **فصل** ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية
باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر
وإنا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر
معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن
العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة
خمس مائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته
ظاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة
علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد
فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته
ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف
من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك
إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد
جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوهاً كثيرة منها
أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده
حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضاً طرياً وغيره من الكلام

ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد
وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من
الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون
بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه
هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا
تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ومنها جمعه لعلوم ومعارف
لم تعهد العرب عامة ولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة قبل نبوته
بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل
عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على
طرق الحجج العقلية والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة
سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة
مثلها فلم يقدروا كقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض
بقادر على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان
فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم
والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال

الله

الله عز وجل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل الآية وقال
صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة
خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم
وحكم ما بينكم لا تخلقه كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس
بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن
قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم
ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر
الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا
يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا تخلق على كثرة الرد ونحوه
عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشانا فيه نبأ الأولين والآخرين
وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم إني منزل
عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا
غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب
عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون

وقال هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه
وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه
مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم
القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره
ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف
معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها أن جعله في حيز المنظوم
الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس
وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان وأحلى في الأفهام فالناس إليه
أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر
وسائر الأمم لا يحفظ كتابها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور
الأعوام عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة ومنها
مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتيام أقسامها
وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف
معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار
ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب
إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح

إذا اعتوره

إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه
وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار
وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملائهم
على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم
بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم
ووعيد هؤلاء بمثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم
وتسليته بما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل
هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنها الجملة الكثيرة التي انطوت
عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز
القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل
في باب بلاغته فلا نحب أن نعده فنا منفردا في إعجازه إلا في باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قد ذكرنا عنهم يعد في خواصه
وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا
فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي
والله الموفق للصواب وهو المستعان

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن

يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ أَخْبَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِوُقُوعِ
انْشِقَاقِهِ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَإِعْرَاضِ الْكَفَرَةِ عَنْ آيَاتِهِ وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ
وَأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وُقُوعِهِ ❁ أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ مِنْ
كِتَابِهِ حَدَّثَنَا الْقَاضِي سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ اللهِ حَدَّثَنَا الْأَصِيلِيُّ حَدَّثَنَا الْمَرْوَزِيُّ
حَدَّثَنَا الْفَرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ وَسُفْيَانَ
عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى
عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةٌ
دُونَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا وَفِي رِوَايَةِ
مُجَاهِدٍ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي بَعْضِ طُرُقِ الْأَعْمَشِ بِمِنًى
وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ الْأَسْوَدُ وَقَالَ حَتَّى رَأَيْتُ الْجَبَلَ بَيْنَ فُرْجَتَيِ
الْقَمَرِ وَرَوَاهُ عَنْهُ مَسْرُوقٌ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ وَزَادَ فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ
سَحَرَكُمُ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِنَّ مُحَمَّدًا إِنْ كَانَ سَحَرَ الْقَمَرَ
فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِهِ أَنْ يَسْحَرَ الْأَرْضَ كُلَّهَا فَسَلُوا مَنْ يَأْتِي مِنْ بَلَدٍ آخَرَ
هَلْ رَأَوْا هَذَا فَأَتَوْا فَسَأَلُوهُمْ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ
وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنِ الضَّحَّاكِ نَحْوَهُ وَقَالَ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ هَذَا سِحْرٌ
فَابْعَثُوا إِلَى أَهْلِ الْآفَاقِ حَتَّى يَنْظُرُوا أَرَأَوْا ذَلِكَ أَمْ لَا فَأَخْبَرَ أَهْلُ الْآفَاقِ
أَنَّهُمْ رَأَوْهُ مُنْشَقًّا فَقَالُوا يَعْنِي الْكُفَّارَ هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَرَوَاهُ أَيْضًا

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلْقَمَةُ فَهَؤُلَاءِ أَرْبَعَةٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ ابْنِ مَسْعُودٍ
كَمَا رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ أَنَسٌ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَحُذَيْفَةُ وَعَلِيٌّ
وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ فَقَالَ عَلِيٌّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي حُذَيْفَةَ الْأَرْحَبِيِّ انْشَقَّ الْقَمَرُ
وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَنَسٍ سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ فِرْقَتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا
حِرَاءَ بَيْنَهُمَا رَوَاهُ عَنْ أَنَسٍ قَتَادَةُ وَفِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ وَغَيْرِهِ عَنْ قَتَادَةَ
عَنْهُ أَرَاهُمُ الْقَمَرَ مَرَّتَيْنِ انْشِقَاقَهُ فَنَزَلَتِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَرَوَاهُ عَنْ
جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ وَابْنُ ابْنِهِ جُبَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ وَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مُجَاهِدٌ وَرَوَاهُ عَنْ
حُذَيْفَةَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ وَمُسْلِمُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْأَزْدِيُّ وَأَكْثَرُ
طُرُقِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ صَحِيحَةٌ وَالْآيَةُ مُصَرِّحَةٌ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى اعْتِرَاضِ
مَخْذُولٍ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا لَمْ يَخْفَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ إِذْ هُوَ شَيْءٌ ظَاهِرٌ
لِجَمِيعِهِمْ إِذْ لَمْ يُنْقَلْ لَنَا عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنَّهُمْ رَصَدُوهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ
يَرَوْهُ انْشَقَّ وَلَوْ نُقِلَ إِلَيْنَا عَمَّنْ لَا يَجُوزُ تَمَالُؤُهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ عَلَى الْكَذِبِ
لَمَا كَانَتْ عَلَيْنَا بِهِ حُجَّةٌ إِذْ لَيْسَ الْقَمَرُ فِي حَدٍّ وَاحِدٍ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ
فَقَدْ يَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى آخَرِينَ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ قَوْمٍ بِضِدِّ مَا هُوَ
مِنْ مُقَابِلِيهِمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ أَوْ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ أَوْ جِبَالٌ

بانشقاقه

عن ابن مسعود

مرتين

وانشق القمر

بين قومٍ

ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم ۞ وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وإجاف الأبواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما تحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان رواتهما ثقات وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحق

لما أسري

لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء قال فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم تسليما

قال المؤلف رحمه الله أما الأحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وابن مسعود وجابر ۞ حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل ۞ حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو عمر بن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا يحيى حدثنا ملك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن ملك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلث مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا

حُمَيْدٌ وَثَابِتٌ وَالْحَسَنُ عَنْ أَنَسٍ وَفِي رِوَايَةِ حُمَيْدٍ ثُلُثُ كَمْ كَانُوا قَالَ
ثَمَانُونَ وَنَحْوُهُ عَنْ ثَابِتٍ عَنْهُ وَعَنْهُ أَيْضًا وَهُمْ نَحْوٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا وَأَمَّا
ابْنُ مَسْعُودٍ فَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ عَلْقَمَةَ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطْلُبُوا
مَنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ فَأُتِيَ بِمَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ
مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ سَالِمِ بْنِ
أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرٍ عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ وَقَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ
إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ
الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ وَفِيهِ فَقُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ
لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةٍ وَرَوَى مِثْلَهُ عَنْ أَنَسٍ
عَنْ جَابِرٍ وَفِيهِ أَنَّهُ كَانَ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَفِي رِوَايَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ
الصَّامِتِ عَنْهُ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ الطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُوَاطٍ قَالَ قَالَ
لِي رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جَابِرُ نَادِ الْوَضُوءَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ
بِطُولِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَغَمَزَهُ وَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ وَقَالَ نَادِ بِجَفْنَةِ الرَّكْبِ
فَأُتِيتُ بِهَا فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسَطَ يَدَهُ

فِي الْجَفْنَةِ

خ ثمانين

حاشية العزلاء فم المزادة الأسفل الشجب القربة البالية سميت بذلك لأنها جلد ما قد شجب أي عطب م

فِي الْجَفْنَةِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ وَصَبَّ جَابِرٌ عَلَيْهِ وَقَالَ بِسْمِ اللّٰهِ كَمَا أَمَرَهُ قَالَ
فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَاسْتَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ
وَأَمَرَ النَّاسَ بِالِاسْتِقَاءِ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا فَقُلْتُ هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ
فَرَفَعَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلْأَى وَعَنِ
الشَّعْبِيِّ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ بِإِدَاوَةِ مَاءٍ وَقِيلَ
مَا مَعَنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَاءٌ غَيْرُهَا فَسَكَبَهَا فِي رَكْوَةٍ وَوَضَعَ أُصْبُعَهُ وَسْطَهَا
غَمَسَهَا فِي الْمَاءِ وَجَعَلَ النَّاسُ يَجِيئُونَ وَيَتَوَضَّؤُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ قَالَ
التِّرْمِذِيُّ وَفِي الْبَابِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَمِثْلُ هَذَا فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ
الْحَفِلَةِ وَالْجُمُوعِ الْكَثِيرَةِ لَا تَتَطَرَّقُ التُّهْمَةُ إِلَى الْمُحَدِّثِ بِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا
أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ ذَلِكَ وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا مِمَّنْ
لَا يَسْكُتُ عَلَى بَاطِلٍ فَهَؤُلَاءِ قَدْ رَوَوْا هَذَا وَأَشَاعُوهُ وَنَسَبُوا حُضُورَ الْجَمَّاءِ
الْغَفِيرِ لَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثُوا بِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ
وَشَاهَدُوهُ فَصَارَ كَتَصْدِيقِ جَمِيعِهِمْ لَهُ **فَصْلٌ** وَمِمَّا يُشْبِهُ
هَذَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِ تَفْجِيرُ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ وَابْتِعَاثُهُ بِمَسِّهِ وَدَعْوَتِهِ فِيمَا رَوَى
مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فِي قِصَّةِ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّهُمْ وَرَدُوا الْعَيْنَ
وَهِيَ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ مِثْلِ الشِّرَاكِ فَغَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ الْمَاءَ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى
اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ

خ وقدن

حاشية هل تكون نافية بمعنى ما كقوله تعالى هل ينظرون إلا أن وقوله ومنه قوله هل بقي أحد له حاجة معناه ما بقي فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله فهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور والدليل على كونها نافية معناه ما ترك بمعنى ما زيادة من هلا فالأخفش والله أعلم

خ هذا

حاشية قال شيخنا الحافظ جمال الدين المزي ولا يقال وسَط بالتحريك إلا لمركز الدائرة نفسه ويقال لما كان داخل المحيط منها وسْط بالتسكين ويقال لمركزها وسَط ولا يقال ذلك في داخل محيطها وسْط بالتسكين لأنه تعدد ما في حيث أشكل ضبط عليهما ن

خ الجمد

خ ثما

خ فما

خ تبض

حاشية تبض بالضاد المهملة الوبيض وهو البريق ومنه قول امرئ القيس أحار ترى برقا كأن وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل والقراب وتبرق إذا اشتب بالمرو الصغار وتبض بريقهما ن

وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن إسحق فانخرق
من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة
أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه
أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة
فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على
شفاها قال البراء وأتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة فإما دعا وإما
بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في
هذه القصة من رواية ابن شهاب في الحديبية فأخرج سهما من كنانته فوضع في
قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن أبي قتادة
وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في
بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم
نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل إناء معهم فخيل
إلي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران
ابن حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح
وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم مددا لأهل مؤتة عند ما بلغه
قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم
وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال

والقوم زها

والقوم زهاء ثلث مائة وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ علي
ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران
بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض
أسفاره فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا
معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول
ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملأوا أسقيتهم
حتى لم يدعوا شيئا إلا ملأوه قال عمران تخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا
امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي
فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة
ابن الأكوع قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء
رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه
دغفقة أربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش
العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء
فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم من
آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال

للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عنده
ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء
فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء
الاستسقاء وما جانسه ❀ فصل ومن معجزاته صلى الله عليه
وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه ❀ حدثنا القاضي الشهيد أبو
علي حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا
مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن أعين حدثنا معقل
عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه
شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي
صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم
ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين
أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها
ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وحديث جابر في إطعامه صلى الله
عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق قال جابر
فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي
وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين
والبرمة وبارك ❀ رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وعن ثابت

مثله عن رجل

مثله عن رجل من الأنصار وامرأته ولم يسمها قال وجيء بمثل الكف فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل
منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه
الصلوة والسلام لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الإناء وحديث
أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام
زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلثين من أشراف
الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوا ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك
ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع
قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب
أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى
الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي
بكر رضي الله عنهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثين ومائة ن
وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد
بطنها ثم قال وايم الله ما من الثلثين والمائة إلا وقد حز له حزة من سواد
بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته
على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه
ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت

الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد
فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع
من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا
الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملأوه وبقي منه وعن أبي
هريرة أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم
حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي
مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع وعن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق
فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس
فشربوا منه حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب وقال أنس إن النبي
صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوما سماهم
وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه قدر مد
من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلث أصابعه وجعل القوم
يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا
أو اثنين وسبعين ❁ وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها
أن القوم كانوا زهاء ثلث مائة وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال

ملؤوه
فتتبعتهم
من بابكا

لي أدعو

لي أدعو فلا أدري حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت وفي حديث
جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أن فاطمة طبخت قدرا لغدائهما ووجهت
عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معها فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه
صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وإنها لتفيض
قالت فأكلنا منها ما شاء الله وأمر صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب
أن يزود أربع مائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا أصوع
قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر
وبقي بحاله ❁ من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية
النعمن ابن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربع مائة راكب من مزينة
ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء
أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم
فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بجدها وجعلها بيادر
في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل
مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال وكان
الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال أبو هريرة أصاب الناس
مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء
من تمر في المزود قال فأتني به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا

نعرف
فقالوا
حاشية أصوع
أصع مقلوب من
حاشية مقرن
هو أخو سويد بن مقرن

بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم
الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا
تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمن فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع
عشرة تمرة ومثله أيضا حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع ٥
فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد أهدي إليه
وأمره أن يدعوا أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن
أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله عليه
وسلم له أن يسقيهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه
الآخر حتى روي جميعهم قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح
وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال
يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأخذ
القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خلد بن عبد
العزى أنه اجزر للنبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خلد
كثيرا يذبح الشاة فلا يبد عياله عظما عظما وأن النبي صلى الله عليه وسلم

أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خلد ودعا له بالبركة فنثر ذلك
لعياله فأكلوا وأفضلوا ❁ ذكر خبره الدولابي ومن حديث الآجري
في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله
عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة وبذبح جزور
لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة
يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر بحملها
إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيكن وفي حديث أنس تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور
فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا
وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع أحدا لقيته إلا دعوته وذكر أنهم
كانوا زهاء ثلث مائة حتى ملأ الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على
الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم
فقال لي ارفع فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وأكثر
أحاديث هذه الفصول الثلثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث
هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من
التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة ٥

ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد بن محمد بن أبي غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القسم البغوي حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي حدثنا أبو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فإنها تجيبك قال فدعوتها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن بريدة سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك

فاستوت

حدثنا محمد بن فضيل

حاشية: قال الحافظ جمال الدين المزي متع الله ببقائه سقط بين أحمد بن عمران الأخنسي وبين أبي حيان التيمي رجل ولعله أن يكون محمد بن فضيل ثم قال بل هو محمد بن فضيل فإنه يروي عنه الأخنسي وأما أبا حيان فإنه لم يدركه والله أعلم

الموضع

فاستوت فقال الأعرابي ائذن لي أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال لها انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا وفي رواية أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله فقلت إن الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن إن رسول الله يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة

حاشية: قال الحافظ المزي ما كان من فعل يفعل قيل مفعل بكسر العين وما كان من فعل يفعل بضم العين قيل مفعل بفتحها كمنبت ومجلس والله أعلم

حاشية: البعير المخشوش هو الذي يجعل في أنفه خشاش وهو ما يجعل في أنفه من الخشب فإن كان من شعر قيل له خزامة فإن كان من صفر أو حديد قيل له برة قاله الخطابي

فرجعت

حاشية: قوله أحضر معناه أسرع في المشي أو العدو والحضر بضم الحاء وإسكان الضاد المعجمة العدو ومنه الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أقطع النبي صلى الله عليه وسلم الزبير حضر فرسه وأجرى الفرس حتى قام ثم رمى بسوطه فقال أقطعوه حيث بلغ السوط رواه أحمد وأبو داود رحمهما الله تعالى

مثل ذلك فقلت ذلك لهن فو الذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي
قل لهن يفترقن فو الذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى
مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في
مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية
أشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن
سيابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
أن طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنها استأذنت أن تسلم علي وفي حديث عبد الله
ابن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر
مثل الحديث الأول أو نحوه قال المؤلف رحمه الله فهذا ابن عمر
وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد وأنس بن مالك
وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها
أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم فصارت في انتشارها

من القوة حيث

من القوة حيث هي وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة
الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز
بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك معروفة معظمة ومن
ذلك حديث أنس أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا
أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة
من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين
يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر
فيها جبريل قال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة
وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم
لا له وذكر ابن إسحق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية
في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن
الحسن أنه عليه الصلوة والسلام شكا الى ربه من قومه وأنهم يخوفونه
وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحى الله اليه أن ائت وادي كذا
فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى انتصب
بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب
علمت أن لا مخافة علي ❁ ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي
من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال

لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه ❁ وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن ملك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب ابن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب وأبي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكا لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر ❁ كذا في حديث

المطلب

المطلب وسهل بن سعد وإسحق عن أنس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره أو جعلت في السقف وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا وذكر الأسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه تخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أن أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أن أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد ابن أبي كرب وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن ملك الحسن وثابت وإسحق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو الوداك

حاشية: المشهور عند أهل الحديث الأدمة قاله المزي ❁ تقال منسوب إلى بلد في العجم يقال لها أسفراين بين نيسابور وجرجان ونقل عن السمعاني أنه ينسب إليها بكسر الهمزة ههنا مكسورة

قال الحافظ المزي أبو نضرة بالنون والضاد المعجمة اسمه منذر بن ملك بن قطعة العبدي روى عن أبي سعيد الخدري تابعي ❁ وأبو نضرة الغفاري بالصاد المهملة صحابي ❁

عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل
ابن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة
عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال المؤلف رحمه الله فهذا حديث
كما تراه خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين
ضعفهم إلى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى
بهذا الباب والله المثيب على الصواب ❁ فصل ومثل هذا
في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب قال حدثنا أبو
القسم أخبرنا أبو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا
البخاري حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل
عن منصور عن إبرهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام
وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال
أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم
في أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف
عمر وعثمن وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

خ وبدون

حاشية أبو أحمد الزبيري اسمه محمد بن عبد الله بن الزبير نسب إلى جده

فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبلته شجرة ولا جبل إلا قال له السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم إني لأعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود وعن عائشة
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس إذ اشتمل عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره
إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن
جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل
بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح
وعن أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمن أحدا
فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله
عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فإنما
عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر في حراء أيضا عن عثمن قال ومعه
عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت
الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه
وقد روي أنه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف

خ استقبله

ثم قال

حاشية الأسكفة والأسكفّة العتبة

خ فيه

أَنْ يَقْتُلُوكَ عَلَى ظَهْرِي فَيَعِزُّ بِنَبِيِّ اللَّهِ فَقَالَ حِرَاءُ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ يُمَجِّدُ الْجَبَّارُ نَفْسَهُ أَنَا الْجَبَّارُ أَنَا الْجَبَّارُ أَنَا الْكَبِيرُ أَنَا الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ فَرَجَفَ الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا لَيَخِرَّنَّ عَنْهُ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَثُمِائَةِ صَنَمٍ مُثْبَتَةُ الْأَرْجُلِ بِالرَّصَاصِ فِي الْحِجَارَةِ فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ عَامَ الْفَتْحِ جَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ إِلَيْهَا وَلَا يَمَسُّهَا وَيَقُولُ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا فَمَا أَشَارَ إِلَى وَجْهِ صَنَمٍ إِلَّا وَقَعَ لِقَفَاهُ وَلَا لِقَفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لِوَجْهِهِ حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ وَمِثْلُهُ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَقَالَ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا وَيَقُولُ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُهُ مَعَ الرَّاهِبِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ إِذْ خَرَجَ تَاجِرًا مَعَ عَمِّهِ وَكَانَ الرَّاهِبُ لَا يَخْرُجُ إِلَى أَحَدٍ فَخَرَجَ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَا عِلْمُكَ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا لَهُ وَلَا تَسْجُدُ إِلَّا لِنَبِيٍّ وَذَكَرَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ وَأَقْبَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ الْفَيْءُ إِلَيْهِ

فَصْلٌ فِي الْآيَاتِ فِي ضُرُوبِ الْحَيَوَانَاتِ

حَدَّثَنَا سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ

أَبُو الْحُسَيْنِ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْقَاضِي يُونُسُ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الصَّقَلِّيُّ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ قَاسِمٍ عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو الْعَلَاءِ أَحْمَدُ بْنُ عِمْرَانَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ عِنْدَنَا دَاجِنٌ فَإِذَا كَانَ عِنْدَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَّ وَثَبَتَ مَكَانَهُ فَلَمْ يَجِئْ وَلَمْ يَذْهَبْ وَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ وَذَهَبَ وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ قَدْ صَادَ ضَبًّا فَقَالَ مَنْ هَذَا قَالُوا نَبِيُّ اللَّهِ قَالَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا آمَنْتُ بِكَ أَوْ يُؤْمِنَ هَذَا الضَّبُّ وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا ضَبُّ فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ قَالَ مَنْ تَعْبُدُ قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ قَالَ فَمَنْ أَنَا قَالَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ كَلَامِ الذِّئْبِ الْمَشْهُورَةُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ عَرَضَ الذِّئْبُ لِشَاةٍ مِنْهَا فَأَخَذَهَا الرَّاعِي مِنْهُ فَأَقْعَى الذِّئْبُ وَقَالَ لِلرَّاعِي أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ حُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي قَالَ الرَّاعِي الْعَجَبُ مِنْ ذِئْبٍ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْإِنْسِ فَقَالَ الذِّئْبُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ

حاشية: ويجوز التخفيف وقد قرئ بهما ٥

حاشية: صقلية بفتح الصاد والقاف لا غير كذا ضبطه ابن خلكان في ترجمة ابن الزقاق الصقلي الشاعر من كتاب وفيات الأعيان ٥

حاشية: داجن [illegible]

رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فأتى الراعي النبي
صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال
صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن أبي
هريرة وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على
غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له
أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه
إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا
أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه
ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها
وعن أهبان بن أوس وأنه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب
وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه كان صاحب هذه القصة أيضا
وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه
جرى لأبي سفين بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا
فدخل الظبي الحرام فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك
محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو
سفين واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى

مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه
وسلم فإذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب
من نفسك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس
فكان سبب إسلامه وعن جابر ابن عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله عليه
وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال
يا رسول الله كيف بالغنم قال أحصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك
ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار
وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها الحديث
وعن أبي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له
وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن
مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل
فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض
وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والأرض شيء لا يعلم أني
رسول الله إلا عاصي الجن والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر
آخر في حديث الجمل أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه

حاشية
هو ثعلبة بن أبي مالك القرظي من بني قريظة قاله الحافظ المزي

أنهم أرادوا ذبحه وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم
إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية أنه شكا إلى أنكم أردتم
ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي
في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها
ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها
إنك لمحمد وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره
الإسفرائيني ع وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة
بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت
تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا في فم الغار
وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له
ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله
عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله ابن قرط قرب
للنبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد
فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم
في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا
الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع

قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي
وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو
في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ومن هذا
الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه
مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة
فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني
بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ عليه الصلاة والسلام بأذن
شاة لقوم من عبد القيس بين أصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك
الأثر فيها وفي نسلها بعد وما روي من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر
وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه
كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم
وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات
وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه
ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلث مائة

حاشية: قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب عبد الله بن قرط الثمالي الأزدي كان اسمه في الجاهلية شيطان فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله حديثه عند أهل الشام روى عنه حصيف بن الحارث وعبد الرحمن بن عائذ وعبد الله بن يحيى ولاه أبو عبيدة بن الجراح مرتين على حمص ثم لم يزل عليها حتى توفي أبو عبيدة روى عنه أيضا عمرو بن قيس السكوني ومسلم بن عبد الله الأزدي

أشهد

حاشية: قال الحافظ الذي المحدثون لا يروونه إلا بالفتح والوجه النصب

فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع املكها
وما أراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها
وقال صلى الله عليه وسلم لفرسه وقد قام إلى الصلوة في بعض أسفاره
لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا
حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم
في يوم واحد فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم
والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا بالمشهور من ذلك وما وقع منه في
كتب الأئمة

فصل في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم

❁ حدثنا
أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن
رشد والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا
قالوا حدثنا أبو علي الحافظ قال حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا أبو زيد
عبد الرحمن بن يحيى حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو
داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن
أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم

بخيبر شاة

بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها
وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر
بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم
يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله
ليسلط على ذلك فقالوا نقتلها قال لا ❁ وكذلك عن أبي هريرة من
رواية غير وهب قال فما عرض لها ❁ ورواه أيضا جابر بن عبد الله وفيه
أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن أن فخذها
تكلمني أنها مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت أني مسمومة
وكذلك ذكر الخبر ابن إسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر
عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في وجعه الذي مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعادني فالآن أوان
قطعت أبهري وحكى ابن إسحق إن كان المسلمون ليرون أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به
من النبوة وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمتها ❁ وقد ذكرنا اختلاف الروايات

في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر وابن عباس وفي رواية ابن عباس
أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك اختلفوا في قتله
للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وروي عنه أنه قتله
وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسط
يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر منا أحدا قال
القاضي أبو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه
الأئمة وهو حديث مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب
فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجرة
وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير
أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي
أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام
بعده وحكي أيضا هذا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله أعلم إذ لم
نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها
مع عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي
فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافا للجبائي
من بين سائر متكلمي الفرق في إحالته وجود الكلام اللفظي والحروف
والأصوات إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف

والأصوات

والأصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال إن الله تعالى خلق فيها
حياة وخلق لها فما ولسانا وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله
والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل
السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة
إليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن النبي
صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله
وروي عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي
يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة
اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت
هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي
وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي
فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله
أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم
إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة

فلا تحملن على هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وروى عن عبيد الله بن عبيد الله الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت ابن قيس بن شماس
وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر محمد رسول الله أبو بكر الصديق
عمر الشهيد عثمن البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمن بن بشير
أن زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشائين
والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد
رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال
صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمن ثم قال السلام عليك يا رسول الله
ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فسبحان القدير لا إله إلا هو

فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات

أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال أخبرنا أبو إسحق الحبال
قال أخبرنا أبو محمد بن النحاس أخبرنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام
عن زياد البكائي عن محمد بن إسحق حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن
قتادة وجماعة ذكرهم بقضية أحد بطولها قال قالوا وقال سعد بن أبي
وقاص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول
ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت
وأصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم
بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض ابن عمر بن قتادة ورواها أبو سعيد
الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي
قرد قال فما ضرب علي ولا قاح ❁ وروى النسائي عن عثمن بن حنيف
أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق
فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي
الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في
قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى أن ابن ملاعب الأسنة أصابه
استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض
فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه
بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك
ويقال فويك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في
الإبرة وهو ابن ثمانين وري كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن أنيس
فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا ونفث
على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرأت وفي رجل زيد بن

حاشية
قال شيخنا الحافظ جمال الدين المزي المعروف بن ... حاشية
... من الذين ... زيد بن معاذ وإنما هو
أنيس هو زيد بن معاذ وكذا ذكره
الحرث بن أوس بن معاذ
ابن إسحق في السيرة

بلغ مقابلة على الأصل المنقول منه فصح بحسب الطاقة والإمكان

معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرأت وعلى
ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرأ مكانه وما زال عن فرسه
واشتكى علي بن أبي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع أبو جهل
يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته أيضا أن خبيب
ابن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على
عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه
وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل
عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون
فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي وانكفأت
القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه
فبرأ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى
رفعها ولم يبق لها أثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين
يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في

فيه ولم يكن

فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها
ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها

فصل

في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا وإجابة
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة
معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده ❁ حدثنا أبو
محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا أبو القسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن
القابسي حدثنا أبو زيد المروزي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
إسمعيل حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن
قتادة عن أنس قال قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال
اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال
أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم
على نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما
أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد
ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو
رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر
الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة

ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مأية ألف وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها
في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية
في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير
فيها سبع مأية بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما
عليها وبأقتابها وأحلاسها ودعا عليه الصلوة والسلام لمعوية بالتمكين
في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما
دعا لأحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب
له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب
وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم
شكوا إليه المطر فدعا فصحوا وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم
بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس
عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي
رواية فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش
عشرين ومأية وقيل أكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في
الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله
بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ودعا للمقداد

بالبركة فكانت

بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا مثله لعروة بن أبي الجعد فقال
فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في
حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة أيضا
وندت له ناقة فدعا فجاءه بها إعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لأم أبي
هريرة فأسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في
الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد
ودعا لفاطمة ابنته الله أن لا يجيعها فما جاعت بعد وسأله الطفيل بن
عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب
أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة
المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا
لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق
له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا ودعا على صبي قطع
عليه الصلوة أن يقطع الله أثره فأقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله
كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه
وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد
وقال لامرأة أكلك الأسد فأكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلى على رقبته

حاشية
في أصله أمل اخر لايسبه والظاهر
تصحيف يصيبه أي الضاد سينا
أي رباعيا إنما هو
وإلا فلم يشح القدان
ثلاثي كما نطق به وجدته في
لسوا وجوهكم وهو مصلح في
أصلين يصيبه كما هو
الأصل
حرق
حاشية
الظلماء
هو الطفيل بن عمرو بن طريف
بن العاص ويقال له ذو النورين
العلاء

وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر
ودعا على الحكم بن أبي العاصي وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه وسلم أي لا فرآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج إلى أن مات ودعا
على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات
فألقوه بين صدين ورضموا عليه الحجارة الصد جانب الوادي وجحد رجل
بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد
النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له
فيها فأصبحت شاصية برجلها أي رافعة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه

أو باشره صلى الله عليه وسلم أخبرنا أحمد بن محمد حدثنا أبو ذر الهروي
إجازة ح وحدثنا القاضي أبو علي سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا أبو الوليد القاضي حدثنا أبو ذر حدثنا
أبو محمد وأبو إسحق وأبو الهيثم أخبرنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا
عبد الأعلى بن حماد أخبرنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن
أنس بن مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال غيره يبطأ فلما
رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جملا جابر وكان

قد أعيى فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي
خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها
باثني عشر ألفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير
وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا
إلا رزق النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة
وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي
بها وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم بن المأمون قال كانت
عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى
فيستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره
على ركبته فصاح الناس به فأخذته الأكلة فيها فقطعها ومات قبل
الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر
كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه
فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب وأتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه أطيب من المسك وأعطى
الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان
لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها النبي
صلى الله عليه وسلم ألا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا

فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندها شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمنا
فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه الصبيان المراضيع
فيجزيهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم
فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتب مواليه على ثلث مائة ودية
يغرسها لهم كلها يعلق ويطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده إلا واحدة غرسها
غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم
وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة
فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه
أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش بن
عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب
أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا
عطشت وبردها إذا ظمئت وأعطى قتادة بن النعمن وصلى معه العشاء
في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك من
بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا
فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى

دخل بيته

دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فصار في يده سيفا
صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به
المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى
العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل
فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوايل باللبن الكثير
كقصة شاة أم معبد وأعنز معوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد
وتزويده من ذلك أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة
نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة
ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب
وروى مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السايب بن يزيد ومدلوك
وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلب الدم عن
وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة
الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة
سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت

ودفع صلى الله عليه وسلم

حاشية: مدلوك هذا هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم

يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر ويروى مثل هذه الحكاية
لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه
قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه في المرآة
ووضع يده المباركة على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة
يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت
أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها
ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره وعلى غير واحد
من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤوا وأتاه رجل به أدرة فأمره أن
ينضحها بماء من عين مج فيه ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله
عليه وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب المس والمس الجنون
ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ قبضة من
تراب يوم حنين ورمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا
يمسحون القذى عن أعينهم وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره
ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما
يروى عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب فكثير وضرب صدر جرير
بن عبد الله ودعا له وكان ذكر أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب

وأثبتهم

وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما
ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما **فصل** ومن ذلك ما اطلع
عليه صلى الله عليه وسلم من الغيوب وما يكون والأحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة
معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها
واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن
الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر حدثنا أبو علي التستري
حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي أخبرنا أبو داود حدثنا عثمان
بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في
مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر
الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما
أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعدا إلا قد سماه
لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما وقد خرج

أَهْلُ الصَّحِيحِ وَالْأَئِمَّةُ مَا أَعْلَمَ بِهِ أَصْحَابَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا وَعَدَهُمْ بِهِ
مِنَ الظُّهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَفَتْحِ مَكَّةَ • وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْيَمَنِ • وَالشَّامِ • وَالْعِرَاقِ
وَظُهُورِ الْأَمْنِ حَتَّى تَظْعَنَ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحِيرَةِ إِلَى مَكَّةَ لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَ وَأَنَّ
الْمَدِينَةَ سَتُغْزَى وَتُفْتَحُ خَيْبَرُ عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ فِي غَدِ يَوْمِهِ وَمَا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى
أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَيُؤْتَوْنَ مِنْ زَهْرَتِهَا وَقِسْمَتِهِمْ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَمَا
تَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَالِاخْتِلَافِ وَالْأَهْوَاءِ وَسُلُوكِ سَبِيلِ مَنْ قَبْلَهُمْ
وَافْتِرَاقِهِمْ عَلَى ثَلَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً النَّاجِيَةُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ وَأَنَّهُ سَتَكُونُ
لَهُمْ أَنْمَاطٌ • وَيَغْدُو أَحَدُهُمْ فِي حُلَّةٍ وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى • وَتُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ
صَحْفَةٌ وَتُرْفَعُ أُخْرَى • وَيَسْتُرُونَ بُيُوتَهُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ ثُمَّ قَالَ
آخِرَ الْحَدِيثِ وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ وَأَنَّهُمْ إِذَا مَشَوُا الْمُطَيْطَاءَ
وَخَدَمَتْهُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومِ رَدَّ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ وَسَلَّطَ شِرَارَهُمْ
عَلَى خِيَارِهِمْ وَقِتَالِهِمُ التُّرْكَ وَالْخَزَرَ وَالرُّومَ وَذَهَابِ كِسْرَى وَفَارِسَ
حَتَّى لَا كِسْرَى وَلَا فَارِسَ بَعْدَهُ • وَذَهَابِ قَيْصَرَ حَتَّى لَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ • وَذَكَرَ أَنَّ
الرُّومَ ذَاتُ قُرُونٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ • وَبِذَهَابِ الْأَمْثَلِ فَالْأَمْثَلِ مِنَ النَّاسِ
وَتَقَارُبِ الزَّمَانِ وَقَبْضِ الْعِلْمِ وَظُهُورِ الْفِتَنِ وَالْهَرْجِ • وَقَالَ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ
مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ • وَأَنَّهُ زُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ فَأُرِيَ مِنْهَا مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا
وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ مَا زُوِيَ لَهُ مِنْهَا فَكَذَلِكَ كَانَ امْتَدَّتْ فِي الْمَشَارِقِ

والمغارب

وَالْمَغَارِبِ مَا بَيْنَ أَرْضِ الْهِنْدِ أَقْصَى الْمَشْرِقِ إِلَى بَحْرِ طَنْجَةَ حَيْثُ لَا عِمَارَةَ وَرَاءَهُ
وَذَلِكَ مَا لَمْ تَمْلِكْهُ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ وَلَمْ تَمْتَدَّ فِي الْجَنُوبِ وَلَا فِي الشَّمَالِ مِثْلَ ذَلِكَ
وَقَوْلِهِ لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ذَهَبَ ابْنُ
الْمَدِينِيِّ إِلَى أَنَّهُمُ الْعَرَبُ لِأَنَّهُمُ الْمُخْتَصُّونَ بِالسَّقْيِ بِالْغَرْبِ وَهُوَ الدَّلْوُ • وَغَيْرُهُ
يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُمْ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَقَدْ وَرَدَ الْمَغْرِبُ كَذَا فِي الْحَدِيثِ بِمَعْنَاهُ وَفِي
حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ قَاهِرِينَ
لِعَدُوِّهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ قَالَ
بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَخْبَرَ بِمُلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَوِلَايَةِ مُعَوِيَةَ وَوَصَّاهُ وَاتِّخَاذِ بَنِي أُمَيَّةَ
مَالَ اللهِ دُوَلًا وَخُرُوجِ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بِالرَّايَاتِ السُّودِ وَمُلْكِهِمْ أَضْعَافَ
مَا مَلَكُوهُ وَخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ وَمَا يَنَالُ أَهْلَ بَيْتِهِ وَتَقْتِيلِهِمْ وَتَشْرِيدِهِمْ
وَقَتْلِ عَلِيٍّ وَأَنَّ أَشْقَاهَا الَّذِي تَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَيْ لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ وَأَنَّهُ
قَسِيمُ النَّارِ يَدْخُلُ أَوْلِيَاؤُهُ الْجَنَّةَ وَأَعْدَاؤُهُ النَّارَ فَكَانَ مِمَّنْ عَادَاهُ الْخَوَارِجُ
وَالنَّاصِبَةُ وَطَائِفَةٌ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الرَّوَافِضِ كَفَّرُوهُ • وَقَتْلِ عُثْمَنَ
وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ وَأَنَّ اللهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَهُ قَمِيصًا وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ خَلْعَهُ وَأَنَّهُ
سَيَقْطُرُ دَمُهُ عَلَى قَوْلِهِ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَأَنَّ الْفِتَنَ لَا
تَظْهَرُ مَا دَامَ عُمَرُ حَيًّا • وَبِمُحَارَبَةِ الزُّبَيْرِ لِعَلِيٍّ وَبِنُبَاحِ كِلَابِ الْحَوْأَبِ عَلَى بَعْضِ
أَزْوَاجِهِ وَأَنَّهُ يُقْتَلُ حَوْلَهَا قَتْلَى كَثِيرٌ وَتَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ فَنَبَحَتْ عَلَى عَائِشَةَ

عند خروجها إلى البصرة • وأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معوية
وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في
قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه • وقال في
جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار
فكان بعضهم يسئل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى
بالنار فاحترق فيها • وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجه عنه فإني رأيت
الملئكة تغسله فسألوها فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال عن الغسل قال
أبو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء • وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا
الأمر في قريش ما أقاموا الدين • وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما
الحجاج والمختار • وبأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقا به
وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة
الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون
رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة وفسادا
في الأمة • وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلوة عن
وقتها وسيكون في أمته ثلثون كذابا فيهم أربع نسوة وفي حديث
آخر ثلثون رجلا كذابا أحدهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله
ورسوله • وقال يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون

رقابكم

رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون • وقال لا يأتي زمان إلا
والذي بعده شر منه • وقال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتي على يدي أغيلمة
من قريش قال أبو هريرة راويه فلو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو
فلان • وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الأمة أولها وقلة
الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم تبق
لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة • وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم
والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق • ويرى رعاء الغنم رؤس الناس
والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها • وأن قريشا
والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم • وأخبر بالموتان الذي يكون
بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر
كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من
فارس • وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا إلى
المدينة وجدوا ذلك • وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار
أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل
فقتل مرتدا يوم اليمامة • وأعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت

في رحله ٭ وبالذي غل الشملة وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة
بخطامها وبشأن كتاب حاطب الى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين
ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله
عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر
والسر أسلم ٭ وأخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد
أن كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فأسلم وأعلم بأنه سيقتل أبي بن
خلف ٭ وفي عتبة بن أبي لهب أنه يأكله كلب الله وعن مصارع أهل بدر
فكان كما قال ٭ وقال في الحسن أن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وأخبر بقتل
أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر وأزيد ٭ وبموت النجاشي
يوم مات وهو بأرضه ٭ وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولا من كسرى
بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم وأخبر أبا ذر بتطريده
كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال
أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده
وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة
وأخبر بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه ٭ وقال
في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد ٭ وقال

في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل
عمر وعثمن وعلي وطلحة والزبير وطعن سعد ٭ وقال لسراقة كيف بك إذا ألبست
سواري كسرى فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى
وألبسهما سراقة ٭ وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة
تجبى اليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداذ ٭ وقال سيكون في هذه الأمة
رجل يقال له الوليد وهو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه ٭ وقال
لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة ٭ وقال لعمر في سهيل
ابن عمرو وعسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي
بكر يوم بلغه موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى
بصائرهم ٭ وقال لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر ٭
فوجدت هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه
وسلم الى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من
أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى أن كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة
البطحاء ٭ وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في
مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال
صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة ٭ وإعلامه قريشا بأكل الأرضة

مَا فِي صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي تَظَاهَرُوا بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَطَعُوا بِهَا رَحِمَهُمْ وَأَنَّهَا أَبْقَتْ
فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لِلّٰهِ فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصْفِهِ لِكُفَّارِ
قُرَيْشٍ بَيْتَ الْمَقْدِسِ حِينَ كَذَّبُوهُ فِي خَبَرِ الْإِسْرَاءِ وَنَعْتِهِ إِيَّاهُ نَعْتَ مَنْ عَرَفَهُ
وَإِعْلَامِهِمْ بِعِيرِهِمُ الَّتِي مَرَّ عَلَيْهَا فِي طَرِيقِهِ وَإِنْذَارِهِمْ بِوَقْتِ وُصُولِهَا
فَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْحَوَادِثِ
الَّتِي تَكُونُ وَلَمْ تَأْتِ بَعْدُ مِنْهَا مَا ظَهَرَتْ مُقَدِّمَاتُهَا كَقَوْلِهِ عُمْرَانُ
بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ
قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَآيَاتِ حُلُولِهَا وَذِكْرِ النَّشْرِ وَالْحَشْرِ
وَأَخْبَارِ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَعَرَصَاتِ الْقِيٰمَةِ وَبِحَسَبِ
هَذَا الْفَصْلِ أَنْ يَكُونَ دِيوَانًا مُفْرَدًا يَشْتَمِلُ عَلَى أَجْزَاءٍ وَحْدَهُ وَفِيمَا أَشَرْنَا
إِلَيْهِ مِنْ نُكَتِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ وَأَكْثَرُهَا فِي الصَّحِيحِ وَعِنْدَ الْأَئِمَّةِ

فَصْلٌ فِي عِصْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنَ النَّاسِ وَكِفَايَتِهِ مَنْ آذَاهُ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ وَقَالَ
تَعَالَى وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَقَالَ أَلَيْسَ اللّٰهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ قِيلَ
بِكَافٍ مُحَمَّدًا أَعْدَاءَهُ الْمُشْرِكِينَ وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا وَقَالَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ
الْمُسْتَهْزِءِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ وَقَالَ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا الْآيَةَ ، أَخْبَرَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ

حـ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ — قُسْطَنْطِينِيَّة — حاشيه: فالحاصل أن فيها ست لغات فتح الطاء الأولى وضمها مع تخفيف الياء الأخيرة وفتحها مع التشديد وهما مع حذف يا[ئها] قال الحافظ المزي والقاف مضمومة على كل حال
حـ وَكِفَايَتِهِ
حـ فَتَوَاتِيَ

وَالْفَقِيهُ

وَالْفَقِيهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَعَافِرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ
الصَّيْرَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى الْبَغْدَادِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو
الْعَبَّاسِ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى الْحَافِظُ حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا مُسْلِمُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا الْحَرْثُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ
عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[سَلَّمَ رَ]أْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُمْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا اخْتَارَ لَهُ أَصْحَابُهُ شَجَرَةً يَقِيلُ تَحْتَهَا فَأَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ
فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ اللهُ فَأُرْعِدَتْ يَدُ الْأَعْرَابِيِّ
وَسَقَطَ سَيْفُهُ وَضَرَبَ بِرَأْسِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى سَالَ دِمَاغُهُ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ
وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي الصَّحِيحِ وَأَنَّ غَوْرَثَ ابْنَ الْحَرْثِ صَاحِبُ هَذِهِ
الْقِصَّةِ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَفَا عَنْهُ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ جِئْتُكُمْ
مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ وَقَدْ حُكِيَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّهَا جَرَتْ لَهُ يَوْمَ
بَدْرٍ وَقَدِ انْفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَذَكَرَ مِثْلَهُ
وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ مِثْلُهَا فِي غَزْوَةِ غَطَفَانَ بِذِي أَمَرٍّ مَعَ رَجُلٍ اسْمُهُ
دُعْثُورُ بْنُ الْحَرْثِ وَأَنَّ الرَّجُلَ أَسْلَمَ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ الَّذِينَ أَغْرَوْهُ وَكَانَ
سَيِّدَهُمْ وَأَشْجَعَهُمْ قَالُوا لَهُ أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ وَقَدْ أَمْكَنَكَ فَقَالَ إِنِّي نَظَرْتُ

حـ فَأُرْعِدَتْ
حـ يُحْرَسُ
حـ دُعْثُورُ — الْغَزْوَةِ

[حاشية: خ إلى ظهري]

إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي
فعرفت أنه ملك وأسلمت قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية وفي رواية الخطابي
أن غويرث بن الحرث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم
يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت
فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة
وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر أن فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه
وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيبا أهيل وذكر
ابن إسحق عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب وذكرها بما ذكرها الله
مع زوجها من الذم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في
المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا
أبا بكر وأخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر أين
صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن
الحكم بن أبي العاصي تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا

صوتا خلفنا

[حاشية: رواه الخطابي أن غويرث أو غورث بن الحارث المحاربي على الشك هل هو بالعين المهملة أو بالغين المعجمة ولكن لم يشك في لفظ التصغير والمشهور الذي ذكره شيخنا الحافظ المزي أنه غورث بالغين المعجمة غير مصغر كما ذكره المصنف رحمه الله والله أعلم]

[حاشية: قال الخطابي في غريب الحديث له قال أبو زيد يقال زلخ الله فلانا بالزلخة وهو وجع يأخذ في الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته واشتداده كأنما أصاب ظهري زلخة وأنشد ابن الأعرابي: داويها ظهرك من توجاعه * من زلخات فيه وانقطاعه]

صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا حتى
قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت
الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت أنا وأبو جهم بن
حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له فافتتح
فقرأ الحاقة ما الحاقة إلى فهل ترى لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد
عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات إسلام عمر ومنه العبرة
المشهورة والكفاية التامة عند ما أخافته قريش وأجمعت على قتله وبيتوه
فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذرى
التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عند رؤيتهم في الغار
بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال أمية بن
خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى
أنه قبل أن يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان
فيه أحد لما كان هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسه
واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت
قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب
ودنا حتى إذا سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر

[حاشية: خ وقرأ]

[حاشية: يقال ذرى يذرو وأذرى وذرى يذري وأذرى يذري وذرّى يذرّي كلها بمعنى واحد]

يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن إن الله معنا
فساخت ثانية إلى ركبتيها وخرعنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل
الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه
ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم
أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ها هنا وقيل
بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور
النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد
يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج
له حتى رجع إلى موضعه وجاء فيما ذكر ابن إسحق وغيره أبو جهل بصخرة
وهو ساجد وقريش ينظرون إليه ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل
فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه
فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم
بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لأخذه
وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم
ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله
فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه . وذكر أن في هاتين القصتين

نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن إسحق
وغيره في قصته إذ خرج إلى بني قريظة في أصحابه فجلس إلى جدار بعض
آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي
صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل إن
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا
الآية في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير
يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن أمية فقال له حيي
ابن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله
فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته
حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث عن أبي هريرة أن
أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي
صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا
على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق
مملوء نارا كدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت
الأرض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا
عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان ليطغى

حاشية: إنما كانت هذه الواقعة من بني النضير لا من بني قريظة كذا ذكرها ابن إسحق وابن عقبة وابن سعد وغيرهم

خ تتلهما

خ يعلم

خ البته

خ ذا ال

نزلت إنا جعلنا

أن رآه استغنى إلى آخر السورة ويروى أن رجلا يعرف بشيبة أدركه
يوم حنين وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك
ثأري من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال
فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا
وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض
الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به دونه
صلى الله عليه وسلم وعن فضالة بن عمير أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال
ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري
فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه ومن مشهور
ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله
عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه
أنت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن
أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته له تعالى
أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم
بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك

حاشية: الثأر أصله الهمز ويجوز التخفيف ه

حاشية: فضالة هذا فضالة بن عمير بن الملوح الليثي ذكره ابن إسحق في السيرة والله أعلم

خ: بلغ عنه أمره

نصره

نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل
ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور
شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في
الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية
من لدن آدم عليه السلام إلى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي
سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف
آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة
من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم
بأسرارها ومخبآت علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه إلى
الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب
فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص
بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البينة
لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع
التي لا تناقض فيها ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق
ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم
شيئا إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا

بلغ مقابلة على الأصل المنقول منه فصح بحسب الطاقة والإمكان

خ: من

خ: زمن

خ: أسرارها

خ: فصاحاتها

خ: القلم

خ: الذي لا تناقض فيه

سبح ما يدعوا إليه صوبه واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه ثم ما
أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به أنفسهم وأعراضهم
وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلاً والتخويف بالنار آجلاً مما لا يعلم
ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
بعض هذا إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه
المعارف كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة وأصولاً في علمهم كقوله
صلى الله عليه وسلم الرؤيا لأول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا
ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث الرجل بها نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان
وقوله إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله أصل كل داء
البردة وما روى عنه في حديث أبي هريرة من قوله المعدة حوض البدن
والعروق إليها واردة وإن كان هذا حديثاً لا نصححه لضعفه وكونه
موضوعاً تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود
والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى
وعشرين وفي العود الهندي سبعة أشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء
شراً من بطن إلى قوله فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ أرجل هو أو امرأة أو أرض فقال رجل ولد عشرة

تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب
قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما
اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله
إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وقوله في
الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وإن الحسنة بعشر فتلك
مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع
نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله
لعيينة أو الأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على
أذنك لأنه أذكر للمملي هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب
ولكنه أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن
شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن
معوية أنه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له ألق الدواة
وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله
ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله
عليه وسلم كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة

وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر
مشهور قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم
كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج
وهو القتل بها وقوله في حديث أبي هريرة أشكنب درد أي وجع البطن
بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا
من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو رجل كما
قال الله تعالى أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا
نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف هو قبل شيئا منها
قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت
غايت معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل
ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه
وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد
لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم
أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي
يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان
إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا يتعد من

الآيات

الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند
المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد
عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم رصفه وصورة
تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي
أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم
مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد
صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع
العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس
إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه كفعل
النضر بن الحرث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه
وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتب فيقال إنه
استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة
أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل
فيها مكثه مدة تحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره
في صحبة قومه ورفاقه وعشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه
بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا

حاشية
وقع في بعض نسخ الشفا دردم بزيادة ميم آخره وهو خطأ والصحيح كما في الأصل والله أعلم

خ عرف هو قبل بشيء

خ إنما هو

خ أو جبير

خ عليه

خ بينهما

بعد كله لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا
لكل شبهة ومجليا لكل أمر ۝ **فصل** ومن خصايصه صلى الله
عليه وسلم وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد
الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى
وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية وقال إذ يوحي ربك إلى
الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم أني ممدكم الآيتين وقال وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن الآية ∴ حدثنا سفين بن العاصي الفقيه سماعي عليه أخبرنا
أبو الليث السمرقندي قال أخبرنا عبد الغافر الفارسي أخبرنا أبو أحمد
الجلودي أخبرنا ابن سفين أخبرنا مسلم أخبرنا عبيد الله بن معاذ أخبرنا
أبي أخبرنا شعبة عن سليمن الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله
قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له
ست مائة جناح ۰ والخبر في محادثته مع جبريل وسرافيل وغيرهما من
الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء
مشهور ۰ وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة
رأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية ورأى
سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب

بيض ورأى

بيض ورأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإيمان
والإسلام ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر
وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى
أبو سفين ابن الحرث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما
يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وقد كان
عمران بن الحصين تصافحه الملائكة وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة
جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة
الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب
بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم
النبي صلى الله عليه وسلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر
بن الخطاب أنه قال بينا أنا جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل
شيخ بيده عصى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة
الجن من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا
ومن بعده في حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من
القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت
له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم

فقال تلك العزى وقال صلى الله عليه وسلم إن شيطانا تفلت البارحة
ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا
وهذا باب واسع

فصل ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء
أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي
بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع
والأوس بن حارثة وشبهه وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع
وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف
به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن نوفل وعثكلان الحميري
وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي
من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهم
ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين ومخيريق
وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور
الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان
والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من

علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصرانية
ورئيساها ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن
أخطب وأخوه وكعب ابن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء
اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاوة والأخبار
في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه
في كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك
صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره
ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب فما منهم إلا من نفر عن معارضته
وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان
إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ
القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما
أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب
وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي
وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت نعمان ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر على
ألسنة الأصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف
الجان ومن ذبائح النصب وأجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله
عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط

علماء النصارى

القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عند ما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمن بن أبي العاصي من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن حاضنته ما رأيته عليه الصلوة والسلام شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام

والعفة عن

والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال له عمه ما بالك قال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرقت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة إليه حتى أظلته وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره في المدينة وفي بيته وأن بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله تعالى له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله وندائهم الذي سمعوه أن لا

صح النور

حاشية قوله بضم الفاء والعين جمع على فعل بضم الفاء والعين أيضا كشرفة وشرفات هـ

خ في الخبر الآخر

ينزعوا عنه القميص عند غسله • وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل
بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من كراماته وبركته في حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل** قال المؤلف
رحمه الله قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل
من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا أكثر
مما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد
ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره
مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب
هذا الباب لو تقصى أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة
ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من معجزات سائر الرسل
بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا
مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فإن أردته فتأمل فصول
هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله
تعالى وأما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز وأقل ما يقع الإعجاز
فيه عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها
وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة وذهب آخرون إلى
أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق

ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل ما تحداهم
به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة
عدد إنا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في
نفسه ثم إعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في
كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه
وجوه إعجاز أخر من الإخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة
من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز
فيتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها
توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا
تحوي الحصر براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة
عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الأبواب وعن ما دل على أمره
مما أشرنا إلى جمله تبلغ نحوا من هذا **الوجه الثاني** وضوح معجزاته
صلى الله عليه وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم
وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام
غاية علم أهله السحر بعث إليهم موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما

صح الكثير سوى ما ذكرنا
صح بعض
صح وزاد آخرون أن
ما ذكرناه
صح مرة

يدّعون قدرتهم عليه فجاءهم ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم
وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى ما كان الطب وأوفر
ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه
من أحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر
معجزات الأنبياء ثم إن الله تعالى جل اسمه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة
معارف العرب وعلومها أربعة • البلاغة • والشعر • والخبر والكهانة •
فأنزل الله تعالى عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة
والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب
العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان
منهجه ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان أعدى
العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها
برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء
الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا
العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة
الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن
ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر

خ البتة

حاشية: قال ابن القطاع كهن كهانة إذا ادعى علم الغيب فإذا أردت أنه صار كاهنا قلت كهُن بالضم ٥

خ الباقية

فيه وتأمل

فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر
عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين
والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن كان كل
عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها
ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل
ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو إسحق
وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز
ابن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه
البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم
تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح
إن شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل
قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء

خ تالياً

السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن
كلام ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتحيل فيه عمل فكان من هذا الوجه
عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب أن يكون
شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الأول أخلص وأرضى
وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث رابع
مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها
أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم
ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين
هذين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في
مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء
والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال
والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان
بمثله والنكول عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم
وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا أبلغ
من خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية
ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص صاحب
ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر

وأما التحدي

وأما التحدي للخلائق في المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا
بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع
الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام عن الناس
مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن
القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب
عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر
عن ذلك برقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا
المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط
وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة
وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري
ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة
للأبصار بقدر غلظ أفهامهم بما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا
الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف
بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله
ووحده من قبل الرسول بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول

بكتاب الله تعالى فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق فقد قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها إن شاء الله تعالى وبه أستعين

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلوة والسلام

قال المؤلف رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف رحمه الله إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ليؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية فالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا

معه قال

معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا ❁ حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ❁ حدثنا الإمام أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا أبو الحسين حدثنا أمية ابن بسطام حدثنا يزيد بن زريع أخبرنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى قال المؤلف رحمه الله والإيمان به عليه الصلوة والسلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر أن الإيمان

فقال

به محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه
الحال المحمودة التامة وأما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون
تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين
لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم
لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم
ما ليس في قلوبهم خرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه
إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم
حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة
وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة
الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها
بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا
شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل
الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان
بين هذين أحدهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت
للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول
والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا الجنة لقوله صلى الله عليه

وسلم تخرج

الحالة بالقلب

والفرق

قلبه

وقت الشهادة

وسلم تخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى
ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو
الصحيح في هذا الوجه الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما
يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة
فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة
الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد في النار وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن
عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع
العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذه
نبذ تفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي
الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا
يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته
وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام
حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية
فيما قصدنا إن شاء الله تعالى

فصل

وأما وجوب طاعته
فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك
مما أتى به قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله
وقال قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقال وأطيعوا الله والرسول

خرق واحدة

وهذا أيضا يقتضي

لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول
فقد أطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك الآية وقال
وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله جعل تعالى طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك جزيل الثواب وأوعد على مخالفته
بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال المفسرون
والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا
وما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من
يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن
شرائع الإسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال
السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه ❁ .
وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله
بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة ∴ حدثنا أبو محمد
بن عتاب بقراءتي عليه أخبرنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد
بن خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان
أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن
أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني

حاشية: قال شيخنا الحافظ المزي طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر

حاشية: قال شيخنا الحافظ جمال الدين المزي رضي الله عنه عبدان لقب له واسمه عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد انفرد البخاري بالسماع منه يروي عن عبد الله بن المبارك المروزي

فقد أطاع الله

فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن
عصا أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته
فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار
في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا
الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال
صلى الله عليه وسلم إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر
فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش
بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل
من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل
من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار
وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة
فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله

حاشية: أدلج الرجل إذا سار من أول الليل وادلج بالتشديد إذا سار من آخر الليل ○

حاشية: المأدبة بفتح الدال ومنها الطعام يصنع فيدعى إليه القوم يقال أدبت القوم آدبهم بكسر الدال أدبا وآدبتهم أوذبهم بالكسر أيضا إيدابا والفاعل من الأول آدب ومن الثاني مؤدب ككاتب كمؤذن وجمع الأول أدبة ككتبة ○

حاشية: في أصل ابن جبير بخطه معنى قوله فرق بين الناس أي فارق بين المؤمنين والكافرين فمن آمن به فهو مؤمن ومن كفر به فهو كافر

ومن عصى محمدًا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس

فصل وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه

فقد قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال سبحانه فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم إلى قوله تسليما أي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد وقال عز وجل لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية وقال محمد بن علي الترمذي الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة فأمرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لأن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن أن قومًا قالوا يا رسول الله إنا نحب الله فأنزل الله قل إن كنتم تحبون الله

خ أقواما

فاتبعوني

فاتبعوني يحببكم الله الآية وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره وأنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله فأنزل الله الآية وقال الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله أن تقصدوا طاعته فافعلوا ما أمركم به إذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ويقال إن الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

خ الحب

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله تعالى له رحمته له وإرادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل ح وحدثنا أبو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد قال أخبرنا أبو حفص الجهني حدثنا أبو بكر الآجري حدثنا إبراهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض

خ قراتي

ابن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم
ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ❁ زاد في
حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث أبي رافع عنه صلى الله
عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما
أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وفي حديث عائشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص
فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم
قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله
وأشدهم له خشية وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال القرآن
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه
وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا
والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي
فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه الآية وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن
رغب عن سنتي فليس مني ❁ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر

الأمور محدثاتها وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه
وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو
فريضة عادلة وعن الحسن بن أبي الحسن قال عنه صلى الله عليه وسلم
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم
إن الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد ❁
وقال صلى الله عليه وسلم إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين
ملة وإن أمتي تفترق على ثلث وسبعين كلها في النار إلا واحدة قالوا ومن
هم يا رسول الله قال الذي أنا عليه اليوم وأصحابي وعن أنس قال
صلى الله عليه وسلم من أحيى سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي وعن
عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث
من أحيى سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها
من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله
ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس
شيئا **فصل** وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته
والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد
الرحمن ابن أبي تليد الفقيه سماعا عليه قال حدثنا أبو عمر الحافظ قال

حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد
بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا ملك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد
بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن أنا نجد صلاة
الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر
يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فإنما نفعل
كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال
لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي
من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن بن أبي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة
نجاة وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرائض واللحن أي اللغة
وقال إن ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنة فإن
أصحاب السنن أعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين
فقال أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين
قرن فقال له عثمان ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله قال لم أكن لأدع

سنة

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه ألا إني
لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من
الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف
السنة كفر وقال أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على
الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه
فيعذبه الله أبدا وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس
ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط
الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في سبيل
وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا أن يكون عملكم
إن كان اجتهادا واقتصادا أن يكون على مناهج الأنبياء وسنتهم
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه
هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة
فكتب إليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم
الحق فلا أصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء
فردوه إلى الله والرسول إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها
وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود والله انك حجر لا تنفع ولا تضر
ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله
ورءي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمن الحيري
من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه
نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلثة الاقتدا
بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال
واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح
يرفعه انه الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان احمد
بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت
الحديث من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر
ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قايلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك
باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل
فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله
تعالى عليه بالخذلان والعذاب قال الله فليحذر الذين يخالفون عن
امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال جل وعز ومن

يشاقق

يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما
تولى الاية ❁ حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن
ابن عتاب بقراتي عليهما قالا حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو
الحسن القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن
ابي سليمن حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا ملك عن العلاء
بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال
عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم فيقال
انهم قد بدلوا فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما
ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت
به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد
في حديث المقداد الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم
حمقا او قال ضلالا ان رغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب
غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية

خ ابو
حاشيه هو
عبد الله بن ابي جعفر
وعبد الرحمن بن
التميمي يكني بابي محمد
عتاب كل منهما

حاشيه
عند ق فلا يذادن والمعنى
له والله اعلم
بعدك
عن
خ
بما

وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ

الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله ❁ حدثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قالوا حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا يعقوب بن إبرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز ابن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ❁ وعن أبي هريرة نحوه وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله

احب اليه

أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الأحوال ويرَ نفسه في ملكه عليه الصلوة والسلام لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا أبو القسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن خلف حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا عبدان حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم ابن أبي الجعد عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت

يرسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يرسول الله إني أحبك
قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه وعن علي
أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني
وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي
أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يرسول الله لأنت أحب إلي
من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني
ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه
وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه
لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي أنت وأمي أتمتع بالنظر إليك
فإذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية وفي حديث
أنس ومن أحبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له

حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا

من النظر

بالنبي — الآية

ابن سفين

ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل
عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد الناس
لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله ومثله
عن أبي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب
إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد
ابن معدان قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار
يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل
رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر
لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر
لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس أن تسلم أحب إلي من أن يسلم
الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن إسحق
أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت

أمتي

منهم

خيرا

أرنيه

كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا
وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس
فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الأبرار
صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكى بالأسحار
يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول
وروي أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك
يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته
واحرباه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبه محمدا وحزبه ويروى أن امرأة
قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له أبو سفين بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن
عندنا مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن

محمدا الآن

محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي
فقال أبو سفين ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وعن
ابن عباس كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت
من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله ❁
ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت
صواما قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة محبته صلى الله عليه
وسلم قال المؤلف رحمه الله اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته
وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه
وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال
سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه
والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا
قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءو
الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ❁
وإسخاط العباد في رضى الله تعالى ❁ حدثنا القاضي أبو علي الحافظ حدثنا
أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل ابن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي

حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا مسلم بن
حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن أبيه عن أبي علي بن زيد عن سعيد
ابن المسيب قال قال أنس قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن
قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك
من سنتي ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف
بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور
فهو ناقص المحبة ولا تخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي
حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم
لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامة محبة النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن احب شيئا أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه
فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة
أنهم كانوا يرتجزون ❁ غدا نلقى الأحبه ❁ محمدا وصحبه ❁
وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة
خالد بن معدان ❁ ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره
عند ذكره واظهار الخضوع والانكماش مع سماع اسمه الكريم
قال إسحق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين

منهم من يفعل

منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ❁
ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته
وصحابته من الانصار والمهاجرين وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم
وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحبه وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن
والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه
وقال من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد
أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم
غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم
فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه ❁
وقال في فاطمة رضي الله عنها إنها بضعة مني يغضبني ما يغضبها وقال
لعائشة في أسامة بن زيد أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب
الأنصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من أحب العرب
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم قال المؤلف رحمه الله ○
فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف
حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله
عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب الدباء من يومئذ
وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها

أن تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه
وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه
ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقال كل أمر يخالف شريعته
قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد
الله ورسوله وهؤلاء أصحابه عليهم السلام قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا
آباءهم وأبناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو
شئت لأتيتك برأسه يعني أباه ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به
صلى الله عليه وسلم وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان
خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته وتفهمه والعمل به ويحب سنته ويقف
عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن
وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب
النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة
وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ألا يدخر منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة
وقال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب
القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه النبي صلى الله عليه وسلم
شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم

كما كان

كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته
زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال صلى الله
عليه وسلم لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل
من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال
رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول
فقال والله إني أحبك ثلث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا
ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله تعالى
ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع
بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال سفين المحبة
اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام كأنه التفت إلى قوله تعالى
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول
عليه الصلوة والسلام اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها
وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام ذكر المحبوب وقال
آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب
وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره
ما يكره وقال آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له وأكثر العبارات

المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل
إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه
كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة
وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه
بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء
وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن
طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب
بقوم لقوم والتشيع من أمة في أخرى ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان
وهتك الحرم واخترام النفوس أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة
إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها فإذا
تقرر لك هذا نظرت إلى هذه الأسباب كلها في حقه عليه الصلاة والسلام
فعلمت أنه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة
أما جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا
منها قبل فيما مضى من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه
على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته
لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وأنه
بالمؤمنين رءوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه

وسراجا

وسراجا منيرا ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
إلى صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع
المؤمنين وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة
المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم
إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد
لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك
أنه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا لما قدمناه من صحيح
الآثار وعادة وجبلة لما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال
فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا أو
استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه
ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب وإذا كان
يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص
بعيد الدار لما فشا من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية
مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه
في صفته صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه
وذكرنا عن بعض الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله
عليه وسلم فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم قال

الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال أهل التفسير إذا نصحوا لله ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية ❁ حدثنا الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال أئمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الإمام أبو سليمن البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الإخلاص من قولهم نصحت العسل إذا خلصته من شمعه وقال أبو بكر بن أبي إسحق النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال أبو إسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والإخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل

بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو سليمن وقال أبو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا وإحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال أبو إبرهيم إسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر الآجري وغيره والنصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله الآية وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه

تعليم

والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من
علاماتها كما قدمناه وحكى الإمام أبو القسم القشيري أن عمرو بن
الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رُئي في النوم
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة الجبل
يوما فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله ذلك لي وغفر لي وأما
النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم
إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور
المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم
والنصح لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر
دينهم ودنياهم بالفعل والقول وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم
ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا أيها الذين آمنوا لا
تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي الثلث الآيات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء

بعضكم بعضا

بلغ مقابلة على النسخة المنقول منها وهي نسخة المرحوم الناصري محمد بن اجليغا

ليس في هذه الآية يا أيها النبي

بعضكم بعضا فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه
قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه
وقال الأخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه من العز
بزايين ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب وسبقه بالكلام
على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل ابن عبد الله لا تقولوا
قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل
بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من
أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به إلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد
والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك
فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم
وقال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إن الله سميع
لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر
له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي
بعضهم بعضا باسمه قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام
وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه
ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء

خ صح بسبقه في

خ فأنصتوا له واستمعوا

خ أنه

بعضكم بعضا على أحد التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه
قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فنادوه يا محمد يا محمد أخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم
بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الأولى في محاورة كانت
بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف
جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم
فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط
عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون
هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا و
تدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية
قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر
كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون
أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم

مغفرة وأجر عظيم وقيل نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات في
غير وفد بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينما النبي صلى الله
عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري أيا محمد أيا محمد
أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت وقال
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة
كانت في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا
له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها أنهم لا يرعونه
إلا برعايته لهم بل حقه أن يرعى على كل حال صلوات الله عليه وسلامه
وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة
فنهى المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها
لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه
صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله حدثنا القاضي أبو علي
الصدفي وأبو بحر الأسدي بسماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا أحمد
ابن عمر حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا محمد بن عيسى حدثنا إبراهيم بن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا محمد بن مثنى وأبو معن الرقاشي وإسحق بن منصور حدثنا
الضحاك بن مخلد حدثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن
شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن

عمرو قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في
عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما
أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم
جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما
كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما وروى أسامة
ابن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤسهم
الطير وفي حديث صفته إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا
يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم
نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط
منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم
خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له قال فلما
رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه
والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في
أصحابه وفي رواية إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه

وقد رأيت

وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا
في يد رجل ومن هذا لما أذنت قريش لعثمن في الطواف بالبيت حين
وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت
لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة
أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى
نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث
قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء أرعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما صلى الله عليه وسلم وفي حديث
المغيرة كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير
وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الأمر فأؤخره سنين من هيبته **فصل** واعلم أن حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتعظيمه وتوقيره لازم كما كان
حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته
قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر

خ بالأظافير

خ فأوخره

حـ السلف الصالح

عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله
بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ونتأدب بما أدبنا الله به قال
المؤلف رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالحين وأئمتنا الماضين
رضي الله عنهم ❁ حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري
وأبو القسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا حدثنا أبو
العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا
أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب
حدثنا يعقوب بن إسحق بن أبي إسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر
أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قوما فقال
لهم لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال إن
الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية وذم قوما فقال إن
الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا
فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم
أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو
وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيمة بل
استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا

أنفسهم

أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية وقال مالك
وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه
قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي
صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على
جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما
ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسئله
عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان
كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر
وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ولقد
اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلث خصال إما مصليا وإما صامتا
وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد
الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القسم يذكر النبي صلى الله
عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه
هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن
الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا تبقى في عينيه دموع

حـ وتنحني

ولقد رأيت الزهري وكان من أهنإ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ❁ ولقد كنت آتي صفوان
ابن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة أنه
كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس
قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان
ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم
خشع وكان عبد الرحمن ابن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم
أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول
أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله
عليه وسلم تسليما

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ❁ حدثنا الحسين
بن محمد الحافظ حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو بكر البرقاني
وغيره حدثنا أبو الحسين الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا
أحمد بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن
مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة

فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث
يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب
حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق
ذا أو ما دون ذا أو ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي
رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه وقال إبراهيم
ابن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي
حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت
أن آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم وقال
مالك جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه
فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين أنه
قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع
وقال أبو مصعب كان مالك ابن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا على وضوء إجلالا له وحكى ذلك مالك عن جعفر بن محمد
وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب
فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

مطرف كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول
لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج إليهم
وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس
ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها
وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك
فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا
على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو
مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ضرار ابن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة
وكان الأعمش إذا أحب أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم وكان
قتادة لا يحدث إلا على طهارة قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك
وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا
يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس
عنه قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم إنما صبرت
إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما

مع مالك

مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل من أن
تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير
ابن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاض فقال
القاضي أحق من أدب وذكر أن هشام بن الغاز سأل مالكا عن حديث
وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام
وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك
والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ
أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة
وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات
المؤمنين أزواجه كما حض صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف
الصالح رضي الله عنهم قال الله تبارك وتعالى إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت الآية وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم أخبرنا
الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل من كتابه وكتبت من أصله حدثنا أبو الحسن
المقرئ الفرغاني حدثتني أم القسم ابنة الشيخ أبي بكر الخفاف حدثنا أبي
أخبرنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن إسمعيل حدثنا يحيى هو ابن
الحماني أخبرنا وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان

ولا يقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء

تنخر

عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله وأهل
بيتي ثلثا قلنا لزيد من أهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل
العباس وقال صلى الله عليه وسلم أني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن
تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال
صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على
الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم
هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم وإذا عرفهم بذلك عرف
وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن أبي سلمة لما نزلت
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك في بيت أم
سلمة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم
بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد ابن أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة
دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم
وقال اللهم هؤلاء أهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من
كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه
لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق وقال للعباس والذي نفسي
بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن آذى عمي فقد

أذاني وإنما

أذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك
فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم
من النار كستري إياهم فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وكان يأخذ أسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم إني أحبهما فأحبهما
وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في أهل بيته وقال أيضا
والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل
من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم أحب الله من أحب حسنا وحسينا
وقال من أحبني وأحب هذين وأشار إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما
كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من أهان
قريشا أهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال
صلى الله عليه وسلم لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحرث
رأيت أبا بكر وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي ليس
شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن قال أتيت
عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب
إلي فإني أستحيي من الله أن أراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد ابن ثابت
على جنازة أمه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاءه ابن عباس فأخذ بركابه
فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء

فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ورأى
ابن عمر محمد بن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد بن أسامة
فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الأرض وقال لو رآه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأحبه وقال الأوزاعي دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها
يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في
ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة
إلا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة
آلاف ولأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لأبيه لم
فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد فقال له لأن زيدا كان أحب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك وأسامة أحب إليه منك فآثرت
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معوية أن كابس بن
ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار
قام من سريره وتلقاه وقبل بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر
ابن سليمن ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق
فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت

فالقى النبى

فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيى منه أن يدخل بعض آله النار بسببي
وقيل إن المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها
سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي
قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء
إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال
أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا
وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر
وعمر رضي الله عنهما يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم
ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة
السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما
توفي صلى الله عليه وسلم وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره توقير أصحابه
وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار
لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والإضراب
عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين

يغمص صح

عليهم صح

حاشية: يغمص بالصاد المهملة معناه يعاب او يحتقر او يطعن وبالضاد المعجمة يصغر او يخفى واغمض نام يستحاذ او البيع استحاذ مالا معناه ان القطاع في افعاله والله اعلم

القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من
الفتن أحسن التأويلات وتخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك
ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله
عليه وسلم إذا ذكر أصحابي فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول
الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة وقال
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الآية وقال لقد رضي
الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الآية ❁ حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الحسين
وأبو الفضل حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفين بن عيينة
عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر
وقال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام
إلا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم

فقد آذاني

ذهب صح

تقدم أول الفصل

فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال
لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه
وقال لا تسبوا أصحابي من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا
وقال في حديث جابر إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمن وعليا فجعلهم
خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير وقال من أحب عمر فقد أحبني
ومن أبغض عمر فقد أبغضني قال مالك بن أنس وغيره من أبغض الصحابة
وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءو
من بعدهم الآية وقال من غاظه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر
فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمن فقد استضاء بنور الله تعالى ومن
أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحدا منهم فهو
مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل

إلى السماء حتى تحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن
سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر
فاعرفوا له ذلك أيها الناس إني راض عن عمر وعن علي وعن عثمن وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس
إن الله غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري
وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيمة غدا
وقال رجل للمعافي بن عمران أين عمر ابن عبد العزيز من معوية ○
فغضب وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معوية صاحبه
وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله وأتي النبي صلى الله عليه وسلم
بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمن فأبغضه الله وقال
صلى الله عليه وسلم في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم
وقال احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه
الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله
منه يوشك أن يأخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في أصحابي
كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في أصحابي ورد على
الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني إلا من بعيد
قال ملك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي

هدانا الله به

حاشية
كذا فيه خالد بن سعيد وإنما هو خالد
بن عمرو بن سعيد بن العاصي القرشي
والحديث فليس هو من رواية
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن
الصحابة وإنما رواه خالد عن سهل
بن يوسف بن سهل بن مالك بن أخي
كعب بن مالك عن أبيه عن جده
قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
من حجة الوداع المدينة صعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
أيها الناس فذكر الحديث وهو
من هذا الوجه في جزء الكاتب من
رواية أبي عبد الله محمد بن إبرهيم
البوسنجي حدثنا أبو صالح الفرا
ثنا الفرج بن سعيد أبو روح
ثنا خالد عن عمرو فذكره وقد رواه
الطبراني في معجمه الكبير من رواية
علي بن محمد ابن يوسف بن شيبان
بن مسبح ثنا سهل ابن يوسف
بن سهل بن أخي كعب عن أبيه عن
جده فذكره والله أعلم ○

هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع
فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك أمره الله تعالى وأمر النبي
صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي
عن كعب ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلا له شفاعة يوم القيمة
وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيمة قال سهل التستري
لم يؤمن بالرسول عليه الصلاة والسلام من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره

فصل ومن إعظامه صلى الله عليه وسلم وإكباره إعظام

جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه الصلوة والسلام أو عرف به وروي عن صفية بنت نجدة
قالت كان لأبي محذورة قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت
الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد شعرات
من شعراته صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها
شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال
لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم
لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين ورئي ابن عمر واضعا يده
على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا

كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي أنه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل

وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمن رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدث أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ● فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ● لمن بان عنه أن نلم به ركبا

مسئلة من قال تربة المدينة ردية يضرب ثلثين درة

حاشية صاحب هذا الشعر هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكندي

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ● قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا ● فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ● فلها علينا حرمة وذمام

وروي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي

قال المؤلف رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ● ومواطن طويت الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها ● أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها ● وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به • هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري • من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها • من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها • أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي • لقطين تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك المفتق نفحة • تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات • ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى إن الله وملئكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه أن الله وملائكته يباركون على النبي وقيل أن الله يترحم على النبي وملئكته يدعون له قال المبرد وأصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد روي في الحديث صفة صلاة الملئكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال

أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلاة الملئكة الدعاء قال المؤلف رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له

بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله
قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب
في الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على
ذلك وقال القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه أن يصلوا
على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر
المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي أبو عبد الله محمد بن
سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا يتعين في الصلاة وأن من
صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب
الشافعي الفرض منها الذي أمر الله تعالى به ورسوله عليه الصلاة والسلام
هو في الصلاة وقالوا وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في
الصلاة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما إجماع
جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته فاسدة
وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها

وقد بالغ

وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا
عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال أبو بكر
ابن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك وأهل
المدينة وسفين الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول
جل أهل العلم وحكي عن مالك وسفين أنها في التشهد الأخير مستحبة
وأن تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلاة
الإعادة وأوجب إسحق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى
أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فريضة قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم
وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة
في الصلاة كقول الشافعي وحكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب
فيها ثلاثة أقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب ❁ وقد خالف
الخطابي وغيره من أصحاب الشافعي الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي
وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم
له فيها قدوة والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف
الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسألة جدا

وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه
وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى
التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر
وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه
وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد وقال
ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي
قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف أهل
الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر عن أبي مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم
تقبل منه قال الدارقطني الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن
علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على
أهل بيته لرأيت أنها لا تتم

فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

ويرغب من ذلك في
تشهد الصلوة كما قدمنا وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء ❁ حدثنا القاضي
أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الإمام أبو القسم البلخي قال حدثنا

الفارسي

(حاشية: د قيل روي موقوفا من قبل ابن مسعود)

(حاشية: بلغ كاتبه ومقابله على نسخة الانتفاع صح ولله الحمد والمنة على كل حال)

الفارسي عن أبي القسم الخزاعي عن أبي سعيد الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ
قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة بن شريح
حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد
يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال
له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي
ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح وعن
عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء والأرض ولا
يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
وعلى آل محمد وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعن ابن مسعود إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه
والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل
فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن
احتاج إلى شراب شربه أو الوضوء توضأ وإلا هراقه ولكن اجعلوني في
أول الدعاء وأوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء أركان وأجنحة

(حاشية: الدعاء والصلوة معلق بين السماء والأرض)

(حاشية: يقال أراقه وهراقه وأهراقه والمضارع يهريقه [illegible] والمضارع ساكنة واحد)

(حاشية: أوقات الإجابة ليلة القدر ويوم عرفة وشهر رمضان وليلة الجمعة ويوم الجمعة ونصف الليل الثاني وثلث الليل الأول وثلث الليل الآخر وجوفه ووقت السحر وساعة الجمعة أرجى ذلك ووقتها ما بين أن يجلس الإمام في الخطبة إلى أن تنقضي الصلوة ومن حين تقام الصلوة إلى السلام منها وقيل بعد العصر إلى غروب الشمس وقيل آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس وقيل بعد طلوع الشمس [illegible] في صلوة الجمعة إلى أن يقول آمين [illegible] الأحاديث التي صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم كما بينته في غير هذا الموضع وقال [illegible] رحمه الله تعالى والصحيح بل الصواب الذي لا يجوز غيره ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنها ما بين جلوس الإمام على المنبر [illegible] من الصلوة [illegible])

وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوى وإن وافق أجنحته طار في
السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه
حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه
من الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلوة
على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا
يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلوة
على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره
واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي
على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين
آمين ومن مواطن الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم تسليما عند ذكره
وسماع اسمه أو كتابه أو عند الأذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم
أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال
أصبغ عن ابن القسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس
فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على
محمد لم تكن تسمية له مع الله ❁ وقاله أشهب قال ولا ينبغي أن تجعل الصلوة

على النبي

على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن أوس ابن أوس
عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة
ومن مواطن الصلوة والسلام عليه دخول المسجد قال أبو إسحق ابن
شعبان وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك
وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فإذا
دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
على أهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت
هنا المساجد وقال النخعي إذا لم يكن في المسجد أحد فقل السلام على
رسول الله وإذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وعن علقمة إذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب إذا دخل
المسجد وإذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكر
بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد ❁ ومثله عن أبي بكر بن عمرو بن

حزم وذكر السلام والرحمة ❁ وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم
والاختلاف في ألفاظه ومن مواطن الصلاة عليه أيضا صلى الله عليه
وسلم الصلاة على الجنائز وذكر عن أبي أمامة أنها من السنة ومن
مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ولم تنكرها الصلوة على النبي
وآله صلى الله عليه وسلم وعليهم في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم
يكن هذا في الصدر الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس
في أقطار الأرض ومنهم من يختم به أيضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم
من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر الله له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة
حدثنا أبو القاسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال
حدثتني كريمة بنت أحمد قالت حدثنا أبو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل أخبرنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله
بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم فليقل
التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنكم إذا قلتموها أصابت
كل عبد صالح في السماء والأرض ❁ هذا أحد مواطن التسليم عليه وسنته
أول التشهد وقد روى ملك عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك إذا فرغ

من تشهده وأراد أن يسلم واستحب ملك في المبسوط أن يسلم بمثل ذلك
قبل السلام قال محمد بن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر أنهما
كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب أهل العلم
أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والأرض من
الملئكة وبني آدم والجن قال ملك في المجموعة وأحب للمأموم إذا سلم
إمامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم

❁ حدثنا أبو اسحق ابرهيم
ابن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا أبو الأصبغ حدثنا أبو عبد الله ابن
عتاب حدثنا أبو بكر بن وافد وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله
أخبرنا يحيى حدثنا ملك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن
سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما
صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل
ابرهيم إنك حميد مجيد وفي رواية ملك عن أبي مسعود الأنصاري
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك

على محمد كما باركت على آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما
قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت
على ابرهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد
وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل
محمد وفي رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وذكر معناه ❁ وحدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي
الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا حدثنا أبو عبد الله بن سعدون
الفقيه قال حدثنا أبو بكر المطوعي قال حدثنا أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر
بن أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن
المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه علي عن أبيه
الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب
العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل
ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل
محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على
محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد

معناه ح

اللهم وسلم

اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك
حميد مجيد وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال
بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي
وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابرهيم
انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري سألت النبي صلى الله
عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد
وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف صلواتك
ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق
والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل كما
حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل
بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأنهج
موضحات الأعلام ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو
أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين
وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك

الاباطيل ح

عدنك ح

وأجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك
المحلول وجزيل عطائك المعلول . اللهم أعل على بناء الناس بناءه . وأكرم
مثواه لديك . ونزله . وأتمم له نوره وأجره من ابتعاثك له مقبول الشهادة
ومرضى المقالة . ذا منطق عدل . وخطة فصل . وبرهان عظيم . وعنه
أيضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته يصلون
على النبي الآية لبيك اللهم ربي وسعديك صلاة الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء
يا رب العالمين . على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام
المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك
السراج المنير . وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود . اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد
عبدك ورسولك إمام الخير . ورسول الرحمة . اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الأولون والآخرون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول
من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل
على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته

وأصهاره

وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم
الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة
محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى
كما آتيت إبراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد أنه كان يقول في دعائه
اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه وأعط محمدا أفضل ما سألك له
أحد من خلقك وأعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له إلى يوم القيمة
وعن ابن مسعود أنه كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم
فأحسنوا الصلوة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون ٥
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد
مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد
مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء عن آل البيت وغيرهم
كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله عليه الصلوة والسلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله

عنه السلام على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله السلام على رسول
الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات
من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لأهل
بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا
الحديث عن علي رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة
وفي حديث الصلاة عليه أيضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره
من الأحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر
وغيره إلى أنه لا يدعا للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإنما يدعا له
بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعا لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر أبو
محمد بن أبي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا
وآل محمد كما ترحمت على إبرهيم وآل إبرهيم ولم تأت هذه في حديث
صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله ٥
وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له

حدثنا أحمد بن محمد الشيخ ٥
الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو بكر بن معوية حدثنا
النسائي حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال

أخبرني كعب

أخبرني كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله ابن
عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا
ثم سلوا إلى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو
أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي وروى أنس بن
مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر
صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية
وكتب له عشر حسنات وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم أن جبريل
ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات
ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل
فقال لي إني أبشرك أن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك
صليت عليه ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبد
الله بن أبي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من قال اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم
القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود أولى الناس بي يوم القيمة
أكثرهم علي صلاة وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من صلى
علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب

وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة
صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر وعن
أبي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل
قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر من الصلاة
عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وإن
زدت فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال
الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال يا رسول الله فأجعل صلاتي
كلها لك قال إذا تكفى ويغفر ذنبك وعن أبي طلحة دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره قط فسألته
فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني ببشارة من ربي أن الله
تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله
عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة وابعثه
مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن أبي
وقاص من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

أكثر الصلاة

هذه الزيادة في عدة نسخ ولم أر الترمذي ذكر غير الربع والنصف والثلثين فالله أعلم

قال الثلث قال ما شئت وإن زدت فهو خير

المقام المحمود

أنه قال

شريك له

شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام
دينا غفر له وروى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي
عشرا فكأنما أعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي أقوام ما أعرفهم
إلا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر إن أنجاكم يوم القيمة من أهوالها
ومواطنها أكثركم علي صلاة وعن أبي بكر رضي الله عنه الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام
عليه أفضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإثمه

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه
الله حدثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا حدثنا أبو يعلى
حدثنا السنجي أخبرنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا أحمد بن إبراهيم
الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحق عن سعيد بن أبي
سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم
أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم
انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك أبواه عنده الكبر فلم
يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما وفي حديث آخر
أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين
ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال إن جبريل عليه السلام

عند الكبر

أتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي ابن أبي طالب عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة وعن علي بن أبي طالب عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن أبي هريرة قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسهم ثم تفرقوا قبل أن يذكروا اسم الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وعن أبي هريرة من نسي الصلوة على نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عنه على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى أبو عيسى

مجلسا

عن جابر

الترمذي

الترمذي عن بعض أهل العلم قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس **فصل في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الأنام**

حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر الحافظ ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن أبي صخر عن حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام وذكر أبو بكر ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه عن أبي هريرة وعن ابن عمر أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فإنه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فإن أحدا لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه إلا بلغه وذكر بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه

حاشية
حديث ابن مسعود هذا رواه النسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ولكن لفظه يبلغوني من أمتي بدل عن ووقع في بعض النسخ بالشفا عن أبي مسعود وهو غلط فلذلك نبهت عليه

وعن الحسن بن علي إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث أوس أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي وعن سليمن بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا علي من الصلوة في الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإنهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي علي إلا حملها ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وساير الأنبياء عليهم السلام

قال المؤلف رحمه الله عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس أنه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلوة على أحد إلا النبيين وقال سفين يكره أن يصلى إلا على نبي ووجدت بخط يد بعض شيوخي مذهب ملك أنه لا تجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد عليه الصلوة والسلام

وهذا غير

وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال ملك في المبسوطة ليحيى ابن إسحق أكره الصلوة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال يحيى ابن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي عليه الصلوة والسلام الصلوة عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني ❁ والأسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملئكته الآية وقال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى ❁ وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه وقيل أمته وقيل آل بيته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل

أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم
من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه
فإنه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل
صلواتك وبركاتك على آل أحمد يريد نفسه لأنه كان لا يخل بالفرض
ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلوة على محمد نفسه ومنه
مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من
مزامير داود وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد
وأزواجه وذريته وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ذكره ملك في الموطأ من رواية يحيى بن يحيى
الأندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لأبي بكر وعمر وروى ابن وهب
عن أنس بن ملك قال كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك
على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال
المؤلف رحمه الله والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله ملك وسفين
رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين
أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا
لهم وتعزيرا كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتقديس والتنزيه والتعظيم
ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر

الأنبياء بالصلوة والتسليم ولا يشاركهم فيه سواهم كما أمر الله تعالى به لقوله
صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
وقال والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأيضا فهو
أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة
والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا فإن التشبه بأهل البدع منهي
عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الآل
والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا
على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه تجري
مجرى الدعاء والرحمة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال
تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب
أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الإمام
أبي المظفر الإسفرايني من شيوخنا وبه قال أبو عمر بن عبد البر

فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وفضيلة من

زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام
سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال

ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي ❁ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ زَارَنِي فِي ٱلْمَدِينَةِ مُحْتَسِبًا كَانَ
فِي جِوَارِي وَكُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي
فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي وَكَرِهَ مَالِكٌ أَنْ يُقَالَ زُرْنَا قَبْرَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَقَدِ ٱخْتُلِفَ فِي مَعْنَى ذَٰلِكَ فَقِيلَ كَرَاهَةُ ٱلِٱسْمِ لِمَا وَرَدَ مِنْ
قَوْلِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ ٱللَّهُ زَوَّارَاتِ ٱلْقُبُورِ وَهَٰذَا يَرُدُّهُ قَوْلُهُ نَهَيْتُمْ
عَنْ زِيَارَةِ ٱلْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَوٰةُ وَٱلسَّلَامُ
مَنْ زَارَ قَبْرِي فَقَدْ أَطْلَقَ ٱسْمَ ٱلزِّيَارَةِ وَقِيلَ لِأَنَّ ذَٰلِكَ لِمَا قِيلَ إِنَّ ٱلزَّائِرَ
أَفْضَلُ مِنَ ٱلْمَزُورِ وَهَٰذَا أَيْضًا لَيْسَ بِشَيْءٍ إِذْ لَيْسَ كُلُّ زَائِرٍ بِهَٰذِهِ ٱلصِّفَةِ
وَلَيْسَ عُمُومًا ❁ وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ زِيَارَتُهُمْ لِرَبِّهِمْ جَلَّ وَعَزَّ
وَلَمْ يُمْنَعْ هَٰذَا ٱللَّفْظُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى قَالَ أَبُو عُمْرَانَ إِنَّمَا كَرِهَ أَنْ
يُقَالَ طَوَافُ ٱلزِّيَارَةِ وَزُرْنَا قَبْرَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِٱسْتِعْمَالِ
ٱلنَّاسِ ذَٰلِكَ بَيْنَهُمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَكَرِهَ تَسْوِيَةَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَعَ ٱلنَّاسِ بِهَٰذَا ٱللَّفْظِ وَأَنْ يُخَصَّ بِأَنْ يُقَالَ سَلَّمْنَا عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَيْضًا فَإِنَّ ٱلزِّيَارَةَ مُبَاحَةٌ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَوَاجِبٌ شَدُّ ٱلْمَطِيِّ إِلَى قَبْرِهِ صَلَّى ٱللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ بِٱلْوُجُوبِ هُنَا وُجُوبَ نَدْبٍ وَتَرْغِيبٍ وَتَأْكِيدٍ
وَٱلْأَوْلَى عِنْدِي أَنَّ مَنْعَهُ وَكَرَاهَةَ مَالِكٍ لَهُ لِإِضَافَتِهِ إِلَى قَبْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ لَوْ قَالَ زُرْنَا ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكْرَهْهُ لِقَوْلِهِ
صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ بَعْدِي ٱشْتَدَّ غَضَبُ
ٱللَّهِ عَلَى قَوْمٍ ٱتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ❁ فَحَمَى إِضَافَةَ هَٰذَا ٱللَّفْظِ
إِلَى ٱلْقَبْرِ وَٱلتَّشَبُّهَ بِفِعْلِ أُولَٰئِكَ قَطْعًا لِلذَّرِيعَةِ وَحَسْمًا لِلْبَابِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
قَالَ إِسْحَٰقُ بْنُ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْفَقِيهُ وَمِمَّا لَمْ يَزَلْ مِنْ شَأْنِ مَنْ حَجَّ ٱلْمُرُورُ بِٱلْمَدِينَةِ
وَٱلْقَصْدُ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلتَّبَرُّكُ
بِرُؤْيَةِ رَوْضَتِهِ وَمِنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَلَامِسِ يَدَيْهِ وَمَوَاطِئِ قَدَمَيْهِ
وَٱلْعَمُودِ ٱلَّذِي كَانَ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ جِبْرِيلُ بِٱلْوَحْيِ فِيهِ عَلَيْهِ وَبِمَنْ
عَمَرَهُ وَقَصَدَهُ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلِٱعْتِبَارُ بِذَٰلِكَ كُلِّهِ وَقَالَ
ٱبْنُ أَبِي فُدَيْكٍ سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَدْرَكْتُ يَقُولُ بَلَغَنَا أَنَّهُ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ
ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَا هَٰذِهِ ٱلْآيَةَ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ
يَعْنِي ثُمَّ قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَقُولُهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْكَ
يَا فُلَانُ وَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ حَاجَةٌ ❁ وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْمَهْرِيِّ قَدِمْتُ
عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ فَلَمَّا وَدَّعْتُهُ قَالَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ إِذَا أَتَيْتَ ٱلْمَدِينَةَ
سَتَرَى قَبْرَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي ٱلسَّلَامَ قَالَ غَيْرُهُ وَكَانَ
يُبْرِدُ إِلَيْهِ ٱلْبَرِيدَ مِنَ ٱلشَّامِ قَالَ بَعْضُهُمْ رَأَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَتَى قَبْرَ
ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَفَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ ٱفْتَتَحَ ٱلصَّلَاةَ فَسَلَّمَ

حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا الحسين بن جعفر حدثنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني حدثنا القاضي المحاملي حدثنا محمد بن عبد الرزاق حدثنا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره خ

نهيتكم خ

عليه وسلم وانه لو قال

على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب إذا
سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة
ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا أرى أن يقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن أبي
مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر
يسلم على القبر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام
على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي ثم ينصرف ورؤي واضعا يده
على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن
ابن قسيط والعتبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد
حبسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون
وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان يقف عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر
وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لأبي بكر وعمر قال مالك في رواية
ابن وهب يقول المسلم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته قال
في المبسوط ويسلم على أبي بكر وعمر قال القاضي أبو الوليد الباجي
وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ولأبي بكر وعمر

كما جاء في

كما جاء في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول إذا دخل
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله عليه
الصلوة والسلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم
ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل
وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه
وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل وقد
قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي
عليه صلى الله عليه وسلم وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو
لهما وأكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار
ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد
ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين
ذلك قال محمد وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك
من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخلت المسجد فصل على النبي وقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرجت فصل على النبي

وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وفي رواية أخرى فليسلم
مكان فليصل فيه ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك من فضلك وفي أخرى
اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا على الله توكلنا وكانوا يقولون
إذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة أيضا كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا
وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي وذكر مثله وفي رواية بسم
الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك
ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة إذا دخل أحدكم المسجد فليصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط
وليس يلزم من دخل المسجد وخرجه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما
ذلك للغرباء وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى
سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ۝
ولأبي بكر وعمر فقيل له فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر
ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في

الجمعة أو في

الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون
ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا
يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة
وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده
قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها
أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين أهل
المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون فيها
لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب أحمد بن سعيد
الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا
وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ۝
حيث العمود المخلق وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف
والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت

فصل

فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى ما
قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل

سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول
يوم أحق أن تقوم فيه ❁ روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي
مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر
ومالك بن أنس وغيرهم وعن ابن عباس أنه مسجد قباء ❁ حدثنا هشام
بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر
النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو
داود حدثنا مسدد حدثنا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلثة مساجد
مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو
ابن العاصي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال أعوذ
بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
وقال ملك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب صوتا في المسجد فدعا بصاحبه
فقال ممن أنت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين أن مسجدنا
لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن يتعمد المسجد
برفع الصوت ولا بشيء من الأذى وأن ينزه عما يكره قال المؤلف
رحمه الله حكى ذلك كله القاضي أسمعيل في مبسوطه في باب

فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على أن حكم سائر
المساجد هذا الحكم قال القاضي أسمعيل وقال محمد يعني ابن مسلمة
ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما تخلط
عليهم صلاتهم وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت
بالتلبية في مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجد منى وقال أبو هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه
إلا المسجد الحرام قال المؤلف رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا
الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب ملك
في رواية أشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى
الحديث أن الصلوة في مسجد الرسول عليه الصلوة والسلام أفضل من
الصلوة في سائر المساجد بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإن
الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلوة فيه بدون
الألف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير
من مائة صلاة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
بتسع مائة وعلى غيره بألف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه
وهو قول عمر بن الخطاب وملك وأكثر المدنيين وذهب أهل مكة والكوفة
إلى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب ملك وحكاه

الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وأن
الصلوة في المسجد الحرام أفضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي
صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام أفضل
من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة
في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة ألف ولا خلاف
أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض قال القاضي أبو الوليد الباجي
الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها
مع المدينة وذهب الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة
الفرض وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضا قال
وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في
تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال صلى الله عليه
وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة
وأبي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة
من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت
بيت سكناه على الظاهر مع أنه روي ما بينه بين حجرتي ومنبري
والثاني أن البيت هنا القبر وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث
كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري وإذا كان قبره في بيته

حاشية: منسوب إلى قرية من قرى مصر يقال لها طحا بفتح الطاء ه

اتفقت

اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لأن قبره حجرته وهو في بيته
وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه منبره بعينه الذي كان في الدنيا
وهو أظهر والثاني أن يكون له هناك منبر والثالث أن قصد منبره والحضور
عنده للملازمة الأعمال الصالحة يوجب الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي
وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب لذلك
وأن الدعاء والصلوة فيه تستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال
السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة
بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت
له شهيدا أو شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة
والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال إنما المدينة كالكير
تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها
إلا أبدلها الله خيرا منه وروي عنه صلى الله عليه وسلم من مات
في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا
عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر
عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني
أشفع لمن يموت بها وفي حديث آخر يبعث يوم القيمة من الآمنين

حاشية
العبابي صرف سعدون وحمدون ولكنهما وقعا غير مصروفين في كتب الحديث من الأصول المعتمدة
خ ودى

وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله آمنا
قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من
أحدث حدثا ولجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله وإذ جعلنا البيت
مثابة للناس وأمنا على قول بعضهم وحكى أن قوما أتوا سعدون الخولاني
بالمنستير فأعلموه أن كنامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل
فلم تعمل فيه شيئا وبقي أبيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال
حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه فينادي غدا ملك
من عند الله من كان له دين عند الله فليقم ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره
وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة
قال مرحبا بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك وفي الحديث عنه
صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدعو الله عند الركن الأسود إلا استجاب
الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام
ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين
قرأت على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثك أبو العباس العذري قال (خ حدثنا)
حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن ابن رشيق سمعت
أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر محمد بن أدريس سمعت الحميدي
قال سمعت سفين بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس

يقول سمعت رسول الله

يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم (خ منذ)
إلا استجيب له قال ابن عباس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ (خ منذ)
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي وقال عمرو
بن دينار وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن (خ منذ)
عباس إلا استجيب لي وقال سفين وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لي وقال الحميدي وأنا فما (خ منذ)
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفين إلا استجيب (خ منذ)
لي وقال محمد بن أدريس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي وقال أبو الحسن محمد بن الحسن (خ منذ)
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن أدريس (خ بشيء في هذا الملتزم)
إلا استجيب لي قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه
شيئا وأنا فما دعوت الله فيه بشيء منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب (خ منذ)
لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا
استجيب لي قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة استجيب
لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها قال المؤلف
رحمه الله قد ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن من الباب

لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي عليه الصلوة والسلام وما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه قال المؤلف رحمه الله

قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وقال ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون أي لما كان إلا في صورة البشر الذين تمكنهم مخالطتهم إذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته وقال قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين الآية أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل فالأنبياء والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره

وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخاللتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن تكتفي بمضمونها كل همة بل الأكثر محتاج إلى بسط وتفصيل على ما يأتي بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب

الأول فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا عليه الصلوة
والسلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ❁ قال المؤلف
رحمه الله اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر
لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض
والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن
جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان
وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار
وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان
من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات
التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله فيما
نأتي به من التفاصيل **فصل في حكم عقد قلب النبي عليه الصلوة**
والسلام من وقت نبوته قال المؤلف رحمه الله اعلم منحنا الله وإياك
توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم وصفاته والإيمان به وبما
أوحى الله تعالى إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء
عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد
المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين

الواضحة

الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول
إبرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبرهيم عليه
السلام في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب
وترك المنازعة بمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد
العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته **الوجه الثاني** أن إبرهيم عليه السلام
إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه
ويكون قوله تعالى أولم تؤمن أي ألم تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول
شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك
على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال من النظر
أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر
كالمعاينة **ولهذا قال سهل بن عبد الله** سأل كشف غطاء العيان ليزداد
بنور اليقين تمكنا في حاله **الوجه الرابع** أنه لما احتج على المشركين بأن ربه
يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا **الوجه الخامس** ❁
قال بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء الموتى
وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية **الوجه السادس** أنه أرى من نفسه
الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا عليه الصلوة والسلام

أجساد · التغييرات · والتغييرات · لسامعه · أجابته دعوته · قول

نحن أحق بالشك من ابراهيم نفى لأن يكون ابرهيم شك وإبعاد للخواطر
الضعيفة أن تظن هذا بابرهيم أى نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى
فلو شك ابرهيم لكنا أولى بالشك منه إما على طريق الأدب أو أن يريد
أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق إن حملت
قصة ابرهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه **فإن قلت** فما معنى قوله فإن
كنت فى شك مما أنزلنا اليك فسل الذين يقرءون الكتاب من قبلك الآيتين
فاحذر ثبت الله قلبك أن تخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن
عباس أو غيره من اثبات شك للنبى صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه وأنه
من البشر **فمثل** هذا لا تجوز عليه جملة **بل** قد قال ابن عباس وغيره
لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن
وحكى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسئل وعامة
المفسرين على هذا **واختلفوا** فى معنى الآية **فقيل** المراد قل يا محمد
للشاك إن كنت فى شك الآية قالوا وفى السورة نفسها ما دل على هذا
التأويل قوله قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى الآية **وقيل**
المراد بالخطاب العرب وغير النبى عليه الصلوة والسلام كما قال لئن
أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك فى مرية
مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير **قال** بكر بن العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن

من الذين كذبوا

من الذين كذبوا بآيات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما يدعو اليه
فكيف يكون ممن كذب به **فهذا** كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره
ومثل هذه الآية قوله الرحمن فسئل به خبيرا المأمور هنا غير النبى صلى الله
عليه وسلم ليسئل النبى والنبى عليه الصلوة والسلام هو الخبير المسئول
لا المستخبر السائل **وقال** إن هذا الشك الذى أمر غير النبى بسؤال
الذين يقرؤن الكتاب إنما هو فيما قصه الله تعالى من أخبار الأمم لا فيما
دعا اليه من التوحيد والشريعة وهذا مثل قوله تعالى واسئل من أرسلنا
من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبى
صلى الله عليه وسلم قاله القتيبى **وقيل** معناه سلنا عمن أرسلنا فحذف
الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
على طريق الإنكار أى ما جعلنا حكاه مكى **وقيل** أمر النبى صلى الله عليه
وسلم أن يسئل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك فكان أشد يقينا من أن
يحتاج الى السؤال **فروى** أنه قال لا أسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد
وقيل اسئل أمم من أرسلنا هل جاءوهم بغير التوحيد وهو معنى قول
مجاهد والسدى والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذى قبله إعلامه
صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل وأنه لم يأذن تبارك وتعالى فى
عبادة غيره لأحد ردا على مشركى العرب وغيرهم فى قولهم إنما نعبدهم

حاشية
القتيبى هو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى صاحب المصنفات المشهورة

التلاوة
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى

ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين أي في علمهم بأنك
رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في أول
الآية وقد يكون أيضا على مثل ما تقدم أي قل لمن امترى يا محمد في ذلك
لا تكونن من الممترين بدليل قوله في أول الآية أفغير الله أبتغي حكما الآية
وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين وقد علم أنه لم يقل وقيل معناه
ما كنت في شك فسل تزدد طمأنينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل
ان كنت تشك فيما شرفناك وعظمناك به فسلهم عن صفتك في الكتب
ونشر فضائلك وحكي عن أبي عبيدة أن المراد ان كنت في شك من
غيرك فيما أنزلنا فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل
وظنوا أنهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته
عائشة معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك أن الرسل لما
استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا
أكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على
الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء
وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير

بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء عليهم الصلوة والسلام
وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ الوحي من قوله صلى الله عليه
وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما أتاه من الله تعالى
بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ألا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي
فينخلع قلبه أو تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد لقائه
الملك أو يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لأول
ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الشجر والحجر وبدأته المنامات
والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام
ثم أري في اليقظة مثال ذلك تأنيسا له صلى الله عليه وسلم لئلا يفجأه
الأمر مشاهدة ومشافهة فلا تحتمله لأول حاله بنية البشرية وفي
الصحيح عن عائشة أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى أن جاءه الحق وهو في
غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس
عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثماني
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ وذكر
نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف

آتاه الله تعالى

لقائه

حاله

فانك

خاطب

وفضلناك

عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي من شاعر
أو مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل
فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت مناديا ينادي
من السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا جبريل
في صورة رجل وذكر الحديث فقد بين ذلك في هذا أن قوله لما قال
وقصده ما قصد إنما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل إعلام
الله له بالنبوة وإظهاره واصطفائه بالرسالة ومثله حديث عمرو بن
شرحبيل أنه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت
نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا الأمر ومن رواية حماد بن سلمة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع صوتا وأرى ضوءا
وأخشى أن يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه
الأحاديث إن الأبعد شاعر أو مجنون وألفاظا يفهم منها معاني الشك
في تصحيح ما رآه وأنه كان كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك
له وإعلام الله تعالى أنه رسوله فكيف وبعض هذه الألفاظ لا تصح طرقها
وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك
فيما ألقي إليه وقد روى ابن إسحق عن شيوخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يرقى بمكة من العين قبل أن ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن

أصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة أوجه إليك من يرقيك قال أما الآن
فلا وحديث خديجة واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها الحديث إنما ذلك
في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي
يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة
عن هشام عن أبيه عن عائشة أن ورقة أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك
وفي حديث إسمعيل بن أبي حكيم أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك قال نعم فلما جاءه
جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره وفيه
فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر وآمنت
به فهذا يدل أنها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها
لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى كاد يتردى من
رؤوس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم
يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ولا يعرف مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل
على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من تكذيب

مَنْ بَلَغَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا
الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝ وَيُصَحِّحُ مَعْنَى هَذَا التَّأْوِيلِ حَدِيثٌ رَوَاهُ شَرِيكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا اجْتَمَعُوا بِدَارِ النَّدْوَةِ
لِلتَّشَاوُرِ فِي شَأْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا
إِنَّهُ سَاحِرٌ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَتَزَمَّلَ فِي ثِيَابِهِ وَتَدَثَّرَ فِيهَا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ
يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ أَوْ خَافَ أَنَّ الْفَتْرَةَ لِأَمْرٍ أَوْ سَبَبٍ مِنْهُ فَخَشِيَ
أَنْ تَكُونَ عُقُوبَةً مِنْ رَبِّهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَرِدْ بَعْدُ شَرْعٌ بِالنَّهْيِ عَنْ
ذَلِكَ فَيُعْتَرَضَ بِهِ وَنَحْوُ هَذَا فِرَارُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَشْيَةَ تَكْذِيبِ
قَوْمِهِ لَهُ لِمَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي يُونُسَ فَظَنَّ أَنْ
لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ مَعْنَاهُ أَنْ لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ قَالَ مَكِّيٌّ طَمِعَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى وَأَنْ لَا يُضَيِّقَ عَلَيْهِ مَسْلَكَهُ فِي خُرُوجِهِ وَقِيلَ حَسَّنَ ظَنَّهُ بِمَوْلَاهُ
أَنَّهُ لَا يَقْضِي عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ وَقِيلَ نُقَدِّرُ عَلَيْهِ مَا أَصَابَهُ وَقَدْ قُرِئَ نُقَدِّرُ
بِالتَّشْدِيدِ وَقِيلَ نُؤَاخِذُهُ بِغَضَبِهِ وَذَهَابِهِ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ مَعْنَاهُ أَفَظَنَّ
أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ وَلَا يَلِيقُ أَنْ يَظُنَّ نَبِيٌّ أَنْ يَجْهَلَ صِفَةً مِنْ
صِفَاتِ رَبِّهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا الصَّحِيحُ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ
لِكُفْرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِهِمَا لَا لِرَبِّهِ إِذْ مُغَاضَبَةُ اللَّهِ
تَعَالَى مُعَادَاةٌ لَهُ وَمُعَادَاةُ اللَّهِ تَعَالَى كُفْرٌ لَا تَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِينَ فَكَيْفَ بِالْأَنْبِيَاءِ

حاشية: هو عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ابن أخي علي رضي الله عنه قال الحافظ المزي متع الله بحبوبه ب

خ عليه

عليهم السلام

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقِيلَ مُسْتَحْيِيًا مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يَسِمُوهُ بِالْكَذِبِ أَوْ يَقْتُلُوهُ كَمَا
وَرَدَ فِي الْخَبَرِ وَقِيلَ مُغَاضِبًا لِبَعْضِ الْمُلُوكِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى أَمْرٍ
أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ آخَرَ فَقَالَ لَهُ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَيْرِي
أَقْوَى عَلَيْهِ مِنِّي فَعَزَمَ عَلَيْهِ فَخَرَجَ لِذَلِكَ مُغَاضِبًا وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّ إِرْسَالَ يُونُسَ وَنُبُوَّتَهُ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ أَنْ نَبَذَهُ الْحُوتُ وَاسْتَدَلَّ
مِنَ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ
يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ وَيُسْتَدَلُّ أَيْضًا بِقَوْلِهِ
تَعَالَى وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَذَكَرَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ فَاجْتَبَاهُ
رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ فَتَكُونُ هَذِهِ الْقِصَّةُ إِذًا قَبْلَ نُبُوَّتِهِ فَإِنْ قِيلَ
فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ
مِائَةَ مَرَّةٍ وَفِي طَرِيقٍ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَاحْذَرْ أَنْ يَقَعَ
بِبَالِكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغَيْنُ وَسْوَسَةً أَوْ رَيْنًا وَقَعَ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِ الصَّلَوةُ
وَالسَّلَامُ بَلْ أَصْلُ الْغَيْنِ فِي هَذَا مَا يَتَغَشَّى الْقَلْبَ وَيُغَطِّيهِ قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ
وَأَصْلُهُ مِنْ غَيْنِ السَّمَاءِ وَهُوَ إِطْبَاقُ الْغَيْمِ عَلَيْهَا وَقَالَ غَيْرُهُ وَالْغَيْنُ شَيْءٌ
يُغَشِّي الْقَلْبَ وَلَا يُغَطِّيهِ كُلَّ التَّغْطِيَةِ كَالْغَيْمِ الرَّقِيقِ الَّذِي يَعْرِضُ فِي الْهَوَاءِ
فَلَا يَمْنَعُ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَكَذَلِكَ لَا يُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُغَانُ عَلَى قَلْبِهِ
مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ فِي الْيَوْمِ إِذْ لَيْسَ يَقْتَضِيهِ لَفْظُهُ الَّذِي

خ كل يوم

خ أو رينا

خ قال

ذكرناه وهو أكثر الروايات وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون
المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن
مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع إليه
من مقاساة البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة الولي
والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة
وهو في هذا كله في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه
وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة
وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه
ومقامه هنالك أرفع حاليه رأى عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها
وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله
تعالى من ذلك هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها وإلى معنى ما أشرنا
إليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا
غامض معناه وكشفنا للمستفيد وجه محياه وهو مبني على جواز الفترات
والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت
طائفة من أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا جملة وأجله عن أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة
إلى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته عليه الصلوة والتسليم

لاهتمامه

لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين
هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون
استغفاره عليه الصلوة والسلام عندها إظهارا للعبودية والافتقار
وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار
قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون إلى الأمن وقد يحتمل أن
تكون هذه الإغانة حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا
لله تعالى وملازمة للعبودية كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون
عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق
هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من
سبعين مرة فأستغفر الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ۞ وقوله
لنوح عليه السلام فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من
الجاهلين فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من قال في آية نبينا
عليه الصلوة والسلام لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى
وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق
إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء
عليهم السلام والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين

كما قال إني أعظك وليس في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي
نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل
ما بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز
إباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله تعالى أن يسأله عما طوى عنه علمه
وأكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى
نعمته عليه بإعلامه ذلك بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح
حكى معناه مكي كذلك أمر نبينا عليه الصلوة والسلام في الآية
الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب
حال الجاهل بشدة التحسر ❁ حكاه أبو بكر بن فورك وقيل
معنى الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أي فلا تكونوا من الجاهلين
حكاه أبو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل
يوجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعا فإن قلت فإذا قررت
عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى إذا وعيد الله
تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك إن فعله وتحذيره منه كقوله
تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا
ينفعك ولا يضرك الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات الآية وقوله لأخذنا منه باليمين وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض

يضلوك عن سبيل الله وقوله فإن يشإ الله يختم على قلبك وقوله وإن
لم تفعل فما بلغت رسالاته وقوله يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فاعلم وفقنا الله وإياك أنه عليه الصلوة والسلام لا يصح
ولا يجوز عليه أن لا يبلغ وأن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك ولا يتقول
على الله ما لا يجب أو يفترى عليه أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين
لكن الله يسر أمره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه
إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله
تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون عليهما السلام
لا تخافا إنني معكما لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار دين الله تعالى
ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس وأما قوله تعالى ولو تقول
علينا الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحيوة فمعناه أن هذا جزاء
من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا
يفعله وكذلك قوله تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك
عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال إن تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله
فإن يشإ الله يختم على قلبك ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد
غيره وأن هذه حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا
وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه أطاعهم والله سبحانه

ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الآية وما كان طردهم عليه الصلوة والسلام ولا كان من
الظالمين **فصل** وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس
فيه خلاف **والصواب** أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى
وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن
الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف
السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا
ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا تنبئ واصطفى ممن عرف بكفر
وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل **وقد** استدل بعضهم
بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله **وأنا** أقول إن قريشا قد رمت
نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الأمم أنبياءها بكل
ما أمكنها واختلقته مما نص الله تعالى عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم
نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك
ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين
وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد
قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان

يعبد آباؤهم

بلغ كتابة ومقابلة على المنقول منه فصح بحسب الطاقة والإمكان

نبئ صح

عن كان من صح

يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا
سبيلا إليه إذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل
القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله تعالى
عنهم **وقد** استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق
النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله تعالى في الميثاق
وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به
ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا
ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه **وكيف** يكون ذلك وقد أتاه
جبريل صلى الله عليهما وسلم وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال
هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت
به أخبار المبدأ **ولا** يشتبه عليك بقول إبراهيم في الكوكب والقمر
والشمس هذا ربي فإنه قد **قيل** كان هذا في سن الطفولية وابتداء
النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف **وذهب** معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم **وقيل** معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد أفهذا
ربي **قال** الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركاءي

عنه صح

الشك صح

أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئًا من ذلك ولا أشرك قط بالله عز وجل
طرفة عين قول الله تعالى عنه وإذ قال إبرهيم لأبيه آزر إذ قال لأبيه
وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم
الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقال إذ جاء ربه بقلب سليم
أي من الشرك وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فإن قلت فما معنى
قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قيل أنه إن لم يؤيدني
بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر
وإلا فهو صلى الله عليه وسلم معصوم في الأزل من الضلال فإن قلت
فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو
لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا إن عدنا
في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي
أنهم يعودون لما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام
العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين
عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك كذلك ومثله قول الشاعر

۞ تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا ۞

وما كانا قبل كذلك فإن قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى
فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها

قاله الطبري

قاله الطبري وقيل وجدك بين أهل ضلال فعصمك من ذلك فهداك للإيمان
وإلى إرشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك
أي لا تعرفها فهداك إليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان عليه الصلوة
والسلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى
هداه الله تعالى إلى الإسلام حكى معناه القشيري وقيل لا تعرف
الحق فهداك إليه وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن
عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى أي بين أمرك
بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة
وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا
عن محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن
بن علي ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك
ضالا أي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال تعالى إنك لفي ضلالك
القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين إذ لو قالوا ذلك
في نبي الله لكفروا ۞ ومثله عند هذا قوله تعالى إنا لنراها في ضلال
مبين أي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل
إليك فهداك لبيانه لقوله تعالى وأنزلنا إليك الذكر الآية وقيل
وجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء ولا أعلم

أحدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الإيمان وكذلك في قصة موسى
عليه السلام قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من المخطئين الفاعلين
شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الأزهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أي ناسيا كما قال تعالى
أن تضل إحداهما فإن قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الإيمان فالجواب أن السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل
الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان وقال بكر القاضي
نحوه قال وأراد الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام قال فكان صلى الله
عليه وسلم قبل مؤمنا بتوحيد الله ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها
قبل فزاد بالتكليف إيمانا وهو أحسن وجوهه فإن قلت فما معنى قوله
تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم أنه ليس بمعنى قوله تعالى
والذين هم عن آياتنا غافلون بل حكى أبو عبيد الهروي أن معناه
لمن الغافلين عن قصة يوسف إذ لم تعلمها إلا بوحينا وكذلك
الحديث الذي يرويه عثمن بن أبي شيبة بسنده عن جابر أن النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه
أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه
وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم بعد ● فهذا حديث أنكره أحمد

بن حنبل

بن حنبل جدا وقال هو موضوع أو يشبه بالموضوع وقال الدارقطني يقال
إن عثمن وهم في إسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده
فلا يلتفت إليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل
العلم من قوله بغضت إلي الأصنام وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم
أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه
بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها
من صنم تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد
لهم عيدا ❁ وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم
باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي
ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا
فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك
المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله تعالى له أنه كان
قبل نبوته تخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف
بعرفة لأنه كان موقف إبرهيم صلوات الله عليهما وسلامه ❁

فصل قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه
عقود الأنبياء صلوات الله عليهم في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم

في ذلك على ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها
أنها مملوءة علماً ويقيناً على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور
الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل
ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب
الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم
في هذه المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا تشترط في حق
الأنبياء العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف
ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها
وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل
الدنيا الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله تعالى ولكنه لا يقال إنهم لا
يعلمون شيئاً من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم
المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور
الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء عليهم السلام وسيرهم في هذا
الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة وأما إن كان هذا
العقد فيما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله

جملة لأنه

جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح
الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون
فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع
الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث أم سلمة إني إنما
أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه ❁ خرجه الثقات ❁ وكقصة أسرى
بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون أيضاً ما يعتقده مما يثمره
اجتهاده إلا حقاً وصحيحاً هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف
فيه ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد أن لو قام لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق
في طرف واحد لعصمة النبي من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولأن القول
في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي واجتهاده
إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل ❁ هذا فيما عقد
عليه النبي قلبه فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد
كان لا يعلم منها أولاً إلا ما علمه الله شيئاً شيئاً حتى استقر علم جملتها عنده
إما بوحي من الله تعالى أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله وقد
كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى استفرغ
علم جميعها عنده وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب

أني
جميعها
استقر

وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر
بالدعوة إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده من
ملكوت السموات والأرض وخلق الله تعالى وتعيين أسمائه الحسنى وآياته
الكبرى وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء
وعلم ما كان ويكون مما لا يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم من أنه صلى الله عليه
وسلم معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية
اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان عنده من علم
ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم إني لا أعلم إلا ما علمني
ربي ولقوله صلى الله عليه وسلم ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما
أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ۞ وقول موسى للخضر هل
أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك
بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم
أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ۞
وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن أسلم وغيره
حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به إذ معلوماته تعالى لا يحاط
بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي عليه الصلوة والسلام في التوحيد والشرع
والمعارف والأمور الدينية فصل واعلم أن الأمة مجمعة على

عصمة النبي

عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وحراسته منه لا في جسمه بأنواع
الأذى ولا على خاطره بالوساوس وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو علي رحمه
الله قال حدثنا أبو الفضل بن خيرون العدل حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره
حدثنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا إسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا سفين عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد
إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله
قال وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم زاد غيره عن منصور فلا
يأمرني إلا بخير • وعن عائشة بمعناه روي فأسلم بضم الميم أي فأسلم
أنا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فأسلم يعني القرين
أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك
وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل
أحد من بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه
وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره
وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين
كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره ففي الصحاح

قال أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق
في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت
أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمن رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا وفي
حديث أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم أن عدو الله إبليس جاءني بشهاب
من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه
بالله منه ولعنه له ثم أردت أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا
يتلاعب به ولدان أهل المدينة وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب
عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه وذكره
في الموطأ ● ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه
كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في
صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة
بن ملك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية ومرة
ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله تعالى أمره
وعصمه من ضره وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام
كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب
وقال صلى الله عليه وسلم حين لد في مرضه وقيل له خشينا أن تكون

بك ذات

بك ذات الجنب فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فإن قيل
فما معنى قوله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية فقد قال بعض المفسرين
إنها راجعة إلى قوله وأعرض عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك
غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي وقيل ينزغنك
يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى (خ يغوينك)
تحرك عليه غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر
أداني وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون
سبب تمام عصمته إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له
قدرة عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور
له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في أول الرسالة ولا بعدها
والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي أن ما يأتيه من الله
الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله تعالى له أو ببرهان يظهره
لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فإن قيل فما معنى
قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان
في أمنيته الآية فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل منها
السهل والوعث والسمين والغث وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من

المفسرين أن التمني ها هنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر
وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه
أو يدخل غيره ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله
الله تعالى وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية
بعد بأشبع من هذا إن شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي إنكار قول
من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمن عليه السلام وغلبته عليه وأن
مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمن مبينة بعد هذا ومن قال إن الجسد
هو الولد الذي ولد له وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب عليه السلام
وقوله إني مسني الشيطان بنصب وعذاب إنه لا يجوز لأحد أن يتأول
أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك إلا بفعل
الله عز وجل وأمره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقد قيل إن الذي
أصابه الشيطان ما وسوس به إلى أهله فإن قلت فما معنى قوله تعالى عن
يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره وقوله عن يوسف فأنساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه الصلوة والسلام حين نام عن الصلوة
يوم الوادي إن هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته
هذا من عمل الشيطان فاعلم أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا
على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان

أو فعله

أو فعله كما قال الله تعالى طلعها كأنه رؤوس الشياطين وقال صلى الله عليه
وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب
عنه إذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلام قال الله تعالى
وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى والمروي أنه إنما نبئ بعد موت موسى
وقيل قبل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة
يوسف قد ذكر أنها كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله
تعالى فأنساه الشيطان قولين أحدهما أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أحد
صاحبي السجن وربه الملك أي أنساه أن يذكر للملك شان يوسف وأيضا
فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس
ونزغ وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما
ما ينسيهما ما نسيا وأما قوله صلى الله عليه وسلم إن هذا واد به شيطان
فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل إن كان بمقتضى
ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان أتى بلالا فلم
يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان في
ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا
قوله صلى الله عليه وسلم إن هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم
عن الصلوة وأما إن جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة

لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا
الباب لبيانه وارتفاع إشكاله **فصل** وأما أقواله صلى الله عليه
وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة
فيما كان طريقه البلاغ أنه صلى الله عليه وسلم معصوم فيه من الإخبار
عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا أو غلطا أما تعمد الخلف
في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي فيما
قال اتفاقا وبإطباق أهل الملة إجماعا وأما وقوعه على جهة الغلط
في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحق الإسفرائيني ومن قال
بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي
صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني
ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج
عن غرض الكتاب **فلنعتمد** على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز
عليه صلى الله عليه وسلم خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام
بما أخبر عن ربه تعالى وبما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على
غير عمد ولا في حالي الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن
عمرو قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى
والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا ولنزد ما أشرنا

إليه في دليل

إليه في دليل المعجزة عليه بيانا فنقول إذا قامت المعجزة على صدقه
صلى الله عليه وسلم وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى إلا صدقا وأن
المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي فيما يذكره عني وهو يقول
إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم وأبين لكم ما نزل عليكم
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا **فلا يصح** أن يوجد منه
في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه
جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله
واجب برهانا وإجماعا كما قاله أبو إسحق **فصل** وقد توجهت
ها هنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما قرأ سورة والنجم قال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي
رواية إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة
العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان
ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى أن لو أنزل عليه شيء

حاشية قال الحافظ المزي الرواية الأولى هي المشهورة

يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل جاءه فعرض عليه هذه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين الآيتين فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك الآية ● فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليمه **أما المأخذ الأول** فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ● وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة ● وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها ● وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا أنزلت ● إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة **قال أبو بكر البزار** هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله تعالى والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهينه من طريق النقل **فأما من جهة المعنى** فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته عليه الصلوة والسلام ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو كفر أو أن

يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد
النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما
السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلوة والسلام أو يقول ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا وهو معصوم
من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والإجماع عصمته عليه الصلوة
والسلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه
عليه ما يلقيه الملك مما يلقيه الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن
يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الأقاويل الآية وقال تعالى إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا
وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام
متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان
النبي عليه الصلوة والسلام ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين
ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع
في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث أنه قد علم
من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة

وتعييرهم

وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه
مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا
سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت بها قريش على
المسلمين الصولة ولأقامت اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة
الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما ورد في قصة
هذه القضية ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي عن معاند فيها
كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث أصلها
ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي
المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه
القضية أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك
الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر
أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لقد كاد يركن
إليهم فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته
حتى لم يركن إليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم
الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه عليه الصلوة
والسلام قال افتريت على الله تعالى وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم

الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى
في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن
يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن
عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا
برقه يذهب بالأبصار ولم يذهبها وقال تعالى أكاد أخفيها ولم يفعل
قال القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم
أن يقبل بوجهه عليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان
ليفعل قال ابن الأنباري ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا
ركن ● وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله
تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد سفسافها فلم يبق في الآية
إلا أن الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته
بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه
وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية وأما المأخذ الثاني
فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله تعالى من صحته ولكن
على ذلك من حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث
والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم
أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه

بحكم النوم

بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في
حالة من أحواله ولا تخلقه الله تعالى على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في
نوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من جميع العمد والسهو
وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن
قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح أن
يقوله عليه الصلوة والسلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على
لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير
التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبرهيم عليه السلام هذا ربي على
أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل
بين الكلمتين ثم رجع إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر
ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلوة فقد كان الكلام
فيها قبل غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من
المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل
القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما قال الثقات عنه فيمكن
ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات

تحاكيا نغمة النبي عليه الصلوة والسلام بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار
فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند
المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى وتحققهم من حال
النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى
موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما ألقى
الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن
النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة
وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى
تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا أماني أي تلاوة وقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته
وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ
فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه حدث
نفسه وقال اذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن
نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني
وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه
أو كلمة ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه
ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز

خ فيتنبه

ومما يظهر

ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى
فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى
وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة
أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة
بنات الله سبحانه كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه السورة
بقوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله سبحانه كل هذا من
قولهم ❁ ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن
المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم
وألقاه إليهم نسخ الله تعالى ما يلقي الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة
تينك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للإلباس كما نسخ كثير
من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي
نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين
وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
وان الظالمين لفي شقاق بعيد ❁ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك
فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين

خ أن يكون هذا

خ الغي — خ تلك — خ التي — خ سبيلا للتلبيس

يخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل إلى
الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا ذلك وأذاعوه عليه وأن النبي صلى الله
عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى
بقوله وما أرسلنا من قبلك الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ
القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله إنا نحن
نزلنا الذكر الآية ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد
قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم
كذابا فذهب مغاضبا قال القاضي رحمه الله فاعلم أكرمك الله أن
ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس قال لهم إن الله
مهلككم وإنما فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب
صدقه من كذبه لكنه قال لهم إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك
كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى إلا قوم يونس
لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الأخبار أنهم رأوا
دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى السحاب القمر فإن قلت فما معنى ما روي من أن عبد الله بن
أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا

خ ويشنعوا
خ كذلك
خ الثوب القبر

وصار إلى

وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي
عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر
فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول
اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول أكتب سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن أنس أن نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا
ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه
الحق بالباطل إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقع في قلب
مؤمن ريبا إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر قد افترى هو ومثله على الله ورسله ما هو أعظم
من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت
من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن أحد من
المسلمين ولا ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله عليه
الصلاة والسلام وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله الآية
وما وقع من ذكرها في حديث أنس وظاهر حكايته لها فليس فيها ما يدل
أنه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال
رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن أنس قال وأظن حميدا

خ كافرا
خ في تلبيسه
خ فيه

إنما سمعه من ثابت قال صلى الله عليه وسلم قال القاضي رضي الله عنه
ولهذا والله أعلم لم تخرج أهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رفيع عن أنس الذي خرجه أهل الصحة وذكرناه وليس
فيه عن أنس قول شيء من ذلك من قبل نفسه إلا من حكايته عن المرتد النصراني
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهين للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما أوحي إليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن
في نظم القرآن وأنه من عند الله إذ ليس فيه لو صح أكثر من أن الكاتب قال له
عليم حكيم إذ كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه
أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما نزل على الرسول قبل إظهار الرسول لها
إذ كان ما تقدم مما أملاه الرسول عليه الصلوة والسلام يدل عليها
ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة
حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته
أو مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام
كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
إن صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآيات
وجهان وقراءتان أنزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فأملى إحداهما
وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى الأخرى فذكرها

للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها كما قدمناه
نصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم أحكم الله تعالى من ذلك ما أحكم
ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى
إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم وهذه
قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليست من المصحف
وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا
في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقص الحق ويقض
الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا
ولا وهما وقد قيل إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله
عليه وسلم إلى الناس غير القرآن فيصف الله عز وجل ويسميه في ذلك
الكتاب بما شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ وأما ما ليس
سبيله سبيل البلاغ من الأخبار التي لا مستند لها إلى الأحكام ولا أخبار
المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال نفسه فالذي يجب
اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه
وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف
وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم

إلى تصديق جميع أقواله والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت وعن أي شيء
وقعت وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله
عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا ولما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على
عمر رضي الله عنه حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله صلى الله عليه
وسلم لهم واحتج عليه عمر بقول النبي صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت
من خيبر فقال له اليهودي لعنه الله كانت هزيلة من أبي القاسم فقال
عمر كذبت يا عدو الله وأيضا فإن آثاره وأخباره وسيره وشمائله
معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه الصلاة
والسلام لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به ولو كان
ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم رجوعه عما أشار به
على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الأمور
التي ليست من هذا الباب كقوله صلى الله عليه وسلم والله لا أحلف على يمين
فأرى خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله إنكم
تختصمون إلي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما
سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله
تعالى مع أشباهها وأيضا فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء والأخبار
بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع

قوله في

قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف
بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وأيضا فإن تعمد
الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقط
للمروءة وكل هذا مما ينزه منصب النبوة عنه والمرة الواحدة منه فيما
يستبشع ويشنع مما يخل بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما
يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف
فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده
إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع
عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد
ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما
ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا
الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري ويريب
بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى
الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في
صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا إنما عرف واتفق النقل
على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار

فيه في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه ∴
فصل فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي
حدثنا به الفقيه أبو إسحق إبرهيم بن جعفر قال حدثنا القاضي أبو الأصبغ
ابن سهل قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو عبد الله بن الفخار حدثنا أبو
عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن ملك عن داود بن الحصين عن أبي سفين
مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله
أقصرت الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك
لم يكن وفي الرواية الأخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر
بنفي الحالتين وأنها لم تكن وقد كان أحد ذلك كما قال له ذو اليدين
قد كان بعض ذلك يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن للعلماء في
ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتسا[ف]
وها أنا أقول أما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه
من القول البلاغ وهو القول الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا
الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في أفعاله
جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره
لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه

الصورة

الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه
وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه
القول كما سنذكره ففيه أجوبة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم
أخبر عن اعتقاده وضميره أما إنكار القصر فحق وصدق ظاهرا وباطنا
وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه
فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهو صدق أيضا **ووجه ثان**
أن قوله ولم أنس راجع إلى السلام أي إني سلمت قصدا أو سهوت عن العدد
أي لم أسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو أبعدها
ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن أي لم
يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع
الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت
هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها
وتعسف الآخر منها **قال القاضي** أبو الفضل رضي الله عنه والذي
أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله لم أنس إنكار
للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئس ما لأحدكم أن يقول
نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر
لست أنسى ولكن أنسى فلما قال له السائل أقصرت الصلوة أم نسيت

حاشيه
قال الحافظ أبو الحجاج المزي
فتح الله في مدته الصحيح بناء
أقصرت الصلوة لما لم يسم
فاعله من قبل الرواية والمعنى
أما من جهة المعنى فلأن غيرها
قصرها ولموافقة لفظ القرآن
في قوله تعالى أن تقصروا
من الصلوة والله تعالى أعلم

خ ما

خ وهذا

خ أبعدها

خ في والنقصان

خ لا

خ ولكني

أنكر تقصيرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وأنه إن كان جرى
شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق أنه نسي وأجرى عليه
ذلك ليسن فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر أو كل ذلك لم يكن
صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه آخر
استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان
غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل بال فكان النبي عليه الصلوة والسلام
يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة
ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في
قوله ما قصرت وما نسيت خلف في قول وعندي أن قوله ما قصرت
وما نسيت بمعنى الترك الذي هو أحد وجهي النسيان أراد والله أعلم
أني لم أسلم من ركعتين تاركا لإكمال الصلوة ولكني نسيت ولم يكن
ذلك من تلقاء نفسي • والدليل على ذلك قوله عليه الصلوة والسلام
في الحديث الصحيح إني لا أنسى أو أنسى لأسن وأما قصة كلمات إبرهيم
عليه السلام المذكورة في الحديث أنها كذباته الثلث المنصوصة في القرآن
منها اثنتان قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته
إنها أختي فاعلم أكرمك الله أن هذه كلها خارجة عن الكذب

لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة
عن الكذب أما قوله إني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم أي إن
كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم إلى عيدهم بهذا
وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل بل سقيم القلب بما شاهدته
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم
فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما أراد بيانه لهم من جهة
النجوم التي كانوا يشتغلون بها وأنه أثناء نظره في ذلك وقبل
استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع أنه لم يشك هو
ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال
حجة سقيمة ونظر معلول حتى ألهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم
بالكوكب والقمر والشمس ما نصه الله سبحانه وقدمنا بيانه وأما
قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه
قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق
أيضا ولا خلف فيه وأما قوله أختي فقد بين في الحديث وقال فإنك
أختي في الإسلام وهو صدق والله تعالى يقول إنما المؤمنون إخوة
فإن قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب

أبرهيم إلا ثلث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته
فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا في
الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
أشفق إبرهيم عليه السلام من مواخذته بها وأما الحديث كان النبي
صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول
إنما هو ستر لمقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم لوجه ذهابه بذكر
السؤال عن موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول
تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهتنا إلى موضع كذا خلاف مقصده فهذا
لم يكن والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف فإن قلت فما معنى قول
موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله تعالى
عليه ذلك إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين
أعلم منك وهذا خبر قد أنبأ الله تعالى أنه ليس كذلك فاعلم أنه وقع
في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم أحدا أعلم
منك فإذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة
وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله
في النبوة والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده
وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله أنا أعلم بما تقتضيه وظايف

النبوة من

النبوة من علوم التوحيد وأمور الشريعة وسياسة الأمة ويكون الخضر
أعلم منه بأمور أخر مما لا يعلمه أحد إلا بإعلام الله تعالى من علوم غيبه
كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى أعلم على الجملة بما تقدم وهذا
أعلم على الخصوص بما أعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما
وعتب الله تعالى ذلك عليه فيما قاله العلماء إنكار هذا القول عليه لأنه لم
يرد العلم إليه كما قالت الملئكة لا علم لنا إلا ما علمتنا أو لأنه لم يرض
قوله شرعا وذلك والله أعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في
تزكية نفسه وعلو درجته من أمته فيهلك لما تضمنه من مدح الإنسان
نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وإن نزه عن
هذه الرذايل الأنبياء عليهم السلام فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك
ليلها إلا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها أولى لنفسه وليقتدى به ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد أعلم به أنا سيد ولد آدم
ولا فخر وهذا الحديث إحدى حجج القايلين بنبوة الخضر لقوله فيه أنه
أعلم من موسى ولا يكون الولي أعلم من النبي وأما الأنبياء عليهم السلام
فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن أمري فدل أنه بوحي
ومن قال إنه ليس بنبي قال يحتمل أنه فعله بأمر نبي آخر وهذا يضعف
لأنه ما علمنا أنه كان في زمن موسى نبي غيره إلا أخاه هرون وما نقل

أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئًا يعول عليه وإذا جعلنا أعلم منك
ليس على العموم وإنما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم نحتج إلى إثبات
نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى أعلم من الخضر فيما
أخذ عن الله والخضر أعلم فيما دفع إليه من موسى وقال آخر إنما ألجئ موسى
إلى الخضر للتأديب لا للتعليم **فصل** وأما ما يتعلق بالجوارح من
الأعمال ولا تخرج عن جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع
فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من
معارفه المختصة به **فأجمع** المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش
والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه
وهو مذهب القاضي أبي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع وهو قول
الكافة واختاره الأستاذ أبو إسحق وكذلك لا خلاف أنهم معصومون
من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لأن كل ذلك يقتضي العصمة
مع الإجماع على ذلك من الكافة والجمهور وقائل بأنهم معصومون من
ذلك من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم إلا حسينا النجار فإنه
قال لا قوة لهم على المعاصي أصلًا وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف
وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة

حاشية: هو الحسين بضم الحاء المهملة بعدها سين مهملة بعدها ياء مثناة من تحت ابن محمد النجار أحد شيوخ المعتزلة وإليه ينسب الطائفة النجارية

أخرى إلى

أخرى إلى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع
بأحد الوجهين **وذهبت** طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى
عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا ولاختلاف الناس في الصغائر
وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك **وقول** ابن عباس وغيره أن كل
ما عصي الله به فهو كبيرة وأنه إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى ما هو
أكبر منه ومخالفة الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة **قال**
القاضي أبو محمد عبد الوهاب لا يمكن أن يقال في معاصي الله تعالى صغيرة
إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك
بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو عنها
إلى الله تعالى وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية وكثير من
أئمة الفقهاء **قال** القاضي أبو الفضل رحمه الله وقال بعض أئمتنا ولا يجب
على القولين أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها إذ
يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة وأسقطت
المروءة وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا أيضًا مما يعصم منه الأنبياء
إجماعًا لأن مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب
عنه والأنبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح
فأدى إلى مثله لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح إلى الحظر وقد ذهب

بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدًا وقد استدل بعض الأئمة
على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم واتباع آثارهم
وسيرهم مطلقًا وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي
وأبي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقًا عند بعضهم وإن اختلفوا في
حكم ذلك وحكى ابن خويزمنداد وأبو الفرج عن مالك التزام ذلك
وجوبًا وهو قول الأبهري وابن القصار وأكثر أصحابنا وقول أكثر
أهل العراق وابن سريج والإصطخري وابن خيران من الشافعية
وأكثر الشافعية على أن ذلك ندب وذهبت طائفة إلى الإباحة وقيد
بعضهم الاتباع فيما كان من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة
ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر
لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم إذ ليس كل فعل من أفعاله يتميز مقصده
به من القربة أو الإباحة أو الحظر أو المعصية ولا يصح أن يؤمر المرء
بامتثال أمر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول
إذا تعارضا من الأصوليين ونزيد هذا حجة بأن نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون أنه لا يقر على منكر من
قول أو فعل وأنه متى رأى شيئًا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل
على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في

نفسه

نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل وإذ
الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه
وأيضًا فقد علم من دين الصحابة قطعًا الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين
نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم برؤية ابن عمر إياه
جالسًا لقضاء حاجته مستقبلًا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في
غير شيء مما بابه العبادة أو العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا أخبرتيها أني أقبل وأنا
صائم وقالت عائشة محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وغضب عليه الصلوة والسلام على الذي أخبر بمثل هذا عنه
فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم
بحدوده والآثار في هذا أكثر من أن يحاط بها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء
منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم بحثهم عن ذلك ولما أنكر عليه الصلوة
والسلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه وأما المباحات فجائز
وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم كأيدي
غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم

من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهمم بالله والدار الآخرة لا يأخذون
من المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح
دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار
قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه
وسلم فبان لك عظيم فضل الله تعالى على نبينا وعلى سائر أنبيائه عليهم
الصلوة والسلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة
ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي
قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح إن شاء الله تعالى
تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف
والمسئلة تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر
الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه الصلوة والسلام قبل أن
يوحى إليه هل كان متبعا للشرع قبله أو لا فقالت جماعة لم يكن متبعا
لشيء وهو قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة
في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر
الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب
سيف السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك
النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما
أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من
سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك
جملة وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك عقلا قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا
من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة
واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي أبي بكر أولى وأظهر وقالت
فرقة أخرى بالوقف في أمره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء
في ذلك إذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في أحدهما طريق
النقل وهو مذهب أبي المعالي وقالت فرقة ثالثة إلى أنه كان عاملا بشرع
من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم عن تعيينه
وأحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن
كان يتبع فقيل نوح وقيل إبرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات
الله عليهم أجمعين فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والأظهر
فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو كان شيء
من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في أن عيسى عليه السلام
آخر الأنبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى
عليه السلام بل الصحيح أنه لم تكن لنبي دعوة عامة إلا لنبينا صلى الله
عليه وسلم ولا حجة أيضا للآخر في قوله تعالى أن اتبع ملة إبرهيم حنيفا

وللآخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الآية على
اتباعهم في التوحيد لقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى
الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على
قول من قال أنه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية
وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على أن المراد ما اجتمعوا
عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع
الاتباع هذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا عليه الصلوة والسلام
أو يخالفون بينهم ● أما من منع الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل
رسول بلا مرية ● وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له وتقرر
اتبعه ● ومن قال بالوقف فعلى أصله ● ومن قال بوجوب الاتباع لمن
قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل

هذا حكم ما تكون
المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت
التكليف وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف
الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه
فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق
الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعهم فيه وما هو خارج

عن هذا

عن هذا مما يختص بنفسه أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء
حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع
ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
وسهوا فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء وطرو
هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا
عن أحاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا وإلى هذا مال أبو إسحق
وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال
البلاغية والأحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما
تقرر من أحاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال
البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها
وأما السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات
الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم
إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني ● نعم بل حالة
النسيان والسهو هنا في حقه عليه الصلوة والسلام سبب إفادة علم
وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم إني لا أنسى أو أنسى لأسن بل
قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن وهذه الحالة زيادة له في

التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن فإن
القائلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو والغلط بل
ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح
وقبل انقراضهم على قول الآخرين وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا
بيان الأحكام من أفعاله عليه الصلوة والسلام وما يختص به من أمور
دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات
علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمم ومعاناة
الأهل وملاحظة الأعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال
بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي
فأستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته ۞
وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
في حقه صلى الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب
علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها بعد
هذا إن شاء الله تعالى

فصل في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم

۞ قد قدمنا في الفصول
قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه الصلوة والسلام وما يمتنع وأحلناه

في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا وقوعه في الأفعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن نبسط
القول فيه الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم
في الصلوة ثلثة أحاديث أولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين
الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الأحاديث مبنية
على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به إذ البلاغ
بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال وشرطه أنه لا يقر على هذا
السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه
وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد
للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا
بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال صلى الله عليه وسلم
رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى
أنسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم إني لأنسى أو أنسى لأسن
قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى
لأسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه
التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله قال القاضي أبو الوليد الباجي

يحتمل ما قالاه أن يريد أني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى على
سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو أو أنسى مع إقبالي
عليه وتفرغي له فأضاف أحد النسيانين إلى نفسه إذ كان له بعض
السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر وذهبت
طائفة من أصحاب المعاني والكلام عن الحديث إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لأن النسيان ذهول وغفلة وآفة قال
والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان النبي عليه
الصلوة والسلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلوة ما في
الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الأخرى إني
لا أنسى وذهبت طائفة إلى منع هذا كله عنه وقالوا إن سهوه
صلى الله عليه وسلم كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه
متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال
ولا حجة لهم في قولهم أنه أمر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله إني لأنسى
أو أنسى فقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال إنما أنا
بشر مثلكم أنسى كما تنسون وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين من أئمتنا
وهو أبو المظفر الإسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه ولا
حجة لها بين الطائفتين في قوله إني لا أنسى ولكن أنسى إذ ليس فيه نفي حكم

النسيان

النسيان عليه بالجملة وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئس ما لأحدكم
أن يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر
الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم
الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة
عن طاعة وقيل أن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلوة في الخوف
إذا لم يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن وهو مذهب الشاميين والصحيح
أن حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فإن قلت فما تقول في نومه
صلى الله عليه وسلم يوم الوادي عن الصلوة وقد قال إن عيني تنامان
ولا ينام قلبي فاعلم أن للعلماء عن ذلك أجوبة منها أن المراد بأن
هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الأوقات وقد يندر منه
غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل قوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه إن الله قبض أرواحنا وقول
بلال فيه ما ألقيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا إنما يكون منه
لأمر يريده الله تعالى من إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع وكما
قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن تكون لمن
بعدكم الثاني أن قلبه صلى الله عليه وسلم لا يستغرقه النوم حتى يكون

منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسًا وأنه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة أهله أو لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه ثم أقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ **وقيل** لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا **فإن قيل** فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال أكلأ لنا الصبح **فقيل** في الجواب أنه كان من شأنه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة أول الفجر لا تصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالًا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته **فإن قيل** فما معنى نهيه عليه الصلوة والسلام عن القول نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني **وقال** لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها **فاعلم** أكرمك الله لا تعارض في هذه الألفاظ **أما** نهيه عن أن يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا

لم تكن منه ولكن الله تعالى اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو أو غفلة من قبله تذكرها صلح أن يقال فيه أنسى **وقد قيل** أن هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه وإسقاطه عليه الصلوة والسلام لما أسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم يستذكرها من أمته أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله تعالى نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره **وقد يجوز** أن ينسى النبي ما هذا سبيله كرة ويجوز أن ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظمًا ولا يخلط حكمًا مما لا يدخل خللًا في الخبر ثم يذكره إياه **ويستحيل** دوام نسيانه لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه

فصل

في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك **اعلم** أن المجوزين للصغائر على الأنبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعًا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديمًا وقامت الدلائل

على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير إلى ما صح وها نحن نأخذ في
النظر فيها إن شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وقوله عفا الله
عنك لم أذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
عظيم وقوله عبس وتولى الآية وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله
تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقوله عنه ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله
فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الآية وقوله عن يونس سبحانك
إني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن داود
أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب إلى مآب وقوله ولقد همت
به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى
عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه
اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ونحوه من أدعيته
عليه الصلوة والسلام وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث
الشفاعة وقوله إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث أبي هريرة
إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله
تعالى عن نوح وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين

ظلموا إنهم

ظلموا إنهم مغرقون وقال عن إبراهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقوله عن موسى تبت إليك وقوله ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه
هذه الظواهر قال القاضي رحمه الله فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك
من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر
عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر وقيل المراد بذلك أمته عليه الصلوة
والسلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب
أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله
يتأول قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي
مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لأمته وقيل إن النبي
صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر
بذلك الكفار فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
الآية والمؤمنين في الآية الأخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية
أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان قال بعضهم المغفرة
ها هنا تبرئة من العيوب وأما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض

حاشية
وجد في بعض النسخ مؤخرا وهو في غالبها كذا ترتيبه هنا والله أعلم

بما تأخر وللمؤمنين

ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن
ومعنى قول قتادة وقيل معناه أنه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا
ذاك لأثقلت ظهره . حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك
ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها . حكاه الماوردي والسلمي
وقيل أراد حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية . حكاه مكي وقيل
ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه
القشيري وقيل معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى أنقض أي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما
قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت
عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها أو يكون الوضع
عصمة الله تعالى وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره أو يكون
من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية وإعلام الله
تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه وأما قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت
لهم فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال
نفطويه وقد حاشاه الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد
كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى

له فأذن

له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى بما لم يطلع عليه من
سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ها
هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري
قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعناه عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي
أنها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى
السمرقندي أن معناه عافاك الله . وأما قوله في أسارى بدر ما كان
لنبي أن يكون له أسرى الآيتين فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه
وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الأنبياء فكأنه قال
ما كان هذا لنبي غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم أحلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي فإن قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية
قيل المعنى بالخطاب من أراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا
علية أصحابه بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم
بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر أن
يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق واختلف

المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا أنه سبق مني ألا أعذب
أحداً إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية وقيل
المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح
لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيراً وبياناً بأن يقال
لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم
كما عوقب من تعدى وقيل لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال
لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم
يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وقيل بل كان قد
خير عليه الصلوة والسلام في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى
إن شاؤا القتل وإن شاؤا الفداء على أن يقتل منهم عام المقبل
مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وأنهم
لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين
مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم
ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
وإلى نحو هذا أشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القضية
لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر إشارة إلى هذا من تصويب

رأيه

رأيه ورأي من أخذ بمأخذه في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه
وأن هذه القضية لو استوجبت عذاباً نجا منه عمر ومثله وعين عمر لأنه
أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذاباً لحله لهم
فيما سبق قال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن
أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل
الأمر فيه إليه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك قال القاضي خرج هذا الخبر
أهل الصحيح وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال
الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي
قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله تعالى ذلك
عليهم وذلك قبل بدر بأزيد من عام فهذا كله يدل على أن فعل النبي
صلى الله عليه وسلم في شأن الأسارى كان على تأويل وبصيرة وعلى
ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم لكن الله تعالى أراد لعظيم
أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريف
ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار وتذنيب
هذا معنى كلامه وأما قوله تعالى عبس وتولى الآيات فليس فيه
إثبات ذنب له عليه الصلوة والسلام بل إعلام الله تعالى أن ذلك

المتصدى له ممن لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو كشف لك
حال الرجلين الإقبال على الأعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل
وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستيلافا له كما
شرعه الله تعالى له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله تعالى عليه من ذلك
أعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده والإشارة إلى الإعراض
عنه بقوله تعالى وما عليك ألا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى الكافر
الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام وأما قصة آدم
عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه
تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل
أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي
ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله تعالى
إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو لك ولزوجك الآية قيل نسي ذلك بما أظهر
لهما وقال ابن عباس إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي ٥
وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما
إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا لا يحلف بالله تعالى حانثا وقد روي
عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار ٥ وقال ابن جبير حلف بالله لهما

حتى غرهما

حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم
نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وأكثر المفسرين على أن العزم هنا الحزم
والصبر وقيل كان عند أكله سكران وهذا فيه ضعف لأن الله تعالى
وصف خمر الجنة أنها لا تسكر فإذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك
إن كان ملبسا عليه غالطا إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم
التكليف وقال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره إنه يمكن أن يكون
ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى فذكر أن الاجتباء والهدى كان بعد العصيان
وقيل بل أكلها متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول
نهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة
من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم
فإن قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه وقال فتاب
عليه وهدى وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن
أكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملا آخر
الفصل إن شاء الله تعالى وأما قصة يونس عليه السلام فقد مضى الكلام
على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وإنما فيها أبق وذهب
مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل إنما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا

من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله تعالى عنهم
قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب
فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة وقد تقدم الكلام أنه لم
يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية إلا على قول مرغوب عنه
وقوله تعالى أبق إلى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد وأما قوله
إني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند
بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه تعالى أو لضعفه
عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم
يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه تعالى عن الظلم وأضاف
الظلم إلى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا
أنفسنا إذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما
من الجنة وإنزالهما إلى الأرض وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب
أن يلتفت إلى ما سطره فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا
ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث
صحيح والذي نص الله تعالى عليه قوله وظن داود أنما فتناه إلى قوله وحسن
مآب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه أي اختبرناه وأواب قال قتادة
مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود

على أن قال

على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك
ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره
وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد وحكى
السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك
فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشيه على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له
من الملك والدنيا وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب
أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين وقال الداودي ليس في قصة
داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل أن الخصمين
اللذين اختصما إليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية وأما قصة يوسف
وإخوته عليهم السلام فليس على يوسف منها تعقب وأما إخوته فلم تثبت
نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط وعدهم في
القرآن عند ذكر الأنبياء قال المفسرون يريد من نبئ من أبناء الأسباط
وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار الأسنان ولهذا
لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا غدا يرتع ويلعب
فإن ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم وأما قول الله تعالى فيه ولقد همت
به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين
أن هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه

عز وجل إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه
إذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت
عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو
المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون
قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك منه
على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف
وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم وأن الكلام فيه
تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها
وقد قال تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت
الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي الآية قيل في ربي الله تعالى
وقيل الملك وقيل هم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها غمها امتناعه
عنها وقيل هم بها أي نظر إليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا
كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل
شهوة حتى نبأه الله تعالى فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه
عن حسنه وأما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله [خ قال]
تعالى أنه من عدوه قيل كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل

السورة

السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصى
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان
وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي
أن يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وإنما
وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل إن هذا كان قبل النبوة
وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء
بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل إلقاؤه
في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه أخلصناك إخلاصا قاله ابن جبير
ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا خلصتها وأصل الفتنة معنى الاختبار [خ أذى]
وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار يؤدي إلى ما
يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت جاءه فلطم
عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب [التعدي]
له إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل لأن موسى عليه السلام دافع
عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن أنه علم
حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب عين
تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى لهما فلما جاءه بعد [خ على]
وأعلمه الله تعالى أنه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين عن هذا

الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف **وأما قصة** سليمن عليه السلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه **وقوله** تعالى ولقد فتنا سليمن فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته **وقيل** بل مات فألقي على كرسيه ميتا **وقيل** ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه **وقيل** لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني **وقيل** عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم **وقيل** أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما قاله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله **وإن سئل**

لم لم يقل سليمن في القصة المذكورة إن شاء الله **فعنه** أجوبة أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى ❊ **والثاني** أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه **وقوله** هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمن غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك **وقيل** بل أراد أن تكون له من الله تعالى فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه **وقيل** ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كإلانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا **وأما قصة نوح** عليه السلام فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى إنا منجوك وأهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله فبين الله تعالى علته وأنه ليس من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فوخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه

وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرنا من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله تعالى إليه أن قرصتك نملة واحدة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي أن هذا النبي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله تعالى ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا تحت شجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله تعالى إليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا أمر نهي عنه فيعصى به ولا نص فيما أوحى الله إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم فإن قيل فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا أو كما قال عليه السلام فالجواب عنه ما تقدم من ذنوب الأنبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة

فصل فإن قلت فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله تعالى وإياك أن درجة الأنبياء عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله تعالى وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش مما يكون بالإضافة إلى هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم

حاشية
قوله وأذناب الناس رذالهم هو بخفض ... ذكره الفارابي في كتاب ديوان الأدب من باب فعال من أبواب ما لحقته الزيادة من حروف المد واللين بين العين واللام فقال وهو رذال المال وغيره ولم يذكره في باب فعال بضم الفاء وفتح العين وتشديدها من أبواب ما ثقلت عينه والله أعلم

كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت
من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل أن تلك الشجرة
هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت
أمنيته وهذا يوسف عليه السلام قد أوخذ بقوله لأحد صاحبي السجن
اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
قيل أنسي يوسف ذكر الله تعالى وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده
الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في
السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من
دوني وكيلا لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال
بعضهم أخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده وتجاوز عن سائر الخلق
لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب وقد قال
المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون
بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم
أرفع فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم فاعلم أكرمك الله
تعالى أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول
إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون
بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه

ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول
موسى تبت إليك إني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمن وإنابته
فسخرنا له الريح إلى وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الأنبياء
في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه
وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم
بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم
ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النمط الرفيع المعصوم
فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين
قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن
استزادة من نبينا عليه الصلوة والسلام وأيضا فيقال لهم فإنكم ومن
وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة
الأنبياء عليهم السلام من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم
هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء
وتوبتهم منها وهي مغفورة إن كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه
وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال صلى الله

عليه وسلم وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر أفلا أكون عبدا شكورا
وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى قال الحرث ابن أسد خوف
الملئكة والأنبياء عليهم السلام خوف إعظام وتعبد لله تعالى لأنهم آمنون
وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم أممهم كما قال صلى الله عليه
وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وأيضا فإن في التوبة
والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة
الله تعالى قال الله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فإحداث
الرسل والأنبياء عليهم السلام الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة
في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة
وقد قال الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام بعد أن غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار
الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا **فصل**
قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه
الصلوة والسلام عن الجهل بالله تعالى وصفاته أو كونه على حالة تنافي
العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا وقبلها سمعا
ونقلا ولا بشيء مما قرره صلى الله عليه وسلم من أمور الشرع وأداه
عن ربه عز وجل من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب

وخلف القول

وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك
عليه شرعا وإجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا
وتنزيهه عن الكبائر إجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته
في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح مما يجب لك أن تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم
فائدتها وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي أو يجوز أو يستحيل عليه
ولا يعرف صور أحكامه لا يؤمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه
ولا ينزهه عما لا يجوز أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز
عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط صلى الله عليه وسلم
على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال
لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا قال القاضي
رضي الله عنه هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه
الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا من هذا يرى أن
الكلام فيه جملة من فضول العلم وأن السكوت أولى وقد استبان

لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر إليها في
أصول الفقه وتبتني عليها مسائل لا تتعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب
مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم
وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه
على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه
السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا وبحسب اختلافهم في
وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك
العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف
إلى النبي شيئا من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما
يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتوى
في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح فإما أن يجترئ
على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه
وسلم ولتسبيل هذا ما قد اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء ○
والمحققين في عصمة الملائكة عليهم السلام

فصل في القول في عصمة الملائكة عليهم السلام

قال القاضي رضي الله عنه أجمع
المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم
المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه

وأنهم في

وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم واختلفوا
في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما
منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وبقوله
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل
والنهار لا يفترون وبقوله إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
الآية وقوله كرام بررة ولا يمسه إلا المطهرون ونحوه من السمعيات
وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا
بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير نحن نذكرها بعد ونبين الوجه فيها
إن شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع
ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا
أشار إلى أن لا حاجة بالفقيه إلى الكلام في عصمتهم وأنا أقول إن
للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الأنبياء من الفوائد التي ذكرناها
سوى فائدة الكلام في الأقوال والأفعال فهي ساقطة ها هنا فمما احتج
به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل
الأخبار ونقله المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما
فاعلم أكرمك الله تعالى أن هذه الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم

ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس
والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وأنكر ما قال بعضهم فيه
كثير من السلف كما سنذكره وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم
كما نصه الله تعالى أول الآيات من افترائهم بذلك على سليمن وتكفيرهم إياه
وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء
هذه الإشكالات إن شاء الله تعالى قال القاضي رحمه الله فاختلف
أولا في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان وهل هما المراد
بالملكين أم لا وهل القراءة ملكين أو ملكين وهل ما في قوله وما أنزل على
الملكين وما يعلمان من أحد نافية أو موجبة فأكثر المفسرين أن الله تعالى
امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله كفر فمن تعلمه
كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى إنما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس
له إنذار أي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فإنه يفرق بين المرء
وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فإنه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة
وتصرفهما فيما أمرا به ليس معصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب
عن خالد بن أبي عمران أنه ذكر عنده هاروت وماروت وأنهما يعلمان السحر
فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما أنزل على الملكين فقال خالد
لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي

عمله حرف — تعليم حرف — تحيلوا — معصية حرف — الناس حرف — هذه النقيصة حرف

فقد ذكر غيره

قد ذكر غيره أنه مأذون لهما في تعليمه بشريطة أن يبينا أنه كفر وأنه امتحان
من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة
في تلك الأخبار وقول خالد لم ينزل يريد أن ما نافية وهو قول ابن
عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر الذي
افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما أنزل على الملكين
قال مكي قيل هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما
ادعوا علمه على سليمن فأكذبهم الله تعالى في ذلك ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه
قال الحسن هاروت وماروت علجان من أهل بابل وقرأ وما أنزل
على الملكين بكسر اللام وتكون ما إيجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن
بن أبزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هاهنا داود وسليمن وتكون
ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني إسرائيل فمسخهما الله تعالى
حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الآية على تقدير
أبي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا
وقد وصفهم الله تعالى بأنهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون ما أمرهم
ومما يذكرونه قصة إبليس وأنه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان
الجنة إلى آخر ما حكوه وأنه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا إلا إبليس

كبائر — ادعى عليهما اليهود — محمل — مرتضية

وهذا أيضا لم يتفق عليه بل الأكثر ينفون ذلك وأنه أبو الجن كما آدم
أبو الإنس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب
كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض حين أفسدوا والاستثناء
من غير الجنس شائع في كلام العرب وقد قال الله تعالى ما لهم
به من علم إلا اتباع الظن ومما رووه في الأخبار أن خلقا من الملائكة
عصوا الله تعالى فحرقوا وأمروا أن يسجدوا لآدم فأبوا فحرقوا ثم
آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله تعالى إلا إبليس في أخبار لا أصل
لها تردها صحاح الأخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم صلوات الله وسلامه عليهم في الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية

قال القاضي رحمه الله تعالى قد قدمنا
أنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والرسل عليهم السلام من البشر
وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات
والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وذلك
كله ليس بنقيصة فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم
منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار فيها
تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة
الغير فقد مرض عليه الصلوة والسلام واشتكى وأصابه الحر والقر

وأدركه الجوع

وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الإعيا والتعب
ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته
وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي
صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى
وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء
عليهم السلام ما هو أعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الأوقات ومنهم من
عصمه كما عصم بعد نبينا عليه الصلوة والسلام من الناس فلئن لم يكف
نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه أهل الطايف
عند دعوته فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك
عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن
الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر
أنبيائه صلواته وسلامه عليهم مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته
ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم
وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم
لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى ابن
مريم وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور في أجورهم عند ربهم

تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ
والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة
البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة
غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها
عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم إن
عيني تنامان ولا ينام قلبي ۞ وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني
ربي ويسقيني ۞ وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر أن سره
وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من
ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل شيء منها باطنه بخلاف غيره من البشر
في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو
عليه الصلاة والسلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء
في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان
كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته
فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا يعتريه
ذلك وأنه بخلافهم لقوله إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقين
قال القاضي رحمه الله تعالى وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال
كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا

فاض منه

فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر
مما نأخذ بعد في بيانه **فصل** فإن قلت قد جاءت الأخبار الصحيحة
أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي
عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن
أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن إسمعيل قال حدثنا
أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سحر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله وفي رواية
حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث وإذا كان
هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله تعالى وإياك
أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت
به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله
تعالى الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في أمره لبسا وإنما
السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان
يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في
شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع

خ نقد

ق صح أخرى

خ ق التشكك

خ ق صح وما فعله

على عصمته من هذا وانما هو فيما يجوز طروه عليه في أمور دنياه التي
لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر
فغير بعيد أن يخيل اليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان
وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه أنه
يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفين وهذا أشد ما يكون من السحر
ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه
فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل أن المراد
بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد
صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة هذا
ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من
معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع
لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأباطيل
يستفاد من تفسير الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث
عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما صنعوا ٥
فاستخرجه من البئر وروي نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب

وعمر ابن الحكم

وعمر ابن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما
عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث وقال عبد الرزاق حبس رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره وروى
محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن
النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد
استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر انما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه انما أثر في بصره وحبسه
عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معنى
قوله يخيل اليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه
ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن أصابته أخذة
السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من وجد واعترض بل زادوا
عليه في قوله أنه ما نقل عنه شيء على خلاف معتقده ولعله لمثل هذا
أشار سفين بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في
الرواية الأخرى أنه ليخيل اليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل
من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد
فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما أصابه في بصره وضعف نظره

لا لشيءٍ طرأ عليه في مَيْزِه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسًا ولا يجد به الملحد المعترض أنسًا

فصل

هذه حاله في جسمه فأمّا أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبنا المتقدم بالعقد والقول والفعل أمّا العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجهٍ ويظهر خلافه أو يكون منه على شكٍّ أو ظنٍّ بخلاف أمور الشرع كما حدّثنا أبو بحر سفين بن العاصي وغير واحد سماعًا وقراءةً قالوا حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن عمر قال حدّثنا أبو العبّاس الرازي حدّثنا أبو أحمد بن عمرويه حدّثنا ابن سفين حدّثنا مسلم حدّثنا عبد الله بن الرومي وعبّاس العنبري وأحمد المعقري قالوا حدّثنا النضر بن محمد قال حدّثني عكرمة حدّثنا أبو النجاشي حدّثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة وهم يأبرون النخل فقال عليه الصلوة والسلام ما تصنعون قالوا كنّا نصنعه فقال لعلّكم لو لم تفعلوا كان خيرًا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال إنّما أنا بشر إذا أمرتكم بشيءٍ من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيءٍ من رأيي فإنّما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث آخر إنّما ظننت ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظنّ وفي حديث ابن عبّاس في قصّة الخرص فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّما أنا بشر فما حدّثتكم

أسلوبها صح

حاشية هو أحمد بن جعفر المعقري

فنقصت صح

عن الله فهو

عن الله فهو حقّ وما قلت فيه من قبل نفسي فإنّما أنا بشر أخطئ وأصيب وهذا على ما قرّرناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنّه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرعٍ شرعه وسنّةٍ سنّها وكما حكى ابن إسحق أنّه عليه الصلوة والسلام لمّا نزل بأدنى مياه بدرٍ قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإنّه ليس بمنزلٍ انهض حتّى نأتي أدنى ماءٍ من القوم فننزله ثمّ نعوّر ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى له وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة بعض عدوّه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الأنصار فلمّا أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانةٍ ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس في هذا كلّه نقيصة ولا محطّة وإنّما هي أمور اعتيادية يعرفها من جرّبها وجعلها همّه وشغل نفسه بها والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم مشحون القلب بمعرفة الربوبيّة ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيّد البال بمصالح الأمّة الدينيّة والدنيويّة ولكن هذا إنّما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها

حاشية

لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم
من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز
في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل قال القاضي وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية

على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه
السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل
بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه فمن قضيت
له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار حدثنا
الفقيه أبو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر
حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن كثير انا سفين
عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة
فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له وتجري
أحكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد
ويمين الحالف ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى
حكمة الله تعالى في ذلك فإنه تبارك وتعالى لو شاء لأطلعه على سرائر
عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه

يعتقد

وبتحري

وبمعرفة

دون حاجة

دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله تعالى
أمته صلى الله عليه وسلم باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله
وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله تعالى به
لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية
من قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية
لحكمه هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله تعالى له بما أطلعه عليه من
سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم
التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به في
تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين
من سنته إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ
وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه
الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي
بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته
وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا
يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته صلى الله عليه وسلم

فصل وأما أقواله الدنيوية من أخباره عن أحواله وأحوال

أحكامهم

حاشية
قال الحافظ المزي وبقيت حالة أخرى لم يذكرها المصنف وهي أنه إنما امتنع قضاؤه بعلمه للسلامة من التهمة والبراءة منها ولهذا لا يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه حتى تقوم البينة والله أعلم

غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال
وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب وأنه معصوم
منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز وروده‌ا
منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه
لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته
وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحبيبهم ومسرة
نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة
التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينيه بياض وهذا كله صدق
لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينيه بياض ❁ وقد قال صلى الله
عليه وسلم إني لأمزح ولا أقول إلا حقا ❁ هذا كله فيما بابه
الخبر فأما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الأمور
الدنيوية فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى
أحدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان
لنبي أن تكون له خائنة الأعين فكيف أن تكون له خائنة قلب فإن قلت
فما معنى إذا قوله تعالى له في قصة زيد وإذ تقول للذي أنعم الله عليه
وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية فاعلم أكرمك الله ولا

خ تخبيبهم

خ خيانة

تستريب

تستريب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا
بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين أن الله تعالى
كان أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما
شكاها إليه زيد قال له أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه في نفسه
ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله تعالى مبديه ومظهره بتمام
التزويج وطلاق زيد لها • وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال
نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله تعالى يزوجه زينب
بنت جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله
تعالى بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها ويوضح
هذا أن الله تعالى لم يبد من أمره صلى الله عليه وسلم معها غير زواجه
لها فدل أنه الذي أخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان أعلمه به تعالى
وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة
الله الآية فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر قال الطبري ما كان
الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال
الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين فيما أحل لهم
ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله

خ روى

حاشية
عمرو بن فائد هذا هو الأسواري
متروك الحديث قاله الدارقطني
وغيره قالوا وكان قدريا (خ)

عليه وسلم عند ما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما
لا يليق به من مد عينيه إلى ما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان
هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء فكيف
سيد الأنبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام قال القشيري وهذا
إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله
وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت
ولا كان النساء يحتجبن منه عليه الصلوة والسلام وهو زوجها لزيد ۝
وإنما جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم إياها
لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
وقال أبو الليث السمرقندي فإن قيل فما الفائدة في أمر النبي
صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها فهو أن الله تعالى أعلم نبيه صلى الله
عليه وسلم أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها إذ لم
تكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله تعالى به فلما طلقها زيد خشي
قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى أن يتزوجها ليباح
مثل ذلك لأمته كما قال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في
أزواج أدعيائهم وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة وردا

للنفس عن

للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل
هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجأة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا بإمساكها وإنما تنكر تلك الزيادات
التي في القصة والتعويل والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه ۝
السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري
وعليه عول أبو بكر بن فورك وقال إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل
التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك
وإظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقد أخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وإنما معناه الاستحياء
أي يستحيي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه وأن خشيته صلى الله عليه وسلم
كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم
تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان فعتبه الله
تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له كما عتبه على مراعاة
رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم ما أحل الله لك
الآية كذلك قوله تعالى هاهنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي
عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية

لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه

فصل فإن قلت قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا القاضي أبو الوليد قال حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسمعيل قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق نا ابن همام عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فتنازعوا فقالوا أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه فقال إن النبي يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب

لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوما أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في هذا الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا إذا هذى وهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطريق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفين وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا

وأما رواية أهجرا وهى رواية أبى إسحق المستملى فى الصحيح فى حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا على المختلفين عنده ومخاطبة لهم من بعضهم أى جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش فى المنطق وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه الصلوة والسلام بأن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبى صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقراين فلعل قد ظهر من قراين قوله عليه الصلوة والسلام لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب رأى عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبى صلى الله عليه وسلم من تكليفه فى تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبى صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشى عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون فى الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة فى تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر تقرر الشريعة وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم

أوصيكم بكتاب الله وعترتى وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبى صلى الله عليه وسلم وقد قيل أن عمر خشى تطرق المنافقين ومن فى قلبه مرض لما كتب فى ذلك الكتاب فى الخلوة وأن يتقولوا فى ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل أنه كان من النبى صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة أخرى أن معنى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها واستدل فى مثل هذه القصة بقول العباس لعلى انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة على هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم دعونى فإن الذى أنا فيه خير أى الذى أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعونى من الذى طلبتم وذكر أن الذى طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل فإن قيل فما وجه حديثه أيضا الذى حدثناه الفقيه أبو محمد الخشنى بقراءتى عليه حدثنا أبو على الطبرى حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا أبو أحمد الجلودى قال حدثنا إبرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبة

حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت أبا
هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن
آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك
يوم القيمة وفي رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة وفي رواية
ليس لها بأهل وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو
جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله
عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا
يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا
كله فاعلم شرح الله صدرك أن قوله صلى الله عليه وسلم أو ليس
لها بأهل أي عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه عليه الصلوة
والسلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه الصلوة
والسلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره
ثم دعا عليه الصلاة والسلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته
للمؤمنين التي وصفه الله تعالى بها وحذره أن يتقبل فيمن دعا عليه
دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه
صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا

ومن لا

بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله أغضب كما
يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد
بهذا أن الغضب لله تعالى حمله على معاقبته بلعنته أو سبه وأنه كان مما
يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه أو العفو عنه وقد يحمل
أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود
الله تعالى وقد يحمل ما ورد من دعائه صلى الله عليه وسلم هنا ومن دعواته
على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت فيه عادة العرب
وليس المراد به الإجابة كقوله صلى الله عليه وسلم تربت يمينك ولا أشبع
الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته صلى الله عليه وسلم وقد ورد
في صفته صلى الله عليه وسلم في غير حديث أنه لم يكن فحاشا وقال
أنس لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا عند المعتبة
ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق عليه الصلوة
والسلام من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه تعالى كما قال
في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك
إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف
والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس
والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه صلى الله عليه وسلم لربه تعالى

لمن جلده أو سبّه على حق وبوجه صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما أصاب
وتمحية لما اجترم وأن تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران
كما جاء في الحديث الآخر ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو له كفارة
قال القاضي رحمه الله فإن قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله
عليه وسلم له حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى
يبلغ الكعبين فقال الأنصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ
الجدر الحديث فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يقع بنفس
مسلم منه في هذه القصة أمر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب
الزبير أولاً إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما
لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام
بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث
أصلاً في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في
حال غضبه ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه
في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوماً وغضب

النبي صلى الله عليه وسلم في هذا

النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله
الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له وضربتني بالقضيب
فلا أدري أعمداً أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أعيذك يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله وكذلك في حديثه الآخر
مع الأعرابي حين طلب صلى الله عليه وسلم الاقتصاص منه فقال الأعرابي
قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه
بزمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول
له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه
وسلم إذ لم يقف عند نهيه صواب وموضع أدب لكنه عليه الصلوة والسلام
أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه وأما حديث سواد
بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس
حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني قلت القصاص يا رسول
الله فكشف لي عن بطنه إنما ضربه عليه الصلوة والسلام لمنكر رآه
به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع
لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فصل قال القاضي رحمه الله وأما أفعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها

أي المجردة من الأحكام الأخروية

من توبة في المعاصي والمكر وهات ما قدمناه ومن جواز السهو أو الغلط في
بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور
إذ عامة أفعاله على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية
مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ
منها لنفسه إلا الضرورة وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها
يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه
أو تألف شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق
بصالح أعماله صلى الله عليه وسلم منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد
كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد للأمور
أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة وقد
يركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها
ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر أفعاله بحسب اعتبار
مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل الفعل في أمور الدنيا مساعدة لأمته
وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية
مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه

التحصن

التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم
ورعاية للمؤمنين من قراباتهم وكراهة لأن يقول الناس إن محمدا يقتل
أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام
مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك
وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح
لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم ويفعل الفعل
ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو
من قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي
ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول
إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه
شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت
في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه • وحتى كأن على رؤوس جلسائه
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك
مما يضحكون منه • قد وسع الناس بشره وعدله • لا يستفزه الغضب
ولا يقصر عن الحق • ولا يبطن على جلسائه ويقول ما كان لنبي أن
تكون له خائنة الأعين فإن قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل
عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول وضحك معه فلما سألته

عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز أن يظهر
له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال **فالجواب** أن فعله صلى الله عليه
وسلم كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن إيمانه ويدخل في
الإسلام بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام ومثل هذا
على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا إلى السياسة الدينية وقد كان
صلى الله عليه وسلم يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف بالكلمة
اللينة **قال** صفوان بن أمية لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي **وقوله**
فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم
ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان
مطاعا متبوعا ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة
بل كان جائزا بل واجبا في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة
والمزكين في الشهود **فإن قيل** فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من
قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها
إلا أن يكون لهم الولاء فقال لها صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطي
لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون شروطا
ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم

فقد أمرها

قد أمرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله أعلم لما باعوها من عائشة
كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم أبطله صلى الله عليه وسلم وهو
قد حرم الغش والخديعة **فاعلم** أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء إذ ليست
في أكثر طرق هذا الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها إذ تقع لهم قال
الله تعالى أولئك لهم اللعنة وقال وإن أسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم
الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من
شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك **ووجه ثان** أن قوله صلى الله عليه وسلم
اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى التسوية والإعلام
بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل أن
الولاء لمن أعتق فكأنه قال لها اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع
وإلى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم
وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا **الوجه الثالث**
أن معنى قوله اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا
ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه **فإن قيل** فما معنى فعل يوسف

حاشية
قال الحافظ جمال الدين المزي
وقد جاء في بعض روايات
الحديث اشترطي أو لا تشترطي
فإنما الولاء لمن أعتق

في نسخة
مخالفة صح

عليه السلام بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخبر باسم سرقتها وما
جرى على أخوته في ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم
أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان عن أمر الله تعالى لقوله
تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء
الله الآية فإذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وأيضا فإن يوسف
كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فكان ما جرى عليه
بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وإزاحة السوء
والمضرة عنه بذلك وأما قوله أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول
يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله إن حسن له التأويل
كأينا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم
قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم أن نقول الأنبياء عليهم
السلام ما لم يأت أنهم قالوه حتى نطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار
عن زلات غيرهم **فصل فإن قيل فما الحكمة في إجراء الأمراض**
وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء عليهم الصلوة والسلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وإبرهيم ويوسف وغيرهم
صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه فاعلم

ذلك صح

بلغ كتابة ومقابلة بالأصل المنقول منه فصح ولله الحمد

على جميعهم صح

وفقنا الله تعالى

وفقنا الله تعالى وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها
صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال تعالى لهم لننظر كيف تعملون
وليبلوكم أيكم أحسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وحتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم فامتحانه إياهم
بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة
على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء
بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو
لهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين
مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل حدثنا
القاضي أبو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن
محبوب حدثنا أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن
عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي
الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب
دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة

عن العبد صح

وكما قال تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآيات الثلث وعن
أبي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما
عليه خطيئة وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله تعالى بعبده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه
بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث آخر إذا أحب الله عبدا ابتلاه
ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله
عز وجل كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما
روي عن لقمان أنه قال يا بني الذهب والفضة تختبران بالنار والمؤمن
يختبر بالبلاء وقد حكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه
التفاته في صلاته إليه ويوسف نايم محبة له وقيل بل اجتمع يوما
هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم
جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما
جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف
إلى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان
بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه ألا من كان مفطرا فليتغد
عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله تعالى عليها وروي
عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه

في ظلمه

في ظلمه وأغلظوا له إلا أيوب فإنه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله
تعالى ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة
أصهاره أو العمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فايدة
شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عايشة ما رأيت
الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
عبد الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت
إنك لتوعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت
ذلك أن لك الأجر مرتين قال أجل ذلك كذلك وفي حديث أبي سعيد
أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أطيق أضع
يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر
الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله
وإن كان النبي ليبتلى بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما
تفرحون بالرخاء وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم إن عظم الجزاء
مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى
ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل
سوءا يجز به إن المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له كفارة
وروي هذا عن عايشة وأبي ومجاهد وقال أبو هريرة عنه عليه

الصلوة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة
ما من مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها
وقال في رواية أبي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم
ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه
وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه
كما تحات ورق الشجر وحكمة أخرى أودعها الله عز وجل في الأمراض
لأجسامهم وتعاقب الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى
نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة
السكرات بتقدم المرض وضعف النفس والجسم لذلك خلاف
موت الفجاءة وأخذه كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة
واللين والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن
مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة
من حيث أتتها الريح تكفؤها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ
بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله
معناه أن المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والأمراض راض بتصريفه
بين أقدار الله تعالى منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة
خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث

ما أتتها

ما أتتها فإذا أراح الله تعالى عن المؤمن رياح البلايا واعتدل
صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر
ربه عز وجل ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه
عليه فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله
ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة
ما له فيها من الأجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي
المرض أو شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة
جسمه كالأرزة الصماء حتى إذا أراد الله عز وجل هلاكه قصمه الله
لحينه على غرة وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه
حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا
ولعذاب الآخرة أشد كانجعاف الأرزة وكما قال الله تعالى
فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله تعالى في أعدائه
كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم
من أخذته الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة
وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما ذكر عن السلف رضي الله
عنهم أنهم كانوا يكرهون موت الفجاءة ومنه في حديث إبراهيم
كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب يريد موت الفجاءة

كره السلف موت الفجاءة

وحكمة ثالثة أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف
من نزول الموت فيستعد من أصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه عز
وجل ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد
فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى وقبل العباد ويؤدي
الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر
يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد
من نفسه وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل
وحديث الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله تعالى وعترته وبالأنصار
عيبته ودعا إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة
أو الله أعلم بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا وهكذا
سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا
الكفار لإملاء الله تعالى لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث
لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم
يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجاءة سبحان الله كأنه على غضب
المحروم من حرم وصيته وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاءة

راحة للمؤمن

راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر أو الفاجر وذلك لأن الموت يأتي
المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء
وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا وأذاها كما قال صلى الله عليه وسلم
مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد
ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا
يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت أشد شيء عليه وفراق
الدنيا أقطع أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا المعنى أشار
صلى الله عليه وسلم بقوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه **القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام**
فيمن تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم تسليما قال القاضي رضي الله
عنه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق
للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام
وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل منتقصه
من المسلمين وسابه قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وقال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى وما كان لكم
أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم

كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا أيها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك أن اليهود
لعنوا كانوا يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا سمعك واسمع منا
ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله تعالى المؤمنين عن
التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها
الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من
مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل لما فيه
من قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها
في لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمونها أنهم
لا يرعونه صلى الله عليه وسلم إلا برعايته لهم وهو عليه الصلوة والسلام
واجب الرعاية بكل حال وهو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني
بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن
أذاه إذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم
فقال لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا
يتأذى بإجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون
ذريعة إلى أذاه والإزراء به فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا
هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين

فحمى صلى الله عليه وسلم حمى أذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه
هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في
هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور
والصواب إن شاء الله تعالى وأن ذلك على طريق توقيره وتعظيمه وعلى
سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لأنه
قد كان الله تعالى منع من ندائه به بقوله عز وجل لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله
ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته أبي القسم بعضهم في بعض الأحوال
وقد روى أنس عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي
باسمه وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر فقال تسمون أولادكم محمدا ثم
تلعنونهم وروي أن عمر كتب إلى أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي
صلى الله عليه وسلم حكاه أبو جعفر الطبري وحكى محمد بن
سعد أنه نظر إلى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد
وصنع فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب ألا أرى محمدا صلى الله عليه
وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
وأراد أن يمنع الناس أكراما لهم بذلك أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء
عليهم السلام وغير أسماء جماعة تسموا بأسماء الأنبياء ثم أمسك

يدعونه بكنيته أبا القسم في بعض

والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل إطباق الصحابة
رضي الله عنهم على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بأبي القسم
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في ذلك لعلي وقد أخبر عليه الصلوة
والسلام أن ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم
محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت ابن قيس وغير واحد
وقال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وقد
فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الأول في بيان ما هو في حقه عليه الصلوة والسلام

سب أو نقص من تعريض أو نص اعلم وفقنا الله تعالى وإياك أن جميع
من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه
أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب
له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب
له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من
فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا
وكذلك من لعنه أو دعا عليه صلى الله عليه وسلم تسليما أو تمنى مضرة له أو
نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة
بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيره بشيء مما جرى

من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة أو
المعهودة لديه صلى الله عليه وسلم وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة
الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هلم جرا قال أبو بكر بن
المنذر أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم
يقتل وممن قال ذلك ملك بن أنس والليث وأحمد وإسحق وهو مذهب
الشافعي قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وهو مقتضى قول
أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله
قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم
لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن ملك وحكى
الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه أو برئ منه أو كذبه
صلى الله عليه وسلم وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة
وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد أو كفر
كما سنبينه في الباب الثاني إن شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة وقد ذكر غير واحد الإجماع
على قتله وتكفيره وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي بن أحمد
الفارسي إلى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه
قال محمد بن سحنون أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم

المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة
القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج إبرهيم بن حسين
بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد ملك ابن نويرة لقوله عن
النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال أبو سليمن الخطابي لا أعلم
أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما وقال ابن القسم
عن ملك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن ملك
في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم
يستتب قال ابن القاسم في العتبية أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه
يقتل وحكمه عند الأمة القتل كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره
وبره وفي المبسوطة عن عثمن بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من المسلمين قتل أو صلب حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه
حيا أو قتله ومن رواية أبي المصعب وابن أبي أويس سمعنا ملكا يقول
من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه
قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب
ملك أنه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين
من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وقال أصبغ يقتل على كل حال
أسر ذلك أو أظهره ولا يستتاب لأن توبته لا تعرف وقال عبد الله

بن عبد الحكم

بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم
يستتب وحكى الطبري مثله عن أشهب عن ملك وروى ابن وهب
عن ملك من قال أن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى
الله عليه وسلم وسخ أراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا أجمع العلماء
على أن من دعا على نبي من الأنبياء عليهم السلام بالويل أو بشيء من المكروه
أنه يقتل بلا استتابة وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله
عليه وسلم الجمال يتيم أبي طالب بالقتل وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل
رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح
الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار
في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب
سليم الإيمان وقال أحمد بن أبي سليمن صاحب سحنون من قال أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر
كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول
ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمن للذي سأله اشهد
عليه وأنا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب ابن الربيع لأن
ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ولا موقرٍ له فوجب إباحة دمه وأفتى أبو عبد الله بن عتاب
في عشّارٍ قال لرجلٍ أدّ واشكُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن سألتُ
أو جهلتُ فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وأفتى فقهاء
الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه
بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إيّاه صلى الله عليه وسلم أثناء مناظرته
باليتيم وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصدًا ولو قدر على الطيبات
أكلها إلى أشباهٍ لهذا وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل
إبرهيم الفزاري وكان شاعرًا متفننًا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس
القاضي أبي العباس ابن طالب للمناظرة فرُفعت عليه أمورٌ منكرة من هذا
الباب في الاستهزاء بالله تعالى وأنبيائه ونبيّنا صلوات الله عليه وعليهم
وسلامه فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه
فطُعن بالسكين وصُلب منكسًا ثم أُنزل وأُحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين
أنه لما رُفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة
فكان آيةً للجميع وكبّر الناس وجاء كلبٌ فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثًا عنه عليه الصلوة
والسلام أنه لا يلغ الكلب في دم مسلمٍ وقال القاضي أبو عبد الله
ابن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هُزم يُستتاب فإن تاب

والاقتل

والا قتل لأنه تنقّص إذ لا يجوز عليه ذلك في خاصّته إذ هو على بصيرةٍ من
أمره ويقينٍ من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك
وأصحابه أن من قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه نقصٌ قُتل دون
استتابةٍ وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي
صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقصٍ معرِّضًا أو مصرّحًا وإن قلّ فقتله واجبٌ
فهذا الباب كلّه مما عدّه العلماء سبًّا وتنقّصًا يجب قتل قائله لم يختلف
في ذلك متقدّمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا
إليه ونبيّنه بعد وكذلك أقول حكم من غمصه أو عيّره برعاية الغنم
أو النسيان أو السهو أو السحر أو ما أصابه من جرحٍ أو هزيمةٍ لبعض
جيوشه أو أذى من عدوه أو شدّةٍ في زمنه أو بالميل إلى نسائه فحكم
هذا كلّه لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في
ذلك ويأتي ما يدلّ عليه

فصل في الحجة في إيجاب قتل

من سبّه أو عابه صلى الله عليه وسلم تسليمًا فمن القرآن لعنه الله تعالى
لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه صلى الله عليه وسلم
ولا خلاف في قتل من سبّ الله تعالى وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك

خ ق
بخاصة نفسه

خ ق
فإن قتله

خ ق
إن شاء الله تعالى

خ ق
زمانه

قال الحلبي يقال ولغ الكلب والسبع بفتح اللام في الماضي ويكسرها
والظاهر أن اللام في المضارع مفتوح الكلام في اللغتين انتهى
وفي القاموس ولغ الكلب وفي الشرب دمه وبه يلغ كيهب وولغ
كورث ووجل شرب ما فيه بأطراف لسانه انتهى ولا يخفى أنه
[illegible]

فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا
تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد
يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله أي
لعنهم الله ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون
القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله تعالى ونبيه صلى الله
عليه وسلم أشد من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا
من قضائه ولم يسلم له صلى الله عليه وسلم ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله
أن تحبط أعمالكم ولا يحبط العمل إلا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى وإذا جاؤك
حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال
الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب أليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض
ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن إلى قوله قد كفرتم بعد
إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله وأما الإجماع
فقد ذكرناه وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون

عن الشيخ

عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال حدثنا أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر
ابن حيوية حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة
حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده عن محمد
بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه وفي
الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله من
لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون
دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير
الإشراك بل للأذى وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك أمره يوم الفتح
بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم
وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال من
يكفيني عدوي فقال خلد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله
وكذلك لم يقل جماعة ممن يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر
ابن الحرث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده
فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن
ابن عباس أن عقبة ابن أبي معيط نادى يا معاشر قريش ما لي أقتل من بينكم

قال الحافظ جمال الدين المزي المعروف فتح الله في مدته ليس محمد بن الحسن بن زبالة بين محمد والحسن ابن والله تعالى أعلم

خ ق
يا معشر

صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله
وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير
ويروى أيضا أن امرأة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من
يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروي أن رجلا كذب
على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه وروى
ابن قانع أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله
عليه وسلم وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه
أن امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع
يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لأمرتك
بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت امرأة
من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها
أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد تسب
النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كان ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتسبه فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم

بذلك فأهدر

ويروى ح

حاشية: بنو خطمة قبيلة من الأنصار

وتشتمه ح

بذلك فأهدر دمها وفي حديث أبي برزة الأسلمي كنت يوما جالسا
عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى
القاضي إسماعيل وغير واحد من الأئمة في هذا الحديث أنه سب أبا بكر ورواه
النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول
الله دعني أضرب عنقه لسبه إياك فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف
عليه أحد فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه
وسلم بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز
إلى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب
عمر إليه أنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل
الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له أن فقهاء
العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة
بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء عليهم السلام قتل ومن شتم أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله
عنه كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد ممن ذكر مناقب مالك
ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين

وروى ح

من أصحاب مناقب ملك ح

أفتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم
يشتهر أو من لم يوثق بفتواه أو يميل به هواه أو يكون ما قاله يحمل على غير
السب فيكون الخلاف هل هو سب أم غير سب أو يكون رجع وتاب عن سبه
فلم يقله لمالك على أصله وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه
ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار أن من سبه أو تنقصه صلى الله
عليه وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك
والأوزاعي وبه قال الثوري وأبو حنيفة والكوفيون والقول الآخر
أنه دليل على الكفر فيقتل حدا وإن لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون متماديا
على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله إما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه أو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها
دليل استحلاله لذلك وهو كفر أيضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى
في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
إسلامهم قال أهل التفسير هي قولهم إن كان ما يقول محمد حقا
لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد إلا قول
القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها
الأذل وقد قيل إن قائل مثل هذا إن كان مستترا به أن حكمه حكم

يقتله لمالك

ويدل عليه أيضا أن

الزنديق

الزنديق يقتل ولأنه قد غير دينه وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير
دينه فاضربوا عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية
على أمته وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم
القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره صلى الله عليه وسلم فصل
فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له
السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة
ما أريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد
أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه
في أكثر الأحيان فاعلم وفقنا الله تعالى وإياك أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان أول الإسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم إليه
ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لأصحابه
إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ❁ ويقول يسروا ولا تعسروا
وسكنوا ولا تنفروا ❁ ويقول لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه
وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي
عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر
لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان وبذلك أمره الله تعالى
فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح

يتألف

إن الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي صح
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتأليف أول
الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر وأظهره الله تعالى على الدين كله
قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح
ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك
صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان به ممن كان يؤذيه ككابن
الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة وكذلك ندر دم جماعة سواهم
ككعب ابن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم
ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم
على الظاهر وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القايل منهم خفية
ومع أمثاله ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى
الإسلام وتوبتهم فيصبر عليه الصلوة والسلام على هناتهم وجفوتهم
كما صبر أولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا أظهر
وأخلص سرا كما أخلص جهرا ونفع الله تعالى بعد بكثير منهم وقام منهم للدين
وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب بعض
أئمتنا رحمهم الله تعالى عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه

الصلوة والسلام من أقوالهم

الصلوة والسلام من أقوالهم ما رفع وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة
الشهادة في هذا الباب من صبي أو عبد أو امرأة والدماء لا تستباح إلا السام
بعدلين وعلى هذا يحمل أمر اليهود في السلام وأنهم لووا به ألسنتهم
ولم يبينوه ألا ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم
تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على فعلهم وقلة صدقهم
في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين فقال إن اليهود
إذا سلم أحدهم فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض
أصحابنا البغداديين إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فلذلك
فيهم ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلهذا تركهم صلى الله عليه وسلم
وأيضا فإن الأمر كان سرا وباطنا وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن
كان من أهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالإسلام لم
يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من
يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار الدين بحكم ظاهرهم
فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما أسروا
في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وأرجف المعاند وارتاع
من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم
وظن العدو الظالم أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة وقد رأيت

معنى ما حررته منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله تعالى ولهذا قال عليه الصلوة
والسلام لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال أولئك الذين نهاني
الله عن قتلهم وهذا بخلاف أجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود
الزنى والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال
محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقاله القاضي أبو الحسن ابن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا
وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال معناه إذا أظهروا النفاق
وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها
النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها وقال
بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وإنما رآها
من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم
ير ذلك سبا ورأى أنه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك
لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم ليس فيه تصريح
سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر

وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسآم والسآمة الملال وهذا دعاء
على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض
علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى قال
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه عليه
الصلوة والسلام سواء وقد قال القاضي أبو محمد ابن نصر مجيبا عن هذا
الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي
من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل
والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة
والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه
ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه الصلوة والسلام
على سحره وسمه وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله تعالى عليهم وأذن
له في قتل من حينه منهم وأنزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم
وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير وحكم
فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم وأورثهم أرضهم وديارهم

وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فإن قلت
فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلوة والسلام
ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه وكذبه فإن هذه من حرمات
الله تعالى التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء أدب
أو معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه
لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة
كجبذ الأعرابي بردائه حتى أثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد
الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر
زوجيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا أن
أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره وأما غيره
من الناس فيجوز بفعل مباح ما لا يجوز للإنسان فعله وإن تأذى به غيره
واحتج بعموم قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث فاطمة رضي الله عنها إنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها ألا
وإني ما أحرم ما أحل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله
عند رجل أبدا أو يكون هذا مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك إسلامه كعفوه
عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية

التي سمته

التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما بلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين
فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل
وبالله التوفيق **فصل** قال القاضي رحمه الله تقدم الكلام
في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال
فهذا وجه بين لا إشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو
أن يكون القائل لما قال في جهته عليه الصلوة والسلام غير قاصد
للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه الصلوة والسلام
بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي
ما يجب له مما هو في حقه عليه الصلاة والسلام نقيصة مثل أن ينسب إليه
إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغض
من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو يكذب بما اشتهر
من أمور أخبر بها عليه الصلاة والسلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد
لرد خبره أو يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب
في جهته وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه إما
لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة
وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم
الوجه الأول القتل دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة

ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته
سليما إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون
على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه
وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي
العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد
لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن
شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا
ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل
وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم من
زوال عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه
وعلى هذا ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على
هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد
لأبي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت
حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا
عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل

الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به أو ينفي نبوته
أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر

غير ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحا
بذلك كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى
القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن
كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره وإن كان مستسرا بذلك
فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال
أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم أو كذب به فهو
مرتد حلال الدم إلا أن يرجع وقال ابن القسم في المسلم إذا قال
إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل
قال ومن كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين
فهو بمنزلة المرتد وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب
وكذلك فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه وقاله سحنون وقال ابن القسم
دعا إلى ذلك سرا أو جهرا قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر
بكتاب الله مع الفرية على الله تعالى وقال أشهب في يهودي تنبأ
أو زعم أنه أرسل إلى الناس أو قال بعد نبيكم نبي أنه يستتاب إن
كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك لأنه مكذب للنبي صلى الله عليه
وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة
والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله

عليه وسلم عن الله عز وجل فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه
وسلم كان حكمه عند الأمة القتل وقال أحمد بن أبي سليمن صاحب
سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم أسود قتل لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم بأسود وقال نحوه أبو عثمن الحداد لو قال أنه مات قبل أن يلتحي
أو أنه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لأن هذا نفي قال حبيب بن ربيع
تبديل صفته صلى الله عليه وسلم ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه
الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة إن شاء الله تعالى

خ ويلفظ من القول مشكل

فصل الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول
بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره أو يتردد في المراد به
من سلامته من المكروه أو شره فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر
ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ
الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف أئمتنا في رجل أغضبه غريمه
فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة
الذين يصلون عليه قال لا إذا كان على ما وصفت من الغضب لأنه لم

يكن مضمرا

للشتم

يكن مضمرا الشتم وقال أبو إسحق البرقي وأصبغ بن الفرج لا يقتل
لأنه إنما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لأنه لم يعذره بالغضب
في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن
معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملئكة عليهم
السلام ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على أن مراده
الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي محمد فحمل قوله
وسبه لمن يصلي عليه الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى
قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحرث بن مسكين القاضي
وغيره في مثل هذا إلى القتل وتوقف أبو الحسن القابسي في قتل رجل
قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده بالقيود
والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده
هل أراد أصحاب الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل
فيكون أمره أخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من
المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل عليهم
الصلوة والسلام من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه إلا
بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد من إنعام النظر فيه هذا معنى
كلامه وحكي عن أبي محمد بن أبي زيد فيمن قال لعن الله العرب

خ أمره

خ إمعان

ولعن الله بني إسرايل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما
أردت الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان **وكذلك**
أفتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه • وفيمن
لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به أنه إن كان يعذر بالجهل
وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد
بظاهر حاله سب الله سبحانه ولا سب رسوله عليه الصلوة والسلام وإنما
لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسألة المتقدمة
ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن
ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك أنه يدخل
في مثل هذين العددين من آبائه وأجداده جماعة من الأنبياء ولعل بعض
هذا العدد ينقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهله
قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم أنه قصد سب من في آبائه من الأنبياء
على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله
بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله
عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله أو ولده على علم منه أنه
من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي
تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم

وقد رأيت لأبي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله إلى آدم أنه إن
ثبت ذلك عليه قتل **قال القاضي** رضي الله عنه وقد كان اختلف
شيوخنا رحمهم الله تعالى فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال
له تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو
إسحق إبرهيم بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ **وكان** القاضي
أبو محمد ابن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون
خبرا عمن اتهمهم من الكفار **وأفتى** فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج
بنحو هذا وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه بعد
على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن
ثم أطلقه **وشاهدت** شيخنا القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى أيام قضائه
أتى برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله وقال
له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من
الناس فأمر به إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب
بدينه فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه
فصل الوجه الخامس أن لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا
لكنه ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله عليه
الصلوة والسلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل

والحجة لنفسه أو لغيره أو على المتشبه به أو عند هضيمة نالته أو غضاضة
لحقته ليس على سبيل التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه
أو لغيره أو سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم أو
قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل إن قيل في السوء فقد
قيل في النبي أو إن كذبت فقد كذب الأنبياء وإن أذنبت فقد أذنبوا
أو أنا أسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله تعالى ورسله
أو قد صبرت كما صبر أولو العزم من الرسل أو كصبر أيوب أو قد صبر
نبي الله على عداه وحلم على أكثر مما صبرت وكقول المتنبي

أنا في أمة تداركها الله ❀ غريب كصالح في ثمود

ونحوه من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول
المعري ❀ كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما من فقير
على أن آخر البيت شديد وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي
عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله ❀

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي
صلى الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت

الممدوح

الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذا أشد ونحو منه قول الآخر

وإذا ما رفعت راياته خفقت بين جناحي جبرئين ❀

وقول الآخر من أهل العصر ❀

فر من الخلد واستجار بنا ❀ فصبر الله قلب رضوان

وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون ❀

كأن أبا بكر أبو بكر الرضى وحسان حسان وأنت محمد

إلى أمثال هذا وإنما كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف
أمثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم
فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم فيه
بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء
وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان
المعري بل قد خرج كثير من كلامهما إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح
الكفر وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا
أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء
عليهم السلام نقصا ولست أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها
إزراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء

وَلا عزّ زخطوه الكرامة حين شبّه من شبّه فى كرامة نالها أو معرّة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو إعلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظّم الله تعالى خطره وشرّف قدره وألزم توقيره وبرّه ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا أن درئ عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به

وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله

فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب

وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبي أن مما أخذ عليه أيضا وكفر فيه أو قارب قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها ... خلقا وخلقا كما قد الشراكان

وقد أنكروا أيضا عليه قوله

كيف لا يدنيك من أمل ... من رسول الله من نفره

لأن حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا يضاف هو فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق

القتبي

حاشية: قال ابن قتيبة في أدب الكاتب أمه بطن من اللخن وهو النتن يقال لخن السقاء إذا تغيرت رائحته

الفتيى وعلى هذا المنهج جاءت فتيى إمام مذهبنا مالك بن أنس رضي الله عنه وأصحابه ففي النوادر من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عيّر رجلا بالفقر فقال تعيّرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرّض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله تعالى وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عند ما أنكر من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه

القايل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة ملك الملك المطيع
لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب ملك فيكون أخف وما كان
ينبغي له التعرض بمثل هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج
بصفة ملك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك
ولو قصد ذمه لقتل **وقال** أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير
قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان
النبي صلى الله عليه وسلم أميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق
الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن القابسي أما إطلاق
الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وكون النبي صلى الله عليه وسلم أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة فيه
وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا
استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله تعالى يترك لأن قوله لا ينتهي
به إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف
عنه **ونزلت** أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا
القاضي أبا محمد ابن منصور رحمه الله تعالى في رجل تنقصه آخر بشيء فقال
له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي
صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب

وكان بعض

وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله **فصل الوجه السادس** أن
يقول القايل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في
صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة وجوه
الوجوب والندب والكراهة والتحريم **فإن** كان أخبر به على وجه
الشهادة والتعريف بقايله والإنكار والإعلام بقوله والتنفير منه
والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه
في كتاب أو مجلس على جهة الرد له والنقض على قايله والفتيا بما يلزمه
وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي
عنه فإن كان القايل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية
الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله
ووجب على من بلغه ذلك من أيمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد
قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين **وكذلك**
إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته
لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق
النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وإن لم يكن القايل بهذه السبيل
فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته

عن الأذى حيًا وميتًا مستحق على كل مؤمن لكن إذا قام بهذا من ظهر
به الحق وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي
الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد أجمع السلف
على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل أبو محمد بن
أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه ألا يؤدي
شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن علم
أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد
ويلزمه ذلك وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها
مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء
ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض
المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى
مقالات المفترين عليه وعلى رسله عليهم السلام في كتابه على وجه
الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم
بما تلاه سبحانه علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف
والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في
كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها وإن كان ورد

لأحمد بن حنبل

لأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد
صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق فهذه الوجوه
السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء
بمنصبه العلي على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث الناس
ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض
في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع والعقوبة
من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار
ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث
هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي
عن العودة إليه وإن قوم ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان
لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد وقد حكي أن رجلا
سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه
فقال إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك
رحمه الله تعالى على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله
وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره أو كانت
تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف
له أو التحفظ لمثله وطلبه ورواية أشعار هجوه عليه الصلاة والسلام

وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى
غيره فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القسم
ابن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر
وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية
ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون
محو ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا
من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته
إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الأول
ليروا نقمة الله تعالى من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه وهذا أبو عبيد
القسم بن سلام رحمه الله تعالى قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد
به من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه
استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره
فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم **فصل**
الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف
في جوازه عليه وما يطرأ من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه
أو يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله تعالى على شدته من مقاساة أعدائه
وأذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمانه

ومر عليه

ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم
ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم فهذا
فن خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء
ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب أن يكون
الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق
فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقهه أو يخشى به فتنته فقد كره بعض
السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص
لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن **فقد قال** صلى الله عليه
وسلم مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال
ما من نبي إلا وقد رعى الغنم وأخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام
وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به
الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للأنبياء
عليهم السلام حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم إلى كرامته وتدريب
برعايتها لسياسة أممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في
الأزل ومتقدم العلم **وكذلك** قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته
على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه
تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله تعالى قبله وعظيم

منته عندهم ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته إذ أظهره
الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من أشرافهم شيئا
فشيئا ونمى أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك
كثير من الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده إياه بنصره وبالمؤمنين
وألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع
متقدمين لحسب كثير من الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه
ولهذا قال هرقل حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال
له ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه وإذ اليتم من صفته
صلى الله عليه وسلم وأحد علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم
السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب أرميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن
لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب وكذلك إذا وصف بأنه أمي كما
وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته
إذ معجزته العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في
القسم الأول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم
يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس فيه
ذلك نقيصة إذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وإنما هي آلة لها

ووا سطة

وواسطة موصلة إليها غير مرادة في نفسها فإذا حصلت الثمرة والمطلوب
استغني عن الواسطة والسبب والأمية في غيره نقيصة لأنها سبب الجهالة
وعنوان الغباوة فسبحان من باين أمره من أمر غيره وجعل شرفه
فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه وإخراج
حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه
منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا إلى سائر ما روي من أخباره
وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته
نفسه في أموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها
وخطيرها لسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله
ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن أورد شيئا منها مورده وقصد بها
مقصده كان حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره ○
وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره
أشكال يقتضي أمورا لا تليق بهم بحال وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال
فلا يجب أن يتحدث منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت
ورحم الله تعالى مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة
للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا

فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس
وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فأكثرها ليس تحته عمل
وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة رحمهم الله تعالى أنهم
كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها
على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته
ومجازه واستعارته وتبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء
من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب
إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من
آمن به ومنهم من كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب أن لا يذكر
منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه عليهم السلام ولا يتحدث بها
ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن
تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعاني واهية الإسناد **وقد أنكر**
الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث
ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق
بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على
ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها

وتبليغه

الاشتغال

من أصلها

من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس **فصل ومما يجب**
على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من
حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم
في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الأحوال الواجب
من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات
الأدب عند ذكره **فإذا** ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق
والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم
لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته **وإذا** أخذ في أبواب العصمة وتكلم على
مجاري أعماله وأقواله عليه الصلاة والسلام تحرى أحسن اللفظ وأدب
العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة
الجهل والكذب والمعصية **فإذا** تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه
الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة
ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة **وإذا** تكلم على العلم قال هل يجوز ألا
يعلم إلا ما علم وهل يمكن ألا يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى
إليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته **وإذا** تكلم في الأفعال
قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة بعض
الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل

كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلوة والسلام
وما يجب له من تعزير وإعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا
نفسح منه ولم أستصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله لأجل
ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله وإذا
كان مثل هذا بين الناس مستعملاً في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه عليه الصلوة والسلام أوجب والتزامه آكد فجودة
العبارة تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على
جهة النفي عنه صلى الله عليه وسلم والتنزيه له فلا حرج في تسريح العبارة
وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه
ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه
وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف
تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم
الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن
حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب
فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه
بمن كفر به سبحانه لا إله إلا هو العلي العظيم الباب الثاني

في حكم سابه

في حكم سابه صلى الله عليه وسلم وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته
وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه
الصلوة والسلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله أو تخيير
الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم
أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا
لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته
ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول
وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء
تائبا من قبل نفسه لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال
الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله تعالى إذا أقر بالسب وتاب منه
وأظهر التوبة قتل بالسب إذ هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله
وأما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه
القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو
الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال أقتله بإقراره
لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه
فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها بمجيئه

لأنه موحد
في مثله

فكأننا وثقنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله تعالى وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم
أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله
عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين
والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحق وأحمد
لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف
وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب يستتاب قال محمد بن سحنون
ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلوة والسلام لأنه
لم ينتقل من دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه
لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر وقال القاضي أبو محمد
بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله
تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر
والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه الله تعالى بنبوته والباري
تعالى وتقدس منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس فتلحق المعرة بجنسه
وليس سبه عليه الصلوة والسلام كالارتداد المقبول فيه التوبة
لأن الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت
توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد

يقتل حين ارتداده أو يقذف فإن توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وأيضا فإن توبة المرتد إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنى أو سرقة وغيرها
ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع إلى تعظيم
حرمته وزوال المعرة به وذلك لا يسقطه التوبة قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر
ولكن بمعنى الإزراء والاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار إنابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله تعالى أعلم بسريرته وبقي حكم السب
عليه وكلام شيوخنا رحمهم الله مبني على القول بقتله حدا لا كفرا
وقال أبو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
عن الإسلام قتل ولم يستتب لأن السب من حقوق الآدميين التي لا
تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا
لا كفرا وهو يحتاج إلى تفصيل وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك
ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل العلم فقد صرحوا به
أنه ردة قالوا ويستتاب منها فإن تاب نكل وإن أبى قتل فحكم له بحكم
المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الأول أشهر وأظهر لما قدمناه
ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب
القتل فيه حدا وإنما يقول ذلك مع فصلين إما مع إنكاره ما شهد عليه

من جنس

يقتل حين

وغيرها

به وإظهاره الإقلاع والتوبة عنه فيقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في
حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله تعالى من حقه صلى الله عليه
وسلم وأجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر
أو تاب فإن قيل فكيف تثبتون عليه الكفر وتشهدون عليه بكلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وإن أثبتنا له
حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة وإنكاره
ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلا ومعصية وأنه مقلع عن ذلك
نادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر على بعض الأشخاص وإن لم يثبت
له خصائصه كقتل تارك الصلوة وأما من علم أنه سبه معتقدا لاستحلاله
فلا شك في كفره بذلك وكذلك إن كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه
أو تكفيره ونحوه فهذا مما لا إشكال فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل
توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله
تعالى المطلع على صحة إقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة
واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك
حرمة الله تعالى وحرمة نبيه عليه الصلوة والسلام يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها وأجر اختلافهم في الوراثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم

ويشهد

الموارثة

ان شاء الله

أن شاء الله تعالى **فصل** إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف
فيها على الاختلاف في توبة المرتد إذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف في
وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب
وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة رضي الله عنهم على تصويب قول عمر
في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمن وعلي وابن مسعود
رضي الله عن جميعهم وبه قال عطاء بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك
وأصحابه والأوزاعي والشافعي وأحمد ابن حنبل وإسحق وأصحاب الرأي
وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في أحد الروايتين عنه أنه لا
يستتاب وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكره عن معاذ وأنكره سحنون
عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول أهل الظاهر قالوا
وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه
وسلم فاقتلوه وحكى أيضا عن عطاء إن كان ممن ولد في الإسلام لم
يستتب ويستتاب الإسلامي وجمهور العلماء على أن المرتد والمرتدة
في ذلك سواء وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق
وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يقتل النساء
في الردة وبه قال أبو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والأنثى
في ذلك سواء وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه

أنه يستتاب ثلثة أيام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولي
الشافعي وقول أحمد وإسحق واستحسنه ملك وقال لا يأتي الاستظهار
إلا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد
يريد في الاستيناء ثلثا وقال ملك أيضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر
رضي الله عنه يحبس ثلثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب وإلا قتل
وقال أبو الحسن بن القصار وفي تأخيره ثلثا روايتان عن ملك هل
ذلك واجب أو مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلثا أصحاب الرأي
وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه استتاب امرأة فلم تتب
فقتلها وقاله الشافعي مرة إن لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني
وقال الزهري يدعى إلى الإسلام ثلث مرات فإن أبى قتل وروي
عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب أبدا
وبه أخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة أنه يستتاب
ثلث مرات في ثلثة أيام أو ثلث جمع في كل يوم أو جمعة مرة وفي كتاب محمد
عن ابن القسم يدعى المرتد إلى الإسلام ثلث مرات فإن أبى ضربت عنقه
واختلف على هذا هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب
أم لا فقال ملك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من
الطعام بما لا يضره وقال أصبغ يخوف أيام الاستتابة بالقتل

ويعرض عليه

ويعرض عليه الإسلام وفي كتاب أبي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الأيام
ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال أصبغ وأي المواضع حبس فيها من
السجون مع الناس أو وحده إذا استوثق منه سواء ويوقف ماله خيفة
أن يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب أبدا كلما رجع
وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات
أو خمسا قال ابن وهب عن ملك يستتاب أبدا كلما رجع وهو قول
الشافعي وأحمد وقاله ابن القسم وقال إسحق يقتل في الرابعة وقال
أصحاب الرأي إن لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وإن تاب ضرب
ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خضوع التوبة قال
ابن المنذر ولا نعلم أحدا أوجب على المرتد في المرة الأولى أدبا إذا رجع
وهو على مذهب ملك والشافعي والكوفي **فصل** قال القاضي
رحمه الله تعالى هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من إقرار
أو عدول لم يدفع فيهم فأما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه
الواحد أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل
ويتسلط عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه
وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز

بالسفه والمجون فمن قوي أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق في
السجن والشد في القيد الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل
لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره
وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد
عن مالك والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب
محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وأفتى
أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه
شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى
تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل
فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ويستطال سجنه
ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن
حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء
إلا بالأمر الواضح وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب
عقوبة شديدة فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما
أو جرحتهما ما أسقطهما ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط

الحكم عنه

الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون
الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم
عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع
اجتهاد والله ولي الإرشاد **فصل** قال القاضي رحمه الله هذا
حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو
وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم
لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا وهو قول عامة العلماء إلا أبا
حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل
ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل
بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر الآية ويستدل أيضا عليه
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما
لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا أهل حرب
يقتلون بكفرهم وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عليهم
من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك
حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به

وردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهر إلا مخالفة للأمر ونقضا للعهد فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه إذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فأن لا نقبل توبة الكافر أولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء

عليهم السلام قتل إلا أن يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون وأصبغ لا يقال له أسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين عليهم السلام من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك إلا أن يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضي الله عنهما أن راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر رضي الله عنه فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما نبينا موسى أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليه لأن الله تعالى أقرهم على مثله وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم وإذا قال النصراني ديننا خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الأدب الموجع والسجن الطويل قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات ابن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة

الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم
الأنبياء عليهم السلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا
ضربت عنقه إلا أن يسلم قال محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد
على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا فإذا قتل واحدا قتلناه وإن كان
من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال
سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز
لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه
وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة ۞
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن
أبيه مخالف لقول ابن القسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله
ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى أبو المصعب
الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف
علي فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر برجله
وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل أبو المصعب عن نصراني قال
عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القسم سألنا مالكا عن نصراني
بمصر شهد عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة فهو الآن

في الجنة ماله

في الجنة ماله لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه
استراح الناس منه قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال ولقد كدت أن لا
أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوط من
شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى للإمام أن
يحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء أحرقهم
بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه ولقد كتب إلى مالك من مصر وذكر مسئلة
ابن القسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل وأن تضرب عنقه
فكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار فقال إنه لحقيق
بذلك وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت
الصحيفة بذلك فقتل وحرق وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة
سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة
عيسى لله تعالى وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول
إسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين منهم
القابسي وابن الكاتب وقال أبو القسم ابن الجلاب في كتابه من سب
الله تعالى ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي أبو
محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه بإسلامه وقال
ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي إسلامه

من نبي

وإنما تسقط عنه بإسلامه حدود الله تعالى فأما حد القذف فحق للعباد كان
ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
على غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين فتأمله

فصل

في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة
عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم
فذهب سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله
عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة وقال أصبغ ميراثه لورثته من
المسلمين إن كان مستترا بذلك وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه
للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال أبو الحسن القابسي
إن قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره
يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك
لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل إذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر
أحكامه حكم الإسلام ولو أقر بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة
منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى
عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول

الزنديق

مستترا

الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر
مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في
الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القسم في العتبية ولجماعة من أصحاب
مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن كفره مثله وقال ابن القسم وحكمه
حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد ولا تجوز
وصاياه ولا عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه وقال أبو محمد
بن أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه
فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث وقال أبو محمد فيمن سب الله عز وجل
ثم مات ولم تعدل عليه بينة أو لم تقبل أنه يصلى عليه وروى أصبغ
عن ابن القسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه للمسلمين وقال بقول
مالك إن ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وأبو ثور
وابن أبي ليلى واختلف فيه عن أحمد وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم
والأوزاعي والليث وإسحق وأبو حنيفة ترثه ورثته من المسلمين وقيل
ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في ارتداده فللمسلمين
قال القاضي رحمه الله تعالى وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه حسن

الارتداد

بين وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي ملك في
ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة
فأنكرها أو اعترف بذلك وأظهر التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير
واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في
العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه وقال
به أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب
ابن القاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا
يورث وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث قال وكذلك كل من أسر كفرا
فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام وسئل أبو القسم ابن الكاتب عن
النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه
أم المسلمون فأجاب بأنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا
توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله
واختصاره

الباب الثالث في حكم من سب الله سبحانه وملائكته

وأنبياءه عليهم الصلوة والسلام وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم
وأزواجه وصحبه رضي الله عنهم أجمعين لا خلاف أن ساب الله سبحانه
من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القسم

في المبسوط

في المبسوط ولم يستتب وكتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن
ملك في كتاب إسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب
إلا أن يكون افترى على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب
وإن لم يظهره لم يستتب ۞ وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله
وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب
حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم
يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه
القاضي ابن نصر عن المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه في رجل
لعن رجلا ولعن الله تعالى فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني
فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله تعالى
فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هرون بن حبيب أخي عبد
الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات
منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت
أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله فأفتى إبرهيم بن حسين بن خالد
بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله والتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح
وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبرهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمن
القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس

وَالشِّدَّةَ فِي الأَدَبِ لِاحْتِمَالِ كَلَامِهِ وَصَرْفِهِ إِلَى التَّشَكِّي **فَوَجْهُ** مَنْ قَالَ
فِي سَابِّ اللهِ سُبْحَانَهُ بِالِاسْتِتَابَةِ أَنَّهُ كُفْرٌ وَرِدَّةٌ مَحْضَةٌ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهَا حَقٌّ
لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى فَأَشْبَهَ قَصْدَ الْكُفْرِ بِغَيْرِ سَبِّ اللهِ تَعَالَى وَإِظْهَارَ الِانْتِقَالِ
إِلَى دِينٍ آخَرَ مِنَ الأَدْيَانِ الْمُخَالِفَةِ لِلْإِسْلَامِ **وَوَجْهُ** تَرْكِ اسْتِتَابَتِهِ أَنَّهُ لَمَّا
ظَهَرَ مِنْهُ ذَلِكَ بَعْدَ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ قَبْلُ اتَّهَمْنَاهُ وَظَنَنَّا أَنَّ لِسَانَهُ
لَمْ يَنْطِقْ بِهِ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَقِدٌ لَهُ إِذْ لَا يَتَسَاهَلُ فِي هَذَا أَحَدٌ فَحُكِمَ لَهُ بِحُكْمِ
الزِّنْدِيقِ وَلَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ وَإِذَا انْتَقَلَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ وَأَظْهَرَ السَّبَّ
بِمَعْنَى الِارْتِدَادِ فَهَذَا قَدْ أَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ بِخِلَافِ
الْأَوَّلِ الْمُتَمَسِّكِ بِهِ وَحُكْمُ هَذَا حُكْمُ الْمُرْتَدِّ يُسْتَتَابُ عَلَى مَشْهُورِ مَذَاهِبِ
أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ قَبْلُ وَذَكَرْنَا الْخِلَافَ
فِي فُصُولِهِ

فَصْلٌ

وَأَمَّا مَنْ أَضَافَ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ
لَيْسَ عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ وَلَا الرِّدَّةِ وَقَصْدِ الْكُفْرِ وَلَكِنْ عَلَى طَرِيقِ التَّأْوِيلِ
وَالِاجْتِهَادِ وَالْخَطَإِ الْمُفْضِي إِلَى الْهَوَى وَالْبِدْعَةِ مِنْ تَشْبِيهٍ أَوْ نَعْتٍ بِجَارِحَةٍ
أَوْ نَفْيِ صِفَةِ كَمَالٍ **فَهَذَا** مِمَّا اخْتَلَفَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ فِي تَكْفِيرِ قَائِلِهِ وَمُعْتَقِدِهِ
وَاخْتَلَفَ قَوْلُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي قِتَالِهِمْ إِذَا تَحَيَّزُوا
فِئَةً وَأَنَّهُمْ يُسْتَتَابُونَ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الْمُنْفَرِدِ
مِنْهُمْ فَأَكْثَرُ قَوْلِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ تَرْكُ الْقَوْلِ بِتَكْفِيرِهِمْ وَتَرْكُ قَتْلِهِمْ

العلماء خ

واجتهاد الخطأ خ على

والمبالغة

وَالْمُبَالَغَةُ فِي عُقُوبَتِهِمْ وَإِطَالَةُ سَجْنِهِمْ حَتَّى يَظْهَرَ إِقْلَاعُهُمْ وَتَسْتَبِينَ تَوْبَتُهُمْ
كَمَا فَعَلَ عُمَرُ بِصَبِيغٍ **وَهَذَا** قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَوَّازِ فِي الْخَوَارِجِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ
بْنِ الْمَاجِشُونِ وَقَوْلُ سَحْنُونٍ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُ مَالِكٍ فِي الْمُوَطَّإِ
وَمَا رَوَاهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَجَدِّهِ وَعَمِّهِ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي الْقَدَرِيَّةِ يُسْتَتَابُونَ
فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا **وَقَالَ** عِيسَى عَنِ ابْنِ الْقَاسِمِ فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنَ الْإِبَاضِيَّةِ
وَالْقَدَرِيَّةِ وَشِبْهِهِمْ مِمَّنْ خَالَفَ الْجَمَاعَةَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالتَّحْرِيفِ لِتَأْوِيلِ
كِتَابِ اللهِ تَعَالَى يُسْتَتَابُونَ أَظْهَرُوا ذَلِكَ أَوْ أَسَرُّوهُ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا
وَمِيرَاثُهُمْ لِوَرَثَتِهِمْ وَقَالَ مِثْلَهُ أَيْضًا ابْنُ الْقَاسِمِ فِي كِتَابِ مُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ الْقَدَرِ
وَغَيْرِهِمْ قَالَ وَاسْتِتَابَتُهُمْ أَنْ يُقَالَ لَهُمُ اتْرُكُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَمِثْلُهُ
لَهُ فِي الْمَبْسُوطِ فِي الْإِبَاضِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبِدَعِ قَالَ وَهُمْ مُسْلِمُونَ
وَإِنَّمَا قُتِلُوا لِرَأْيِهِمُ السُّوءِ قَالَ وَبِهَذَا عَمِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ **وَقَالَ**
ابْنُ الْقَاسِمِ مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا اسْتُتِيبَ فَإِنْ تَابَ
وَإِلَّا قُتِلَ وَابْنُ حَبِيبٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا يَرَى تَكْفِيرَهُمْ وَتَكْفِيرَ أَمْثَالِهِمْ
مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ **وَقَدْ** رُوِيَ أَيْضًا عَنْ سَحْنُونٍ مِثْلُهُ فِيمَنْ
قَالَ لَيْسَ لِلهِ تَعَالَى كَلَامٌ أَنَّهُ كَافِرٌ وَاخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ عَنْ مَالِكٍ
فَأَطْلَقَ فِي رِوَايَةِ الشَّامِيِّينَ أَبِي مُسْهِرٍ وَمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاطَرِيِّ الْكُفْرَ
عَلَيْهِمْ وَقَدْ شُووِرَ فِي زَوَاجِ الْقَدَرِيِّ فَقَالَ لَا تُزَوِّجْهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى وَلَعَبْدٌ

حـ صح الكتاب

حاشيه قال الحافظ المزي الطاطري بفتح الطاءين نسبة الى بيع نوع من الثياب يقال لها الطاطرية

مؤمن خير من مشرك وروى عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار وقال
من وصف شيئا من ذات الله تعالى وأشار إلى شيء من جسده بيد أو سمع أو بصر
قطع ذلك منه لأنه شبه الله سبحانه بنفسه وقال فيمن قال القرآن
مخلوق كافر فاقتلوه وقال أيضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع
ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر ابن بكر التنيسي عنه يقتل
ولا تقبل توبته قال القاضي أبو عبد الله البرنكاني والقاضي أبو عبد الله
التستري من أئمة العراقيين من أصحابنا جوابه مختلف يقتل المستبصر
الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلوة خلفهم وحكى
ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري وأكثر أقوال السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروي عنهم ذلك
فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص بن
غياث وأبو إسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من
قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية
وأهل الأهواء المضلة وأصحاب البدع المتأولين وهو قول أحمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الأصول وممن روي عنه
معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وابن عمر
والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء والنظار والمتكلمين

يستتاب القدرية

الرافضة

واحتجوا

280

واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء ومن عرف بالقدر
ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام الإسلام عليهم
قال إسمعيل القاضي وإنما قال ملك في القدرية وساير أهل البدع يستتابون
فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب إن رأى
الإمام قتله وإن لم يقتل قتله وفساد المحارب إنما هو في الأموال ومصالح
الدنيا وإن كان أيضا قد يدخل في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد
أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في أمور الدنيا بما يلقون بين المسلمين
من العداوة والله الموفق للصواب

فصل في تحقيق القول في إكفار المتأولين

قد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار أصحاب البدع
والأهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه إلى كفر هو إذا وقف
عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء
والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من
السلف ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو
قول أكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال
ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم بأحكامهم ولهذا قال سحنون لا
إعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره قال وهو قول جميع أصحاب
ملك كلهم المغيرة وابن كنانة وأشهب قال لأنه مسلم وذنبه لم

أمره

المسلمين

تخرجه من الإسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
أو ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلوة خلفهم
منه وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال
إنها من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا قولا ٥
يؤدي إليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك
بن أنس حتى قال في بعض كلامه إنهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل
مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم
على الخلاف في ميراث المرتد وقال أيضا إنما نورث ميتهم ورثتهم
من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين وأكثر ميله إلى ترك
التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري
وأكثر قوله ترك التكفير وأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل
بوجود الباري سبحانه وقال مرة أخرى من اعتقد أن الله تعالى
جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر
ولمثل هذا ذهب أبو المعالي رحمه الله في أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان
سأله عن المسألة فاعتذر له بأن الغلط فيها يصعب لأن إدخال كافر
في الملة أو إخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من
المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في أهل التأويل فإن استباحة

واختلف قول خ

حاشية: المعوص من المسائل ما يصعب استخراج معناه وغيرها ومنه شعر عويص وقد عوص الشيء بالكسر ٥

منهم خ

دماء المصلين

دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ
في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فإذا
قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها
إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه وألفاظ الأحاديث الواردة
في الباب عرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله
لا سهم لهم في الإسلام وتسمية الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة
عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من
يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ
في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر وإشراك
دون إشراك وقد ورد مثله في الزنى وعقوق الوالدين والزور وغير
معصية وإذا كان محتملا للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع
لأنه قال في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال
شر قتيل تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال
فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع
تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك
من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليل من الحديث

معرضة خ

والزوج خ ق

وقوله في خ ق

قتيل خ

عن خ

بدليله خ

نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم ها هنا حد لا كفر وقتل عاد تشبيه
للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه
بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي
فإن احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم
فأخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق
السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم على فوقه وكذلك
قوله سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء أجابه
الآخرون أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا
تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله صلى الله عليه
وسلم ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وإن احتجوا
بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول تخرج في هذه الأمة ولم يقل من هذه وتحرير أبي سعيد الرواية
وإتقانه اللفظ أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا
بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة
مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم رضي الله عنهم في
هذا الحديث تخرج من أمتي وسيكون من أمتي وحروف المعاني مشتركة
فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا على إدخالهم فيها بمن لكن

أبا سعيد

أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليهم وهذا إنما
يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم وتحقيقهم للمعاني واستنباطها
من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة
لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة
أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به لا يكفر
أحد بغير ذلك وقال أبو الهذيل أن كل متأول كان تأويله
تشبيها لله تعالى بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر
وكل من أثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقول بعض
المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف
الله تعالى فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن
لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن
العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان عرضة
للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن الحق
في أصول الدين في الواحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف
في تكفيره وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن
داود الأصبهاني قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم
الله سبحانه وتعالى من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا

ويقول — يفقهون — التشاد — صريحا لكونهم — وقال — واحد

أو من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله تعالى عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي إلى قريب من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف والإجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو شك فيه والتكذيب والشك لا يقع إلا من كافر

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر

اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله تعالى أو مع الله تعالى فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية والمنانية وأشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير الله تعالى من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب

وكذلك القرامطة

وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بإلهية الله تعالى ووحدانيته ولكنه اعتقده أنه غير حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا وأنه متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا للعالم سواه أو مدبرا غيره سبحانه وتعالى فذلك كله كفر بإجماع المسلمين كقول الإلاهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك يقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالإلاهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما أو نبوة نبينا عليه الصلوة والسلام خصوصا أو أحد من الأنبياء عليهم السلام الذين نص الله تعالى عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل عليه السلام وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الشيعة

وإن كان بعض هؤلاء قد اشتركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الأنبياء عليهم السلام الكذب فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل عليهم السلام من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل صلوات الله عليهم والارتياب فيما أتوا به وكذلك من أضاف إلى نبينا عليه الصلوة والسلام تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو كافر بإجماع وكذلك يكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن لكل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير إذ ذلك يؤدي

أن يوصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك يكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان أسود أو مات قبل أن يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه الصلوة والسلام أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباه هؤلاء أو من ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عليه الصلوة والسلام أنه خاتم النبيين ولا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل إلى كافة الناس وأجمعت الأمة على حمل هذا

الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك
في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا وكذلك وقع الإجماع
على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا
به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال الرجم ولهذا
نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك
أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال
كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك
وكذلك يقطع بتكفير كل من قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة
وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم عليا وكفرت عليا إذ لم
يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم
أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه
كفرة على زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل
من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم
على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي وهو يعلم أنه يكفر بعده على
قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك يكفر بكل
فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرحا

بالإسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس والقمر والصليب
والنار والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها والزي بزيهم من شد الزنانير
وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر وأن هذه
الأفعال علامة على الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام وكذلك
أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب الخمر والزنى
مما حرم الله تعالى بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من القرامطة
وبعض غلاة المتصوفة وكذلك يقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة
من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه
الصلوة والسلام ووقع الإجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب الخمس
الصلوات أو عدد ركعاتها وسجداتها ويقول إنما أوجب الله سبحانه
علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات
والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به
عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك أجمع المسلمون على
تكفير من قال من الخوارج إن الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية
في قولهم إن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث
والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة إن
العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها

وإباحة كل شيء لهم ورفع عهدة الشرائع عنهم وكذلك إن أنكر منكر
مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن
واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة
وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدري هل هي تلك
أو غيرها ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير
غلطوا أو وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره إن كان ممن يظن به
علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم إلا أن يكون حديث
عهد بإسلام فيقال له سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة
المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصري الرسول عليه
الصلاة والتسليم أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك البقعة هي مكة
والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول عليه الصلاة
والسلام والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن تلك الأفعال هي صفات
عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وأن صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم
وشرح مراد الله تعالى بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم
ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين
كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر

أم خ

عن التكذيب

عن التكذيب إذ لا يمكن أنه لا يدري وأيضا فإنه إذا جوز على جميع الأمة
الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول صلى الله عليه
وسلم وفعله وتفسير مراد الله تعالى به أدخل الاسترابة في جميع الشريعة
إذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر
وكذلك من أنكر القرآن أو حرفا منه أو غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل
الباطنية والإسماعيلية أو زعم أنه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم
أو ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري
أنه لا يدل على الله تعالى ولا حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك
نكفرهما بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له أو في خلق السموات والأرض دليل على الله تعالى لمخالفتهم الإجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح
القرآن به وكذلك من أنكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه أنه من
القرآن الذي في أيدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا
قريب عهد بالإسلام واحتج لإنكاره إما بأنه لم يصح النقل عنده ولا
بلغه العلم به أو لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين
لأنه مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه

مخالفة خ

بالقرآن خ

وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو البعث والحساب والقيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال أن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى على غير ظاهره وأنها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعمهم أن معنى القيمة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك يقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم أن الأئمة أفضل من الأنبياء عليهم السلام كما قدمناه فأما من أنكر ما عرف بالتواتر من الأخبار والسير والبلاد التي لا ترجع إلى إبطال شريعة ولا تفضي إلى إنكار قاعدة من الدين كإنكار غزوة تبوك أو مؤتة أو وجود أبي بكر وعمر أو قتل عثمان وخلافة علي رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في إنكاره جحد شريعة فلا سبيل إلى تكفيره بجحد ذلك وإنكار وقوع العلم له إذ ليس في ذلك أكثر من المباهتة كإنكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي رضي الله عنه من خالفه فأما إن ضعف ذلك من أجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين أجمع فنكفره بذلك لسرايته إلى إبطال الشريعة فأما من أنكر الإجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فأكثر المتكلمين

أو الحشر

روحانية

من الفقهاء

من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الإجماع الصحيح الجامع لشروط الإجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قول الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وحكوا الإجماع على تكفير من خالف الإجماع وذهب آخرون إلى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب آخرون إلى التوقف في تكفير من خالف الإجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بإنكاره الإجماع لأنه بقوله هذا مخالف إجماع السلف على احتجاجهم به خارق للإجماع قال القاضي أبو بكر القول عندي أن الكفر بالله تعالى هو الجهل بوجوده والإيمان بالله تعالى هو العلم بوجوده وأنه لا يكفر أحد بقول ولا رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله تعالى فإن عصى بقول أو فعل نص الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر أو يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لأجل قوله أو فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله تعالى لا يكون إلا بأحد ثلاثة أمور أحدها الجهل بالله تعالى والثاني أن يأتي فعلا أو بقول قولا يخبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أو يجمع المسلمون أن ذلك لا يكون إلا من كافر

خالف

نقله العلماء

خ ق الزنانير

خ ق الذي فعلهما

كالسجود للصنم والمشي إلى الكنائس بالتزام الزنار زي أصحابها
في أعيادهم أو يكون ذلك القول أو الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى قال
فهذان الضربان وإن لم يكونا جهلاً بالله تعالى فهما علم أن فاعلهما كافر
منسلخ من الإيمان فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية
أو جحدها مستبصراً في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم
وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له عز وجل فقد نص أئمتنا
على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها وعلى هذا
حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر وهو لا يكفر
المتأولين كما قدمناه فأما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف
العلماء هاهنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن أبي جعفر الطبري
وغيره وقال به أبو الحسن الأشعري مرة وذهبت طائفة
إلى أن هذا لا يخرجه عن اسم الإيمان وإليه رجع الأشعري قال لأنه
لم يعتقد ذلك اعتقاداً يقطع بصوابه ويراه ديناً وشرعاً وإنما يكفر
من اعتقد أن مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وأن النبي
صلى الله عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل
لئن قدر الله تعالى علي وفي رواية فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله
له قالوا ولو بوحث أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما

وجد من

خ إذ

خ ق إنما

وجد من يعلمها إلا الأقل وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه
منها أن قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على إحيائه بل في نفس
البعث الذي لا يعلم إلا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع
عليه فيكون الشك به حينئذ كفراً فأما ما لم يرد به شرع فهو من
مجوزات العقول أو يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه إزراء
عليها وغضباً لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا
ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي أذهلت لبه فلم
يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه
التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله أمثلة في كلامهم كقوله تعالى
لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين
فأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا
علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب
المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه
كفره لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من
له علم فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم وهكذا عند هذا
سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم

يؤاخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم
قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول بليس بعالم ونحن ننتفي من القول
بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر بل نقول إن
قولنا لا يؤول إليه على ما أصلنا. فعلى هذين المأخذين اختلف الناس
في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في
ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم
بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم
ومناكحاتهم ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر
والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول
فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم في
التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال
فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم
بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال
عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم
منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي
أبو بكر وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال

وبقاء الأعراض

وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين
فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون
على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة
الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى.

فصل

هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه
من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر رضي الله عنهما عليه بالسيف فطلبه
فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم
في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله عز وجل من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
إلا أن يسلم قال في المبسوطة طوعا قال أصبغ لأن الوجه
الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة
والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه
فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل
الأديان الله سبحانه بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم
وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا
يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل وقال

مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال أبو محمد بن أبي زيد من
سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا
قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ
الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت
به لله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك وهو نحو
القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر
به ولا فرق في ذلك بين سب الله سبحانه وسب نبيه عليه الصلوة
والتسليم لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وأن
لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم
واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك
بن الماجشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه ولا تؤخذ عليه جزية قال
ابن حبيب ولا أعلم من قاله غيره

فصل

هذا حكم من صرح
بسبه سبحانه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته فأما مفتري
الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو النافي
أن يكون الله تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا
يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك

ومدعيه

ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال
ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن
العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته
بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق
الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك
حكم الصاحي وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال
غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال
ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه
كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما
تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن أبي
طالب رضي الله عنه من ادعى الإلاهية وقد قتل عبد الملك بن مروان
الحرث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك
بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك
من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية
وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلاهية
والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم

يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي العزاقر وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد إذ ذاك أبو الحسين
بن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل
وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه
أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القسم في كتاب ابن حبيب
ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد
وقاله سحنون وغيره وقاله أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول
إلينا إن كان معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال
أبو محمد بن أبي زيد من لعن بارئه تعالى وادعى أن لسانه زل وإنما
أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول
الآخر من أنه لا تقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران
أنا الله أنا الله إن تاب أدب فإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة
الزنديق لأن هذا كفر المتلاعبين. فصل وأما من تكلم
من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه
بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه سبحانه وتعالى أو تمثل
في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله تعالى من ملكوته أو نزع من الكلام
لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف

ولا عامد

ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه سبحانه وتعالى
وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف
والتنقص لربه سبحانه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة
بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدأ
الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية
وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا
إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى
بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له
إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد
الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه
وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب
وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي
لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم وأما
من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم تكن
تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سبيلها ومقارنها وقد سئل ابن القسم رحمه الله

بالقضية

تعالى عن رجل نادى رجلاً باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك قال إن كان
جاهلاً أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي رضي الله عنه
وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب
ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد
أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب
واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا
وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئاً
مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول وأما ما ورد في هذا
من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب

رب العباد ما لنا وما لكا
قد كنت تسقينا فما بدا لكا
أنزل علينا الغيث لا أبا لكا

في أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب
الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر إلا من جاهل يجب
تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله قال أبو سليمن
الخطابي وهذا تهور من القول والله جل جلاله منزه عن هذه الأمور
وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه

في كل شيء حتى

في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا قال وكان بعض
من أدركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للإنسان جزيت خيراً وقل ما يقول جزاك الله
خيراً إعظاماً لاسمه جل وتعالى أن يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة
أن الإمام أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم
فيه تبارك وتعالى وفي ذكر صفاته إجلالاً لاسمه سبحانه ويقول
هؤلاء يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله
في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله
الموفق للصواب فصل وحكم من سب سائر أنبياء
الله عز وجل وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم
وجحدهم حكم نبينا عليه وعليهم الصلوة والتسليم على مساق ما
قدمناه قال الله تبارك وتعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله الآية وقال عز وجل قولوا
آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبرهيم الآية إلى قوله
سبحانه لا نفرق بين أحد منهم وقال تعالى كل آمن بالله وملئكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله قال مالك في كتاب ابن
حبيب ومحمد وقاله ابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم

وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء عليهم السلام أو أحدًا منهم أو تنقصه
قتل ولم يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم وروى
سحنون عن ابن القسم من سب الأنبياء عليهم السلام من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم
وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل وقال القاضي بقرطبة
سعيد بن سليمن في بعض أجوبته من سب الله سبحانه وملئكته قتل
وقال سحنون من شتم ملكًا من الملئكة فعليه القتل وفي النوادر
عن ملك فيمن قال إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي
ابن أبي طالب استتيب فإن تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون وهذا
قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم وكان النبي أشبه
بعلي من الغراب بالغراب وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم
من كذب بأحد من الأنبياء عليهم السلام أو تنقص أحدًا منهم أو برئ
منه أو شك في شيء من ذلك فهو مرتد وقال أبو الحسن القابسي
في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف أنه قصد ذم
الملك قتل قال القاضي رضي الله عنه وهذا كله فيمن تكلم فيهم
بما قلناه على جملة الملئكة والنبيين عليهم السلام أو على معين ممن
حققنا كونه من الملئكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه العزيز

أو حققنا علمه

حـ عبد الرحمن

ق والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القا

أو حققنا علمه بالخبر المتواتر والإجماع القاطع والمشتهر المتفق عليه
كجبريل وميكائيل وملك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القرآن من الملئكة ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل
وإسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملئكة عليهم
السلام المتفق على قبول الخبر بهم فأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه
ولا وقع الإجماع على كونه من الملئكة أو الأنبياء كهاروت وماروت
في الملئكة وكالخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن
سنان المذكور أنه نبي أهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس
ويذكر المؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن
قدمناه إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم
ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله
منهم وإن لم تثبت نبوته وأما إنكار نبوتهم أو كون الآخر من
الملائكة فإن كان المتكلم في ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلماء في ذلك وإن كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا
فإن عاد أدب إذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام
في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف للعامة فصل
واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما

حـ وكعزرائيل

حـ بهما

حـ نبي لا أهل

أو جحده أو حرفا منه أو آية أو كذب به أو بشيء منه أو كذب بشيء مما
صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه
بذلك أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع قال الله
تعالى وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد ۞ حدثنا الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله
أخبرنا أبو علي أخبرنا ابن عبد البر أخبرنا ابن عبد المؤمن أخبرنا ابن
داسة أخبرنا أبو داود أخبرنا أحمد بن حنبل أخبرنا يزيد بن هرون
أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال المراء في القرآن كفر ۞ تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد
آية من كتاب الله تعالى من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك
إن جحد التورية والإنجيل وكتب الله تعالى المنزلة أو كفر بها أو لعنها
أو سبها أو استخف بها فهو كافر وقد أجمع المسلمون أن القرآن
المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه
الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس أنه
كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه محمد عليه الصلوة والسلام وأن
جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه

أو زاد فيه

أو زاد فيه حرفا قاصدا لذلك مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع
عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر ولهذا رأى
مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لأنه خالف القرآن
ومن خالف القرآن قتل أي لأنه كذب بما فيه وقال ابن القسم
من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن
مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب
الله تعالى تضرب عنقه إلا أن يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه
قال وكذلك إن شهد شاهد على من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى
تكليما وشهد آخر عليه أنه قال إن الله تعالى ما اتخذ إبرهيم خليلا
قتل لأنهما اجتمعا على أنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
أبو عثمن بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد لحرف
من التنزيل كفر وكان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له
ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك إبرهيم فقال
أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال
أصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به
كله فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله سبحانه وقد سئل القابسي

عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية فقال الآخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية فقال إنما لعنت تورية اليهود فقال أبو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الأمر بصفة توجب التأويل إذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التورية مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلث مائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهري وغيره وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن قال أبو محمد وأما من لعن المصحف فإنه يقتل

فصل وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه عليه الصلوة والسلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله أخبرنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل أخبرنا أبو يعلى أخبرنا أبو علي السنجي نا ابن محبوب أخبرنا

الترمذي

الترمذي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يعقوب بن إبرهيم أخبرنا عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فإنه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فاضربوه وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يؤذيه وأذاء النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي ومن آذاهم فقد آذاني وقال لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة رضي الله عنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه

أدب وقال أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
أبا بكر أو عمر أو عثمن أو معوية أو عمرو بن العاص رضي الله عنهم فان
قال كانوا على ضلال وكفر قتل وأن شتمهم بغير هذا من مشاتمة
الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة
إلى بغض عثمن والبراءة منه أدب أدبا شديدا ومن زاد إلى بغض
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال
سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي صلى الله عليه وسلم
وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عليا أو عثمن أو غيرهما رضي الله عنهم يوجع ضربا وحكى
أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون من قال في أبي بكر وعمر وعثمن وعلي
رضي الله عنهم إنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب
أبا بكر رضي الله عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل له لم
قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لأن
الله تعالى يقول يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين
فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي
أبا بكر بن الطيب قال إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه

إليه المشركون

إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة
رضي الله عنها فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم
بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم سبح نفسه في تبرئتها من السوء
كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل
من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى هذا والله أعلم أن الله تعالى لما
عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم
وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى
القتل كان مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قدمناه
وشتم رجل عائشة كرمها الله بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي
فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه
إلى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نذر قطع لسان
عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ شتم المقداد بن الأسود رضي
الله عنه فكلم في ذلك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد
بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى أبو ذر الهروي أن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال لولا أن له
صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم ورضي عنهم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى
الفيء في ثلاثة أصناف. فقال للفقراء المهاجرين الآية. ثم قال
والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم الآية وهؤلاء الأنصار
ثم قال والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا
الذين سبقونا بالإيمان الآية. فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين
وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة
حد عند بعض أصحابنا حدين حد اله وحد الأمة ولا أجعله كقاذف
الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من
سب أصحابي فاجلدوه قال ومن قذف أم أحد منهم وهي كافرة
حد حد الفرية لأنه سب له فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا
قام بما يجب له وإلا فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه
قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة رضي الله عنهم لحرمة هؤلاء
بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي
القيام به قال ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ففيه قولان أحدهما أنه يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته والآخر أنه كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول
أقول وروى أبو مصعب عنه من انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم

يضرب ضربا

يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف
بحق الرسول عليه الصلوة والتسليم وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه
مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر الصديق
رضي الله عنهما ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر رضي الله عنهما في مثل هذا يوجب
عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو أحق
باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه
ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله عز وجل وقال ابن عمران
في رجل قال لو شهد علي أبو بكر الصديق أنه إن كان في مثل ما لا تجوز
فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وإن كان أراد غير هذا فيضرب ضرب
يبلغ به حد الموت وذكرها رواية. قال القاضي أبو الفضل رضي الله
عنه هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه
واستوفى الشرط الذي شرطناه. مما أرجو أن يكون في كل قسم منه
للمريد مقنع. وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع. وقد سفرت فيه عن
نكت تستغرب وتستبدع. وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها
قبل في أكثر التصانيف مشرع. وأودعته غير ما فصل وددت
لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه. أو مقتدى يفيدنيه. عن

كتابه أوفيه ۔ لا كتفي بما أذوب به عنه عما أرديه ۔ والى الله تعالى جزيل
الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه ۔ والعفو عما تخلله من تزيين وتصنع
لغيره ۔ وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه ۔ لما أودعناه من
شرف مصطفاه ۔ وأمين وحيه ۔ وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله
وأعملنا فيه خواطرنا من أبراز خصائصه ووسائله وتحمي أعراضنا عن
نار الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ۔ وتجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل
عن حوضه ۔ وتجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا
بأسبابه ۔ وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها
رضاه وجزيل ثوابه ۔ وتخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ۔ وتحشرنا
في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته ۔ ونحمده تعالى
على ما هدى إليه من جمعه وألهم ۔ وفتح البصيرة لدرك حقائق ما أودعناه
وفهم ۔ ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع ۔ وعلم لا ينفع ۔
وعمل لا يرفع ۔ فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله ۔ ولا ينتصر من خذله ۔
ولا يرد دعوة القاصدين ۔ ولا يصلح عمل المفسدين ۔ وهو حسبنا
ونعم الوكيل ۔ وصلى الله على نبيه سيدنا محمد خاتم النبيين وسلم تسليما كثيرا
كمل الديوان المبارك بحمد الله وحسن توفيقه ومنه وكرمه وكان الفراغ من كتابته
بعد الزوال نهار الأربعاء مستهل شهر ربيع الأول سنة ثمانين وثمانماية

من الهجرة النبوية على يد أضعف عباد الله وأحوجهم إلى عفو الله
شاهين بن عبد الله الناصري الشهير بالأنبابي الأشرفي حامدا الله على
نعمه ومصليا على سيدنا محمد وآله وصحبه ومسلما

Süleym[illegible]
Fatih
1032